



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

تداول العرش في إيران خلال العصر الصفوي (1501-1736م)

"The Succession to the Throne in Iran During the Safavid Era (1501–1736 AD)"

خليفة, سجاد زيدان

إشراف: أ.د. طالب محييس حسن الوائلي

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/231>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-75>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

تداول العرش في إيران خلال العصر الصفوي

(١٥٠١-١٧٣٦م)

رسالة تقدم بها الطالب

سجاد زيدان خليف

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية - جامعة واسط، وهي جزء من متطلبات نيل

شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف

أ.د. طالب محيبي حسن الوائلي

٢٠٢٦م

١٤٤٨هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا
أَنْتَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢)

صدق الله العظيم
سورة البقرة – الآية ٣٢



إقرار المُشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة (تداول العرش في ايران خلال العصر الصفوي ١٥٠١-١٧٣٦) التي قدمها الطالب (سجاد زيدان خليف) جرى بإشرافي في قسم التاريخ / كَلْيَة التربية للعلوم الإنسانيّة / جامعة واسط، وهي جزءٌ من متطلّبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث.


التوقيع:

أ.د. طالب محيبس حسن الوائلي

التاريخ: حزيران ٢٠٢٦م

بناءً على التوصيات المتوافرة أُرشّح هذه الرسالة للمناقشة.

أ.د. محمد حسين السويطي

رئيس قسم التاريخ

حزيران ٢٠٢٦م

إقرار المقوم اللغوي

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(تداول العرش في إيران خلال العصر الصفوي ١٥٠١-١٧٣٦) المقدمة من الطالب (سجاد زيدان خليف)، أتممت مراجعتها من الجانب اللغوي وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وأساليب تعبيرية، وبذلك أصبحت تؤهل الباحث لمناقشتها قدر ما يتعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير.

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. بدرية ناصر عبد سعيد

التاريخ: / / ٢٠٢٦

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن - رئيس وأعضاء لجنة المناقشة - أننا اطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (تداول العرش في ايران خلال العصر الصفوي ١٥٠١-١٧٣٦) التي قدمها الطالب (سجاد زيدان خليف)، وناقشنا الطالب في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث / بتقدير (جيد جداً) .

عضو اللجنة
الاسم. أ.م.د. علي عبد حمادي
التاريخ: / / ٢٠٢٦ م

عضو اللجنة (المشرف)
الاسم. أ. د طالب محبيس حسن الوائلي
التاريخ: / / ٢٠٢٦ م

رئيس اللجنة
الاسم. أ.د. عباس فرحان الموسوي
التاريخ: / / ٢٠٢٦ م

عضو اللجنة
الاسم. م.د. ماجد حميد هويدي
التاريخ: / / ٢٠٢٦ م

صادق مجلس كلية التربية للعلوم الانسانية - جامعة واسط على قرار لجنة المناقشة.

الأستاذ الدكتور: محمود حمود عراك القريشي

عميد الكلية

التاريخ: ٢٠٢٦ / ٨ / ٩

الاهداء

إلى عائلي

محبة واعتزازاً

شكر وعرفان

الحمد لله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً، يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله الطيبين الطاهرين.

يقترض العرفان مني أن أرفع أسمى آيات الشكر والامتنان إلى أستاذي الجليل المشرف الأستاذ الدكتور طالب محيبس الوائلي الذي يطيب لي أن أشكره في البداية على تواضعه النبيل وسعة صدره وخلقه الرفيع الذي جمع بين السمو الإنساني والراقي الأكاديمي؛ فكان لاقتراحه عنوان الرسالة وعطائه السخي، ومتابعته الدقيقة، وتوجيهاته الرصينة في مراجعة رسالتي وإخراجها بالشكل الأفضل الأثر البالغ في إنضاجها وصقل مضامينها، فله مني خالص التقدير وموфор الدعاء، وعميق الامتنان.

كما أتقدم بفائق الشكر والعرفان الجميل إلى أساتذتي الأجلاء ابتداءً من رئيس القسم السابق، أ.م. د. أحمد بشار جمعة، والأستاذ الدكتور محمد حسين السويطي، وأساتذتي في المرحلة التحضيرية الذين لم يبخلوا بتوجيهاتهم السديدة وهم: أ. د طالب محيبس الوائلي، و أ. د رحيم كاظم الهاشمي، و أ. د عكاب يوسف الركابي، وأ. د عباس فرحان الموسوي، و أ. د. حسنين عبد الكاظم عجة، وأ. د. علي خيرى مطرود، و أ. د فهد عويد البعيجي، و أ.د. جواد رضا السبع و أ.م. د. حسين كمر، وأ.د جميل رشيد تهوم، والشكر والتقدير موصول أيضاً إلى أ.م. د. كريم أحمد حامي السعدون مقرر الدراسات العليا، والاستاذ حسن داود، وإلى كل موظفي وسكرتارية قسم التاريخ.

وأقدم بجزيل الشكر والتقدير أيضاً إلى الأستاذ الدكتور علي حسن علي المكصوصي، والدكتور عدي سامي فارس المالكي، والدكتور كريم حميد الزبيدي والاستاذ رضا أحمد سالم الشاوي، الذين رفدوني بالمصادر من مكتباتهم الخاصة وفقهم الله ولهم مني موфор الدعاء، ومن صميم الواجب أن أشكر كل من أسدى لي معروفاً ولو بكلمة طيبة وتشجيع من الأصدقاء، كما أشكر عائلتي التي نالت القسط الأكبر من التعب، فلهم مني كل الشكر على صبرهم ودعمهم اللامحدود

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية القرآنية
ب	الاهداء
ت	الشكر والعرفان
ث-ج	المحتويات
٩-١	المقدمة
٥٢-١٠	الفصل الاول: قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.
١٣-١٠	اولاً : الاتجاهات العقائدية والسياسية ودورها في نشوء الدولة الصفوية.
١٥-١٤	ثانياً : أوضاع ايران العامة خلال القرن الخامس عشر الميلادي.
٢١-١٦	ثالثاً : المصاهرات السياسية بين زعماء الحركة الصوفية ودولة الاق قوينلو .
٢٨-٢١	رابعاً : التنافس والصراع بين أتباع الحركة الصوفية والقوى المحلية اواخر القرن الخامس عشر.
٣٣-٢٨	خامساً : تنصيب الشاه اسماعيل على العرش في اواخر عام ١٥٠١.
٣٦-٣٣	سادساً : قيام السياسية والادارية، وتصفية الخصوم المحليين حتى عام ١٥١٤.
٣٨-٣٦	سابعاً : دور المحقق الكركي في تعزيز السلطة السياسية والدينية للشاه اسماعيل الصفوي .
٥٢-٣٩	ثامناً : الصراع الصفوي العثماني عام ١٥١٤، وأزمة ولاية العهد حتى عام ١٥٢٤.
١٠٢-٥٣	الفصل الثاني . صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)
٥٩-٥٣	اولاً : الصراع على السلطة خلال المرحلة الاولى من حكم الشاه طهماسب ١٥٢٤-١٥٤٢.
٦٢-٥٩	ثانياً : سياسة التوسع في عهد الشاه طهماسب، واستمالة الخصوم من حكام الاقاليم حتى عام ١٥٥٦.
٦٥-٦٢	ثالثاً : المرحلة الاخيرة من حكم الشاه طهماسب، ومسألة ولاية العهد حتى عام ١٥٧٦.
٧٠-٦٥	رابعاً : نهاية حكم الشاه طهماسب عام ١٥٧٦ وبداية تدخل الحريم في شؤون ولاية العهد وفرض الارادات على العرش.
٧٦-٧٠	خامساً : تتويج الشاه اسماعيل الثاني عام ١٧٧٦ وبداية الصراع على العرش .
٨٥-٧٦	سادساً : تتويج الشاه محمد خدا بنده عام ١٥٧٧-١٥٨٨.
١٠٢-٨٥	سابعاً : تنصيب الشاه عباس الملقب بالكبير وبداية نهضة الدولة الصفوية (١٥٨٨-١٦٢٩).

المحتويات

١٤٨-١٠٣	الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).
١٢١-١٠٣	اولاً : ضعف السلطة وصعود نفوذ الحريم والخصيان خلال عهد صفى الأول (١٠٣٨-١٠٥٢هـ / ١٦٢٩-١٦٤٢م).
١٣٠-١٢١	ثانياً : تغول قيادات القزلباش في مؤسسات الدولة، وتنامي الصراع خلال عهد الشاه عباس الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧هـ / ١٦٤٢-١٦٦٦م).
١٤٨-١٣٠	ثالثاً : تنصيب الشاه صفى الثاني (سليمان) (١٠٧٧-١١٠٥هـ / ١٦٦٦-١٦٩٤م) ودور آغا مبارك وسطوة حاشية القصر .
٢١٠-١٤٩	الفصل الرابع: تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش (١٦٩٤-١٧٣٦).
١٦٠-١٤٩	اولاً : تولي الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢م) العرش الصفوي حتى الاحتلال الافغاني عام ١٧٢٢.
١٧٨-١٦٠	ثانياً : فقدان العرش والغزو الأفغاني (١٧٢٢-١٧٢٩م) ونهاية الدولة الصفوية.
٢١٠-١٧٩	ثالثاً: ولاة العهد ابناء السلطان حسين (طهماسب الثاني، وعباس الثالث) ومحاولات الظفر بالعرش الصفوي شكلياً (١٧٢٩-١٧٣٦) .
٢١٥-٢١١	الخاتمة
٢١٧-٢١٦	الملاحق
٢٣٣-٢١٨	المصادر والمراجع
1-2	Abstract

بعض المصطلحات المستخدمة في الرسالة

العربي	الفارسي
المجلد	جلد:
الطبعة	چاپ:
العدد	شماره:
المصدر السابق	بيشين:
المصدر نفسه	همان منبع:
نقلا عن	نقل از:
باهتمام (بإشراف)	به كوشش:
بدون تاريخ	پی تا
بدون طبعة	پی چاپ
مؤلف مجهول	ناشناس مؤلف
يراجع	يارا

بعض المختصرات الإنكليزية المستخدمة

المختصر	المعنى
Op. Cit.,	المصدر السابق
Ibid.,	المصدر نفسه
Vol.	الجزء

بعض المختصرات الفارسية المستخدمة

الفارسية	العربية
ش	هجري (شمسي)
هـ	هجري (قمری)
ت	توفي
م	ميلادية

المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر

حظيت دراسة التاريخ الحديث للدول المجاورة للعراق باهتمام بالغ لاسيما إيران^(١)، فشكّلت موضوعاً مهماً لعدد كبير من الباحثين، بسبب موقع إيران المهم ومكانتها التاريخية وامتدادها الحضاري وأثرها على السياسة الدولية، لاسيما بعد قيام الدولة الصفوية عام (١٥٠١م) وتوحيدها أراضي إيران وما شهدته البلاد من تحولات سياسية واجتماعية واقتصادية نتيجة ذلك الحدث، وكانت تلك انطلاقة لولادة شرعية ونتيجة تراكم جهود بذلتها الأسرة الصفوية وطريققتها الصوفية الخاصة ونهجها المتميز في التعامل مع الدين والتركيز على البعد الروحي من خلال تكثيف الجهد الدعوي وترويض النفس عن طريق العزلة في التكايا والزوايا، وفي الوقت نفسه عدم إخفاء الطموحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية باتجاه بناء دولة، فامتد عمر الدولة الصفوية بذلك أكثر من قرنين من الزمن، فتمكنت في بداية نشأتها عبر مرحلة زمنية محددة من أن تستغل جميع مقومات النمو والتطور لترسيخ أركانها، إذ فتحت ذراعيها لكل المهاجرين لاسيما المضطهدين لأسباب مذهبية، ولعل في الهجرة العاملة خير دليل على ذلك.

مع أنها لم تستمر بسبب التحديات الخارجية التي تمثلت بالدولتين الأوزبكية والعثمانية، والتحديات الأخيرة بسبب كونها تظن أنها راعية للمذهب السني ومسؤولية عن العالم الإسلامي، فهي كانت رافضة لخروج إيران عن التبعية للخلافة السنية، بعدما أعلنت الدولة الصفوية المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً لها، مما أدى إلى اندلاع الحروب بين الدولتين العثمانية والصفوية، فألحقت أضراراً جسيمة بالعالم الإسلامي، فضلاً عما خلفته الدولة الصفوية من إرث الروابط التاريخية والدينية الوثيقة التي تربطهما مع الدول الإسلامية وبقية الدول الأخرى، فترايد الاهتمام الدولي بهذه الدولة، وأسهمت بعض الدراسات التاريخية الأكاديمية على تناول بعض شخصيات هذه الدولة من أجل الكشف عن دورها ومدى تأثيرها على سياسة الدولة الداخلية والخارجية، ويضاف لها أن الدراسة لهذه الشخصيات تعطينا تصوراً واضحاً عن دورها وإزالة الغموض الذي اكتنفها، حفز نشوء هذه الدولة وتبنيها المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة العديد من الباحثين والدارسين لبحث تاريخ التجربة الصفوية وتطور الفكرين الشيعي والصوفي وطبيعة

(١) أصبح اسم إيران اسماً رسمياً لبلاد فارس منذ آذار ١٩٣٥. بعد أن اتخذ الشاه رضا بهلوي قراراً بذلك. أرواند إبراهيميان، تاريخ إيران مدرن، ترجمة: محمد إبراهيم فتاحي، تهران، ١٣٨٩ش/ ٢٠١٠م، ص ١٦١.

الصلة بينهما، أثبتت الاحداث أن هذه الدولة تمكنت من استغلال عقائد المذهب الشيعي وتكييفها بصيغة تتفق مع أهدافها وغاياتها وطموحاتها في إقامة كيان قومي سياسي، والتصدي لأعدائها الذين يتبنون مذاهب أخرى تتقاطع في بعض الأفكار والعقائد مع ما تدعو له هذه الدولة. ولا يسع الباحث إلا التحفز للكتابة والوقوف على حقبة مهمة من تاريخ ايران الحديث في العصر الصفوي ، وانطلاقاً من هذه الأسباب المذكورة آنفا جاءت دراسة الموضوع المعنون **(تداول العرش في إيران خلال العصر الصفوي ١٥٠١-١٧٣٦م)**، لتكون الدراسة إسهاماً في حقل الدراسات التاريخية، فالموضوع يتسم بالحيوية ولازال حديث المجالس العلمية والثقافية في البلدان التي تعاني من مشكلة الطائفية والتعايش المذهبي وإنكار حقوق التعايش السلمي والفهم العميق للمواطنة، فهو يتابع جذور قضايا التعددية الدينية والاندماج الوطني الثقافي، ويقدم أنموذجاً للتغيير، من خلال دراسة كيفية تحقيق الإصلاح السياسي والاجتماعي في مجتمع متنوع الاثنيات مثل المجتمع الإيراني، لتكون هذه الدراسة تكملة لسلسلة الدراسات التي تناولت الدولة الصفوية ، وعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت الدولة الصفوية من زوايا سياسية أو اقتصادية أو أمنية، فإن معظمها انصرف إلى معالجة جوانب محددة أو مراحل زمنية متفرقة، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى سد الثغرة البحثية لدراسة تاريخية متخصصة تتناول تطور نشوء الدولة الصفوية خلال المدة (١٥٠١-١٧٣٦)، وتحلل مساراتها في ضوء المتغيرات الدولية والإقليمية، وتستكشف العوامل التي أسهمت في انتقال آلية السلطة من مرحلة النشاط الروحي الديني إلى تأسيس نظام دولة ، بما يتيح فهماً أعمق لطبيعة تكوين هذه الدولة ودورها في رسم الهوية الدينية لإيران في مطلع القرن السادس عشر.

وفي ضوء ربط المنهجية بأسئلة البحث الأساسية وطبيعة المصادر تبين أن أبرز المناهج التي ينبغي اتباعها في دراسة الموضوع هو **(المنهج التاريخي)** الذي من شأنه تتبع تطور الأحداث لتحقيق الوحدة الموضوعية والتكامل التاريخي لإعطاء صورة واضحة للأحداث، فحاول الباحث الاجابة عن بعض التساؤلات، منها: طبيعة مرتكزات الشرعية السياسية والدينية التي استندت إليها الدولة من خلال آلية تداول العرش، وكيفية تأثير التوازنات القبلية والعسكرية في تحديد هوية الشاه الصفوي الجديد، ومدى اسهام آلية تداول العرش في قوة الدولة الصفوية أو ضعفها خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وأثر مبدأ الوراثة في تحديد أحقية تولي العرش الصفوي، ومدى التزام الدولة الصفوية بمبدأ انتقال الحكم من الأب إلى الابن، والعوامل المؤثرة في اختيار الشاه الجديد عند غياب وريث واضح للعرش، وتتبع دور كبار رجال الدولة والحاشية الملكية في ترجيح كفة أحد المرشحين للعرش، وانعكاس احتجاج الأمراء داخل القصر(الحرمسرا) على نظام تداول العرش

الصفوي، وأثر ظاهرة قتل أو إقصاء الأمراء المنافسين في ضمان انتقال السلطة، وأبرز الاختلافات بين آلية تداول العرش في سنوات العصر الصفوي المبكرة وسنواته المتأخرة، واسهام تدخل القوى الأجنبية في توجيه أو التأثير على عملية انتقال الحكم في أواخر العهد الصفوي، ومدى نجاح الآليات المعتمدة في تداول العرش في تحقيق الاستقرار السياسي للدولة الصفوية.

أوجبت ظروف البحث وطبيعة الموضوع العودة إلى القرن الخامس عشر مروراً بالقرن السادس عشر الذي مثل مرحلة صراع الوجود مع السلطة السياسية، فتتألف الرسالة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ليتصدى **الفصل الأول لدراسة قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية ما بين ١٥٠١-١٥٢٤**. تناول أولاً : الاتجاهات العقائدية والسياسية ودورها في نشوء الدولة الصفوية، وثانياً : أوضاع إيران العامة خلال القرن الخامس عشر الميلادي، وثالثاً : المصاهرات السياسية بين زعماء الحركة الصفوية ودولة الاق قوينلو، ورابعاً : التنافس والصراع بين أتباع الحركة الصفوية والقوى المحلية أواخر القرن الخامس عشر، وخامساً : تنصيب الشاه اسماعيل على العرش في أواخر عام ١٥٠١، وسادساً : قيام السياسية والإدارية، وتصفية الخصوم المحليين حتى عام ١٥١٤، وسابعاً : دور المحقق الكركي في تعزيز السلطة السياسية والدينية للشاه اسماعيل الصفوي، وثامناً : الصراع الصفوي العثماني عام ١٥١٤، وأزمة ولاية العهد حتى عام ١٥٢٤.

أما الفصل فيتطرق إلى صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩) . تناول أولاً : الصراع على السلطة خلال المرحلة الأولى من حكم الشاه طهماسب ١٥٢٤-١٥٤٢. وثانياً : سياسة التوسع في عهد الشاه طهماسب، واستمالة الخصوم من حكام الأقاليم حتى عام ١٥٥٦. وثالثاً : المرحلة الأخيرة من حكم الشاه طهماسب، ومسألة ولاية العهد حتى عام ١٥٧٦. ورابعاً : نهاية حكم الشاه طهماسب عام ١٥٧٦ وبداية تدخل الحريم في شؤون ولاية العهد وفرض الإرادات على العرش. وخامساً : تنصيب الشاه اسماعيل الثاني عام ١٧٧٦ وبداية الصراع على العرش. وسادساً : تنصيب الشاه محمد خدا بنده عام ١٥٧٧-١٥٨٨. وسابعاً : تنصيب الشاه عباس الملقب بالكبير وبداية نهضة الدولة الصفوية (١٥٨٨-١٦٢٩).

اختص الفصل الثالث بدراسة: مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤). أولاً : ضعف السلطة وصعود نفوذ الحريم والخصيان خلال عهد صفي الأول (١٠٣٨-١٠٥٢هـ / ١٦٢٩-١٦٤٢م). ثانياً : تغول قيادات القزلباش في مؤسسات الدولة، وتنامي الصراع خلال عهد الشاه عباس الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧هـ / ١٦٤٢-١٦٦٦م). ثالثاً : تنصيب الشاه صفي الثاني

(سليمان) (١٠٧٧-١١٠٥ هـ / ١٦٦٦-١٦٩٤ م) ودور آغا مبارك وسطوة حاشية القصر .

اما الفصل الرابع: تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش (١٦٩٤-١٧٣٦).

اولاً : تولي الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢ م) العرش الصفوي حتى الاحتلال الافغاني عام ١٧٢٢. ثانياً : فقدان العرش والغزو الأفغاني (١٧٢٢-١٧٢٩ م) ونهاية الدولة الصفوية. ثالثاً: ولادة العهد ابناء السلطان حسين (طهماسب الثاني، وعباس الثالث) ومحاولات الظفر بالعرش الصفوي شكلياً (١٧٢٩-١٧٣٦) .

اعتمدت الدراسة على مصادر عدة من المصادر الفارسية، والعربية، والإنكليزية، فضلاً عن كتب الرحلات، فمن المصادر الفارسية التي اعتمدتها الدراسة كتاب حسن بك روملو (ت بعد ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م)، المعنون: (أحسن التواريخ) في جزئه الحادي عشر الذي تضمن حوادث عهود الشاهات إسماعيل الأول وطهماسب وإسماعيل الثاني، ابتداء من سنة ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م لينتهي بحوادث سنة ٩٨٥ هـ / ١٥٧٧ م، وكتب على صورة الحوليات، فذكر حوادث كل سنة وحدها. وهو من أهم مصادر العصر الصفوي الأول، وكتاب: (زبدة التواريخ) لمحمد محسن بن محمد كريم المستوفي القزويني، الذي عاش بين أواخر (القرن الحادي عشر وأواسط القرن الثاني عشر الهجري/ الـ ١٧ والـ ١٨ الميلادي). والذي يعد من الكتب المهمة لما احتواه من معلومات قيمة بوصفه أحد العاملين في قصر الشاه سلطان حسين، فكان موجوداً في القصر اثناء الحصار الأفغاني، وقد بدأ مؤلفه بشكل مختصر عرض سيرة الشيخ صفي الدين الأردبيلي منذ تسنمه سدة المشيخة في أردبيل حتى الاجتياح الأفغاني وسيطرة محمود الأفغاني على اصفهان وتولي الشاه طهماسب الثاني متناولاً الأحداث التي مرت بها الدولة الصفوية، ويعد من المصادر المهمة اذ اختص بذكر الحوادث الخاصة بالشاهات بشكل محايد. إلى جانب كتابي الباحث الإيراني الدكتور منوچهر بارسادوست، المعنونين (شاه إسماعيل دوم) و(شاه عباس اول)، فهما من المصادر المهمة في دراسة عصري الشاهين اسماعيل الثاني وعباس الأول، اذ يحتويان على معلومات قيمة افادت الدراسة كثيراً لاسيما في الفصلين الاول والثاني. وافادت الدراسة أيضاً من كتاب الباحثة الإيرانية مريم نژاد اكبرى مهربان المعنون (شاه عباس كبير) الذي تناولت فيه حياة الشاه عباس الاول ووضع الدولة الصفوية في عهده، ويعد من المصادر المهمة التي اغنت الدراسة بمعلومات قيمة.

اعتمدت الدراسة على كتاب (تاريخ تحولات سياسي، اجتماعي، اقتصادي وفرهنگي إيران در دوران صفويه) أو: (تاريخ التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في العهد الصفوي) للمؤلفين الإيرانيين البارزين الدكتور عبد الحسين نوائي (١٩٢٣ - ٢٠٠٤م) الباحث، والمحقق البارز، والدكتور عباسقلي غفاري فرد الأستاذ الجامعي المهم والمولود في اردبيل عام ١٩٥١، إذ يستعرض المؤلفان مجمل الأحداث التي مرت بها الدولة الصفوية منذ نشأتها حتى سقوطها وعلاقاتها الخارجية، ويبدو واضحاً أنهما تعاملتا بموضوعية وصدق مع الأحداث. فضلاً عن كتاب (زن سياست وحرمسو در عصر صفويه) أو: (المرأة في قصور الحريم ودورها السياسي في العهد الصفوي)، للباحث الإيراني المعاصر عبد المجيد شجاع (مواليد ١٩٧١م) المهتم بالدراسات الاجتماعية والتاريخية المتعلقة بالحقبة الصفوية^(٢)، فقد جمع فيه المؤلف معلومات دقيقة ومهمة عن دور النساء والخواتم وتأثيرهم في الدولة الصفوية منذ عهد الشاه أسماعیل الأول حتى عهد الشاه سلطان حسين، كما سلط الضوء على دور الخواتم في النظام الإداري لحكومة الشاه سلطان حسين وكيفية وصولهم.

تمت الاستفادة من مؤلفات المؤرخ الكبير الدكتور رسول جعفریان، المولود عام ١٩٦٤م في أصفهان، هو أحد أغزر الباحثين الإيرانيين المعاصرين إنتاجاً، لاسيما كتاب: (صفوية از ظهور تا زوال سالهاي ٩٠٥ تا ١١٣٥ هجري) (الدولة الصفوية من الظهور حتى الزوال من عام ٩٠٥ حتى عام ١١٣٥ هجري) وكتابه الآخر: (نفوذ دويست ساله خاندان محقق كركي در دولت صفوي) أو: (دور عائلة المحقق الكركي طوال مئتي عام في الدولة الصفوية) الصادر عن المكتبة التخصصية لتاريخ الإسلام المعاصر في طهران.

اعتمدت الدراسة على دراسات عدد من المستشرقين منها كتاب المؤرخ البريطاني ادوارد براون (Edward Brown) (المعنون: A literary History of Persia)، أو تاريخ الادب في بلاد فارس، في جزئه الرابع الذي يستوعب المدة الحديثة (١٥٠٠-١٩٢٤م)، وبرز أحداث العصر الصفوي، كما أفادت الدراسة في بعض جوانبها من كتاب (Iran under the Savajids) أو (إيران في العهد الصفوي) لمؤلفه المستشرق البريطاني- الكندي البارز روجر ميرفين سيفوري (Roger M. Savory) (١٩٢٥ - ٢٠٢٢م) الذي يعد أحد أعظم المراجع في

(٢) لمنع الخلط: هناك شخصية سياسية وطبية شهيرة في إيران تحمل الاسم نفسه "سيد عبد المجيد شجاع" وهو طبيب نفساني وعضو سابق في البرلمان الإيراني، لكنه يختلف تماماً عن مؤلف هذا الكتاب.

تاريخ الدولة الصفوية، فهو دراسة تحليلية معمقة للحكم الصفوي في إيران. وكذلك كتاب: (A History of Persia) أو (تاريخ بلاد فارس) للمؤلف البريطاني الجنرال السير بيرسي سايكس (Sir Percy Sykes) (١٨٦٧ - ١٩٤٥م) العسكري، والدبلوماسي، والمستكشف، والمؤرخ الذي عاش مدة طويلة في منطقة الشرق الأوسط وأواسط آسيا، ويُعد واحداً من أهم الخبراء في الشأن الإيراني (الفارسي) خلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. فاستعرض المؤلف في كتابه تاريخ إيران بصورة عامة ودقيقة. وكذلك كتاب: (سقوط السلالة الصفوية والاحتلال الأفغاني لفارس) أو

(The Fall of The Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia)

لمؤلفه المستشرق البريطاني البارز الدكتور لورنس لوكهارت (Laurence Lockhart) (١٨٩٠ - ١٩٧٥م)، وهو من المتخصصين بدراسة تاريخ إيران وكتابه هذا يكاد يكون من أعمق الدراسات في تحليل أسباب انهيار الدولة الصفوية. واسهم كتاب الباحث البريطاني لارنس لكهارت المترجم الى اللغة الفارسية: (انقراض سلسله صفويه) الذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه، ترجمها إلى الفارسية: اسماعيل دولتشاهي، ويكتسب أهمية كبيرة في موضوع دراستنا، إذ تضمن معلومات مفصلة وتحليلات مهمة عن الأسباب التي أدت الى سقوط الدولة الصفوية.

وأفادت الدراسة من كتاب السير جون مالكوم (Sir John Malcolm) (١٧٦٩ - ١٨٣٣م) العسكري، والدبلوماسي، والإداري الإسكتلندي أحد أهم رجال الإمبراطورية البريطانية في الهند والشرق الأوسط خلال أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، المعنون:

(The History of Persia from the Earliest Period to the Present Time),

أو: (تاريخ فارس من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر)، وفيه شرح عن بداية انفصال قبيلة الغزنائيين وسيطرة ميرويس على قندهار واحداث معركة كلناباد وحصار اصفهان حتى تسليم الشاه سلطان حسين التاج الى محمود الأفغاني.

كما كان لكتب الرحالة والسواح الغربيين الذين زاروا إيران حضوراً مميزاً في هذه الدراسة، وقد تمت الاستفادة من كتبهم في فصول الرسالة، إذ انهم كانوا يراقبون الأحداث عن كثب فكتبوا رحلاتهم مما جعلها في عداد المصادر الأصلية لما تحتويه

من معلومات بالغة الأهمية عن الكثير من الأحداث والتطورات التي شهدتها إيران، وتضمنت تفاصيل مهمة تتعلق بمختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، فضلا عن السياسية، وتعد مؤلفاتهم أقرب للحيادية لاسيما في العديد من المواضيع المهمة. أبرزها رحلة السائح الألماني آدام أولناريوس (Adam Olearius) (١٦٠٣ - ١٦٧١م) وهو باحث، ومستشرق، وجغرافي، ورياضياتي وأشهر الرحالة الأوروبيين الذين زاروا المشرق الإسلامي في القرن السابع عشر، وكتاباتهُ تُعد مرجعاً تاريخياً واجتماعياً فائق الأهمية لوصف الحياة في روسيا القيصرية وإيران الصفوية، لاسيما كتابه: (سفرنامه اولناريوس اصفهان خونين شاه صفي) أو: (مذكرات الرحالة اولناريوس في اصفهان خلال عهد الشاه صفي) والذي ترجمه الى الفارسية: حسين كرد بچه.

أسهمت الأطاريح والرسائل العراقية في اغناء الرسالة بمعلوماتها القيمة، إذ وفرت معلومات مهمة لتوضيح بعض جوانبها لما تضمنته من معلومات مهمة، منها: كتاب الأستاذ الدكتور كامل مصطفى الشيبلي (١٩٢٧ - ٢٠٠٦م) أحد أبرز الأعلام في تاريخ الفكر الأكاديمي العراقي والعربي المعاصر، وهو مؤرخ وفيلسوف موسوعي يُعد الحجة الأولى والعمود الفقري في دراسة تاريخ التصوف الإسلامي وتتبع علاقته بالتشيع، المعنون: (الصلة بين التصوف والتشيع)، الذي عالج النزعات الصوفية في التشيع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الأسرة الصفوية، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه قدمها في بريطانيا، والدراسة القيّمة للأستاذ الدكتور طالب محبيس حسن الوائلي، (الصفويون. من الطريقة الصوفية حتى تأسيس الدولة)، وهي في الأصل أطروحة دكتوراه، غطت مرحلة تأسيس الدولة منذ جذورها حتى نهاية عهد إسماعيل الأول ورفدت الدراسة بالكثير من المعلومات وتطرقت الى مرتكزات الشرعية السياسية لدى الصفويون ونسب العائلة.

كذلك كتاب الدكتور علي حسن المكصوسي المعنون (تطورات إيران الداخلية في ظل الاحتلال الافغاني ١٧٢٢-١٧٢٩م) الذي هو بالأصل رسالة ماجستير، فقد اسهم بدور كبير في رفد الدراسة بمعلومات قيمة لا سيما بين ثنايا الفصل الرابع من الدراسة، وكتابهِ الآخر (إيران في عهد الاق قوينلو ١٤٦٧-١٥٠١) الذي هو في الاصل اطروحة دكتوراه، فقدم وصفا دقيقا عن الاحوال السياسية في إيران قبيل صعود الصفويين، فرفد الرسالة بالكثير من المعلومات لا سيما في الفصل التهميدي. واطروحة الدكتوراه (المرأة الإيرانية خلال العهد الصفوي ١٥٠١-١٧٢٢) للباحث عدي سامي فارس المالكي الذي قدم عرضا وافيا عن دور المرأة خلال العهد الصفوي فغطت جميع فصول دراستنا، ورسالة: الباحث

اياد عبد الرحمن شيحان الركابي المعنونة: (التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوية ١٥٠١-١٧٢٢م) الذي قدم فيها عرضاً كاملاً عن تنظيم الدولة الصفوية منذ بدايتها حتى سقوطها في مختلف نواحيها الإدارية والمالية والعسكرية، واطروحة جاسم محمد حسن العدول، المعنونة: (الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول ١٥١٢-١٥٢٠) التي قدمت الحجج التي استند عليها العثمانيون لمرتكزات الشرعية السياسية والخلافة الاسلامية ومسألة تنازل الخليفة العباسي المتوكل على الله الثالث عن الخلافة الاسلامية للسلطان سليم الاول، ورسالة الباحثة شهد عبد الرزاق محمد المعنونة: (القلباش. ودورهم العسكري والسياسي في إيران ١٥٠٠-١٦٢٩م) وهي دراسة قيمه رفدت الدراسة بالكثير من المعلومات لا سيما بين ثنايا الفصلين الاول والثاني، واطروحة الباحثة وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، المعنونة: (مدينة أصفهان في العهد الصفوي. دراسة في اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ١٥٩٨-١٧٢٢) التي عرضت وصفا دقيقا عن أحوال مدينة اصفهان العامة وأبرز المتغيرات التي دفعت الشاه عباس لاتخاذها عاصمة للدولة الصفوية.

أفادت الرسالة من المصادر التاريخية العربية، منها كتاب (تتمة البيان في تاريخ الأفغان) لجمال الدين الافغاني (١٨٣٨ - ١٨٩٧م) أحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي والسياسي في القرن التاسع عشر، ويُعد رائد حركة "الجامعة الإسلامية"، اذ بدأ المؤلف بتعريف قبائل الأفغان واصولها ومن ثم عرض فيه كيف تمكنت هذه القبائل من الاستقلال بقمدهار وهراة ومن ثم بسط سيطرتهم على الدولة الصفوية. وتأتي أهمية الكتاب من أنه طُبع أول مرة في مصر عام ١٩٠١م (أي بعد وفاة جمال الدين الأفغاني بأربع سنوات)، وقام بنشره والإشراف عليه الشيخ محمد عبده وبعض تلامذته اعترافاً بفضل أستاذهم. ودراسة الدكتور وجيه كوثراني: (الفقيه والسلطان) التي درس فيها العلاقة بين السلطة السياسية ورجال الدين من ناحيتي النظرية والسلوك، فقدم رؤية مقارنة بين التجربتين التاريخيتين: العثمانية والصفوية - القاجارية. فضلا عن دراسة الأكاديمي اللبناني عباس إسماعيل صباغ، (تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية)، التي خصصها لمتابعة مواسم الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، ورجع فيها إلى مصادر متنوعة وقدم تحليلات وافيه أفادت منها هذه الرسالة كثيرا، ومن المصادر التاريخية العربية، كتاب المؤرخ اللبناني الدكتور محمد سهيل طقوش، أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة الإمام الأوزاعي في بيروت، المعنون: (تاريخ الدولة الصفوية في إيران ١٥٠١-١٧٣٦)، الذي تناول الدور السياسي للشاهات الصفويون من الشاه اسماعيل الاول الى الشاه عباس الثالث بصورة مختصرة، وفيه معلومات قيمة حول بداية تأسيس الدولة الصفوية ورموزها والشاهات الصفويون، معتمدا على أمات الكتب الفارسية، كما تميز كتابه بالدقة

والتحليل والموضوعية، كما افادت دراستنا من مؤلفات الدكتور رسول جعفريان أستاذ التاريخ في جامعة طهران، لا سيما كتابه (الشيعية في إيران) المترجم الى العربية، الذي اسهم في توفير معلومات مفيدة، ودراسة الاكاديمي اللبناني علي ابراهيم درويش، المعنون: (السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية ١٥٠١-١٥٧٦) والذي هو في الأصل أطروحة دكتوراه، إذ رفدت الدراسة بالمعلومات القيمة، فضلاً عن ما كتبه كل من السيد عباس حسن الموسوي، في كتابه (نشوء وسقوط الدولة الصفوية) بحكم كونه دراسة تحليلية للدولة الصفوية منذ نشأتها حتى سقوطها فقدم من خلال عمله هذا صورة عامة عن الأوضاع التي ادت الى انحدارها، وكتاب الدكتور جسن عثمان المعنون: (منهج البحث التاريخي) الذي انفرد بتقديم تحليل واف عن مسألة انتقال الخلافة العباسية الى العثمانيين، والذي كثيراً ما زعمت الأعلام العثمانية بحصولها.

لقد واجهت الباحث عدد من الصعوبات في مقدمتها صعوبة الحصول على المصادر الفارسية ومن الصعوبات اختلاف تواريخ الأحداث التي تقع أو أحياناً عدم ذكرها على الرغم من الخوض في تفاصيل الأحداث، فضلاً عن ندرة التعريف ببعض الشخصيات سواء أكانوا قادة عسكريين أو وزراء أو رجال دين على الرغم من دورهم الواضح في تلك الأحداث، فضلاً عن ذلك، برزت عراقيل الترجمة من اللغات الأخرى، وما تفرضه من تحديات تتعلق بدقة نقل المعلومات والمصطلحات. كما كان لتشعب الموضوع وتغطيته لعدد كبير من الأحداث السياسية والعسكرية دوراً في تعقيد عملية ربط المعلومات وتحليلها كما لم تتصف بعض المصادر بالحيادية التامة الامر الذي تطلب من الباحث القراءة المتأنية للحصول على معلومات دقيقة تطلبت دراسة هذا الموضوع من جوانبه المتعددة الرجوع الى مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية المتنوعة، ولست ازعم ان جهدنا قد بلغ حد الكمال، ولكن املنا ان تحظى بالقبول والرضا من لدن اساتذتنا الاجلاء اعضاء لجنة المناقشة ليضيفوا معلوماتهم القيمة لتجعل منه دراسة رصينة وعلمية، والتمس منهم مقدماً العذر لكل خطأ، مع تمنياتنا ان تأخذ هذه الدراسة مكانتها في جامعاتنا ومكتباتنا الوطنية. ومن الله التوفيق.

الفصل الاول: قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

اولاً : الاتجاهات العقائدية والسياسية ودورها في نشوء الدولة الصفوية.

ثانياً : أوضاع ايران العامة خلال القرن الخامس عشر الميلادي.

ثالثاً :المصاهرات السياسية بين زعماء الحركة الصوفية ودولة الاق قويونلو .

رابعاً : التنافس والصراع بين أتباع الحركة الصوفية والقوى المحلية اواخر القرن الخامس عشر.

خامساً : تنصيب الشاه اسماعيل على العرش في اواخر عام ١٥٠١.

سادساً : قيام السياسية والادارية، وتصفية الخصوم المحليين حتى عام ١٥١٤.

سابعاً : دور المحقق الكركي في تعزيز السلطة السياسية والدينية للشاه اسماعيل الصفوي .

ثامناً : الصراع الصفوي العثماني عام ١٥١٤، وأزمة ولاية العهد حتى عام ١٥٢٤.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

اولاً : الاتجاهات العقائدية والسياسية ودورها في نشوء الدولة الصفوية.

بعد غزو المغول وسيطرتهم على إيران خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لم يكن بإمكان الغزاة أن يؤسسوا دولة في ديار المسلمين من دون اعتناق الإسلام، ففي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي اعتنق الحكام المغول الدين الإسلامي وشجع بعضهم المذهب الشيعي مؤسسين دولة جديدة، عُرفت بالدولة الإيلخانية، فلما انتهى حكم مغول إيران أو الإيلخانيين تفرد بعض القادة والولاة بإعلان استقلالهم في ولايات إيران، كما برزت أسر عديدة تقاسمت الولايات وتقاتلت في ما بينها واستمر الصراع على السلطة بين العصبية النافذة في أنحاء إيران طوال القرنين ٨ و ٩ هجري/ ١٤ و ١٥ ميلادي، ومن هذه الدول الأسرية: ملوك كرت (٦٤٣-٧٨٤هـ / ١٢٤٥-١٣٨٣م)، وبنو اينجو في فارس (٧٠٣-٧٥٨هـ / ١٣٠٣-١٣٥٧م)، والمظفريون (٧١٣-٧٩٥هـ / ١٣١٣-١٣٩٣م)، والجلالريون (٧٣٦-٨١٤هـ / ١٣٣٦-١٤١١م)، والسربداريون في خراسان (٧٣٧-٧٨٣هـ / ١٣٣٧-١٣٨١م)، الآق قويونلو^(١) (٨٠٦-٩١٤هـ / ١٤٠٣-١٥٠١م)^(٢). وبعدما ظهر إسماعيل الصفوي عام (٩٢٢هـ / ١٥٠١م)، حينها تم الانتقال نهائياً من المذهب السني إلى المذهب الشيعي بطرق متنوعة منذ القرن ١٠هـ / ١٦م فصاعداً فقسم منه أنجز عبر السياسة والقوة، وقسم عبر الثقافة والأدب والحديث والتصوف، وكان للقسم الأخير تأثير مهم في الانتقال المشار اليه^(٣).

(١) الآق قويونلو (الخروف الابيض): طائفه من التركمان سميت بالبايندرية لانتسابها إلى بايندر أحد احفاد أوغوز، وهي الدولة التي اقامتها تلك الطائفة النازحة من تركمنستان واستقرت في ديار بكر واتخذت أمد حاضرة لها وتميزت بإخلاصها لتيemor، ويعد أوزون حسن المؤسس الحقيقي للأسرة والذي قام بإخضاع كردستان وأرمينيا بعد مقتل جهانشاه بن قره يوسف، كما أسقط دولة القرة قويونلو عام ١٤٦٧م كما هزم أبا سعيد التيموري فسيطر على جميع أنحاء ايران تقريباً واتخذ من مدينة تبريز عاصمة له بعد أن تمكن من تحويل الإمارة إلى قوة سياسية كبرى. ممدوح رمضان احمد يوسف، الحياة السياسية والمذهبية للدولة الصفوية في عهد الشاه اسماعيل الصفوي ٩٠٦-٩٣٠هـ / ١٥٢٤-١٥٠١م، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٩ - ٢٤.

(٢) وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط٤، بيروت، ٢٠١٥، ص ١٥٢.

(٣) رسول جعفریان، الشيعة في ايران. دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب: علي هاشم الاسدي، ط٢، مشهد، ١٣٨٨ش / ٢٠٠٩م، ص ٤٨٧.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

فمنذ بداية القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، اعتنق تيمورلنك^(١) (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) الدين الإسلامي على المذهب السني، ومع انه كان غير ميال إلى المذاهب الأخرى، لكنه كان يحترم الشخصيات الدينية التي تدين بالمذاهب الأخرى، كما كان يحترم المشايخ والصوفية والقضاة وال دراويش ويهتم بأمورهم، وكانت أرواحهم وممتلكاتهم أثناء العمليات العسكرية بأمان تام إلى الحد الذي كانوا فيه غير مشمولين بدفع الضرائب والخراج^(٢)، فبعد وفاة تيمورلنك سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م، شهدت الإمبراطورية التي أسسها انقسامات حادة، فانشطرت إلى قسمين شرقي وغربي، كما بدأ الحكام الذين خسروا ممالكهم وسلطانهم بالتحرك ساعين إلى إعادة قوتهم ومجدهم السابقين ورافق ذلك اضطراب سياسي نتيجة غياب نظام يخص توريث العرش لدى التركمان الأمر الذي كان من شأنه أن يُتيح لأي فرد من أفراد الأسرة الحاكمة الاستئثار بالسلطة إذا فشل في كسب ولاء بقية أفراد الأسرة بالإقناع أو بالإكراه، وهذا النظام ورثه التيموريون عن أسلافهم المغول وكان شائعاً لدى معظم القبائل التركمانية وفي ظل هذه التنافس المحموم الذي اتخذ طابعاً دموياً بين الأمراء التيموريين وجد سكان ايران أنفسهم يعيشون في ظل واقع مضطرب حيث كانت المدن تنتقل من يد إلى أخرى تبعاً لتقلب الأحداث فمنذ وفاة تيمور بدأ الصراع بين الامراء التيموريين على المراكز الحيوية فأصبح كل إقليم أشبه بدولة مصغره^(٣) يسيطر عليها أمير يسعى

(١) تيمورلنك: من أبرز حكام آسيا الوسطى، وقد اختلف المؤرخون حول أصله ونسبه. ينتمي إلى قبيلة برلاس المغولية التي اختلطت بالعناصر التركية في بلاد ما وراء النهر، لذلك وصف أحياناً بأنه تركي - مغولي. حاول بعض المؤرخين ربط نسبه بـ جنكيز خان لإضفاء الشرعية على حكمه، إلا أن المصادر المعاصرة له لم تؤكد هذا الانتساب المباشر. وقد استثمر تيمور الإرث المغولي والجغتائي لتعزيز مكانته السياسية، فحمل لقب «كوركان» بمعنى صهر الخان. لذلك ارتبط اسمه بالتقاليد المغولية رغم أن نسبه الجنكيزي بقي موضع جدل تاريخي. يراجع للمزيد: حفظ الله ناصر عبدالله مصلح، تيمور لنك وشخصيته السياسية والعسكرية، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٦-٤٠.

(٢) هانس رومر، شمس الحسن، ترجمه: كامبيز عزيزي، تهران، ١٣٢٣ش/ ١٩٥٥م، ص ٩٩.

(٣) كان إقليم خراسان وعاصمته نيسابور، وإقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وعاصمته أصفهان، وإقليم عراق العرب عاصمته بغداد، وإقليم أذربيجان عاصمته تبريز، وإقليم خوزستان عاصمته شوشتر، وإقليم فارس (إيران) عاصمته شيراز، وإقليم ديار بكر عاصمته الموصل، وإقليم الروم عاصمته قونية. يراجع للمزيد: محمد سالم بكر باعمر، الصراع بين الاسلام والوثنية في إيلخانية مغول ايران على عهدي تكودار خان وارغون خان (٦٨١-٦٩٠هـ/ ١٢٨٢-١٢٩١م)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، الآداب والعلوم الانسانية، مجلد ١٥، ٢٠٠٧، ص ٤-٥.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

لتوسيع نفوذه على حساب جيرانه ، تلك التطورات تمكن شاه رخ حاكم خراسان بعد وفاة والده السلطان تيمورلنك من ان يتخذ هرات عاصمة لمملكته، وحكم للمدة (٧٠٣-٧٤٥هـ/ ١٤٠٥-١٤٤٦م)، فعده بعض المؤرخين من السلاطين الأقوياء ذوي الشجاعة والعدل في تاريخ ايران، بعد ان اتخذ سياسة مغايرة لسياسة أبيه في ادارة الشؤون العامة للبلاد، فبدلاً من الاعتماد على القبائل البدوية المغولية والتركية ورؤسائهم اضحى يعتمد على الأمراء المتنفذين ورجال الدين المستقرين في القرى والأرياف والمدن، على الرغم من ان المؤرخين وصفوه أنه لم يكن سلطاناً شجاعاً ولم تكن له عملية عسكرية تميزه بالشجاعة والاقدام، بل كان على مستوى صفاته الشخصية يلجأ الى الحيلة والغدر مع منافسيه وحتى مع اعوانه^(١). والحقيقة أن الدولة والبيت التيموريين فقدتا تماسكهما بعد وفاة تيمورلنك، فكثر المنازعات والحروب، واستفادت القبائل التركية المقيمة في القسم الشمالي الغربي من إيران من هذا التفكك، وأخذت تقطع أجزاء من ممتلكات الدولة التيمورية، فتمكنت قبائل القره قوينلو^(٢) من الاستيلاء على إقليم أذربيجان في سنة (٨١١هـ/ ١٤٠٨م)، واتسع نفوذ هذه القبائل حتى بلغ بغداد، كما تمكنت قبائل الآق قوينلو من هزيمة القره قوينلو والاستيلاء على الاقليم الغربي من إيران، بينما كان أبناء تيمور يحكمون الاقليم الشرقي من إيران، واستمروا يحكمون هذا الاقليم حتى العام ٩١١هـ/ ١٥١٥م^(٣).

عندما دبّ الضعف في صفوف دويلات المغول في آسيا الصغرى خلال (القرن الثامن هجري/ الرابع عشر الميلادي) برز الآق قوينلو على مسرح الأحداث السياسية وبعد قرن

(١) حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج ٢، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣، ص ٣٩٢.

(٢) القره قوينلو(الخروف الاسود): وهم في الاصل قبيلة (طائفة) من قبائل التركمان بزعامة بيرام خواجه الذي عمل في خدمة السلطان اويس الجلائري، وبعد وفاته تولى الحكم قرا محمد تورمس الذي يعد المؤسس الحقيقي للإمارة، وتولى بعده قرا يوسف، وبعد موته بدأت الخلافات تدب بين زعماء القره قوينلو من اجل انتزاع الحكم حتى تمكن حسن الطويل زعيم الآق قوينلو من هزيمتهم والقضاء عليهم والسيطرة على ممتلكاتهم سنة ١٤٦٧م. يراجع للمزيد: ممدوح رمضان احمد يوسف، المصدر السابق، ص ١٥-١٩.

(٣) عبد المنعم حسنين، ايران في ظل الاسلام في العصور السنية والشيعية، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٨م، ص ٦١.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

صار لهم مركز خاص في ديار بكر وقائد يمثلهم وهو قره عثمان بيك^(١)، الذي وضع المرتكزات الأولى لحكومته فقوي الآق قوينلو شيئاً فشيئاً وأصبحت لهم القوة والافتقار، واستطاعوا ان يضمّوا عدداً من القبائل تحت جناحهم، واستطاع عثمان بيك من إزاحة معارضييه وأعدائه من طريقه ووسع مناطق حكمه على حساب القره قوينلو وضم ماردين والرها (أوديسا) وسيواس وأرزنجان تحت حكمه، وتمكن من ان يجعل اسم الآق قوينلو يرتقي من غموض المراحل الأولى إلى موقع واضح في الخارطة السياسية^(٢)، مرتكزاً على ما امتلكه من مهارة عسكرية وشجاعة شخصية مكنته لقيادة قبيلته وإثبات حضورها بين القوى الإقليمية المتنافسة ومع هذه فقد أخذ اللوم عليه لأنه لم يضع لأبنائه نظم وقواعد لتوريث وانتقال الحكم من بعده، مما جعل الباب مفتوحاً على مصراعيه للخلافات الداخلية ويمكن إرجاع هذا القصور في جوهره الى عدم تحديد منذ البداية لمن سيخلفه ويرث السلطة ، الأمر الذي جعل انتقال السلطة بعد وفاته محاط بالاضطرابات وطموح الورثة المتنافسين وهكذا، فإن إرثه السياسي ظل مرتكزاً على قوته الشخصية أكثر من ارتكازه على مؤسسات ثابتة أو ترتيبات واضحة تضمن الاستقرار بعد رحيله ليتهاوى كل هذا الجهد على اثر المنافسة العائلية^(٣).

(١) عثمان بك: المعروف بقره يولوك عثمان بك، هو مؤسس وسلطان دولة آق قوينلو التركمانية، والتي حكمت أجزاء من شرقي الأناضول وإيران وأذربيجان والعراق من أواخر القرن الرابع عشر حتى القرن السادس عشر الميلادي. عينه تيمورلنك حاكماً على ديار بكر منذ العام ١٤٠٢ م، وشهد عهده بداية تأسيس الدولة وقوة القبيلة. علي حسن علي زبيد المكصوصي، ايران في عهد الآق قوينلو ١٤٦٧-١٥٠١، بغداد، ٢٠١٦، ص ٤٢.

(٢) ممدوح رمضان احمد يوسف، المصدر السابق، ص ١٩.

(٣) محسن بهرام نتراد، بيشن ، ص ١٢٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

ثانياً : أوضاع ايران العامة خلال القرن الخامس عشر الميلادي.

بعد انهيار سلطة الإيلخانات^(١)، في إيران في سنة (٧٣٦هـ / ١٣٣٥ - ١٣٣٦م) أن املاكهم توزعت بين الأسر المغولية ومن بينها الأسرة الجلائرية التي استقلت في العراق بزعامه الشيخ حسن الكبير (تاج الدين شيخ حسن بزرك بن حسين الجلائري)، مؤسس الدولة الجلائرية في العراق، وهو الذي اتخذ من بغداد عاصمة، وكان يُعرف أيضاً بـ"حسن بزرك"، كما برز التركمان الذين تدفقوا على غربي آسيا بسبب الضغط المغولي القادم من خوارزم وأطراف بحيرة آرال وشرق بحر قزوين والخرز، واستقروا في الشمال الغربي، وشمال الجزيرة الفراتية، واستغلوا ضعف إيلخانات إيران بعد وفاة الإيلخان أبي سعيد بهادر في عام (٧٣٦هـ / ١٣٣٥-١٣٣٦م)، فأخذوا يغيرون على مناطق الأطراف، وأشهر هذه القبائل التركمانية التي لها دور فاعل في الحياة السياسية، قبيلتان هما : القره قوينلو الشيعية بزعامه قره يوسف بن قره محمد، والاق قوينلو السنية المذهب، بزعامه أوزون حسن، فسكنت قبيلة القره قوينلو الأراضي الواقعة شمال بحيرة وان في أرمينيا، واتخذت أرغيش الواقعة في شمال شرق البحيرة المذكورة، في حين استقرت قبيلة الاق قوينلو إلى الغرب منها في ديار بكر، واتخذت آمد حاضرة لها^(٢)، ومع بروز اسم الأمير علي بيك، حاكم ديار بكر وريثاً لعرش والده، لم يوفق في حكمه بسبب سياسته الخارجية التي تسببت في تحشيد القوى المعارضة ضده، فضلاً عن ضعف الشخصية القيادية والعسكرية لعلبي بيك، وتهاونه وعدم قدرته على مواجهة أعدائه خلال السنتين الأولى من حكمه على عكس أخيه حمزة بيك، لذا انتقل الحكم إلى حمزة بيك^(٣).

(١) الإيلخان: هو نظام مغولي لإدارة دولة، حكم بلاد فارس وأجزاء من الشرق الأوسط بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، أسسها هولأكو خان حفيد جنكيز خان بعد الغزو المغولي عام ١٢٥٨م. وكلمة "إيلخان" تعني "الخان التابع" أو "ملك فرعي تابع" باللغات التركية والمغولية، وكانت تُطلق على حكام هذه الدولة. تأثر الإيلخانيون بالثقافة الفارسية، واعتمدوا الإسلام ديناً للدولة، وشجعوا العلوم والفنون. جعفر خصبك، العراق في عهد المغول الإيلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨، ص ٢٤.

(٢) محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ٢٦-٢٧.

(٣) علي حسن علي زبيد المكصوصي، المصدر السابق، ص ٤٣-٤٦.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

ويلاحظ أن الأسس المعتمدة لانتقال السلطة كانت تقليدية في حد ذاتها مثل الوراثة العائلية (النسب) فقد اعتمدوا في انتقال السلطة في الأساس على النسب المباشر إلى أسرة قرا يولوك عثمان حيث كانت الخلافة عادةً تنتقل بين أبناء الأمير أو أفراد الأسرة الذكور حيث لم يكن هناك نظام صارم تخضع اليه عملية انتقال السلطة، بل غالبًا ما يُحسم الأمر حسب قدرة الابن أو الأمير على فرض نفوذه عسكريًا أو الحصول على دعم القبائل والقدرة العسكرية والشجاعة الشخصية فكانت القوة الفردية للمرشح على الساحة العسكرية عامل حسم مهم في تحديد من يتولى السلطة غالبًا يكون القائد الأقوى الذي يملك ولاء الجند والقبائل هو من ينجح في السيطرة على الحكم علاوة على ذلك التحالفات القبائلية والدعم المحلي إذ أسهمت القبائل القوية بدور كبير في اختيار الحاكم أو دعمه، سواء عبر الولاء أو المنازعة إن هذا النظام جعل السلطة قابلة للنزاعات المستمرة بين الأبناء أو الأقارب سيّما عند غياب إرادة واضحة من السلطان الراحل، ويرجح ذلك لغياب النظام الواضح لقرا يولوك عثمان الذي لم يحدد خليفة رسمي، ولم يحدد مرتكزات الية انتقال الحكم، ما أدى إلى صراعات بعد وفاته ، نتيجة لذلك كان الانتقال بين الحكام غالبًا ما يمر بتقلبات مضطربة أو بالاتفاق المؤقت بين القوى العسكرية والقبائل، ومن زاوية أخرى المنافسة بين الأبناء والأقارب عادةً ما كان الابن الأكبر أو الأكثر قدرة على فرض سيطرته يأخذ زمام الحكم، لكن هذا لم يكن قاعدة ثابتة وخير مثال على ذلك يمثل صعود علي بن قرا يولوك عثمان ثم حمزة وهكذا بتناوب سريع بعض الاحيان نتيجة النزاعات والتوازنات بين القوة الشخصية والدعم القبلي كان على من يتولى الحكم بعد قرا يولوك عثمان عليه ضمان ولاء القبائل القوية وإلا فقد سلطته سريعًا وهذا يعني أن التوريث لم يكن مجرد انتقال رسمي، بل عملية مستمرة من إثبات القوة والسيطرة على مؤسسات الدولة والجيش^(١).

(١) محسن بهرام نتراد، بيشن، ص ١٢٢-١٢٤.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

ثالثاً : المصاهرات السياسية بين زعماء الحركة الصفوية ودولة الآق قوينلو .

لم تكن لحكومة الآق قوينلو في تلك المرحلة سياسة خارجية مستقلة لضعف بنيتها السياسية الهشة، لذلك عندما وصل حمزة بيك بن قرا عثمان إلى سدة الحكم عام ١٤٣٧م لم يتمكن من أحداث تغييرات من شأنها تعزيز مكانة الحكم والسلطة بسبب الموت المفاجئ الذي اطاق به في سنة (٨٤٨هـ / ١٤٤٤م)، وبعد وفاته استمرت المنازعات والمنافسات على الحكم والسلطة وأنحصر الصراع بين أبناء علي بيك وشيخ حسن بيك حاكم آرزنجان في عهد السلطان حمزة (١٤٣٧-١٤٤٤م)، اذ كان جهانكير ميرزا الوريث للسلطان حمزه ميرزا ، لأنه كان متزوجاً من ابنة السلطان حمزة، لكنه لم ينل التوفيق التام بسبب المشاكل الداخلية والخارجية، وخلال مدة حكمه التي استمرت (٨٤٩-٨٥٩هـ / ١٤٤٥-١٤٥٤م) انشغل بمواجهة الصراعات الداخلية ومواجهة أعدائه الخارجيين^(١).

يذكر أنه حصلت المصاهرة بين القره قوينلو والآق قوينلو ، اذ تزوج ابن جهانشاه أبو القاسم ميرزا من فتاة من أسرة أوزون حسن، كما جلبت قوة أوزون حسن وشجاعته وشدة بأسه أنظار الجميع، كما لجأ جهانكير ميرزا إلى ماردين وهياً نفسه لقيادة هجمات على أخيه، فوظف أمير الآق قوينلو كل شيء معادٍ لجهانشاه، ودارت المعركة بين الطرفين، تم خلالها اسر قائد القوات رستم ترخان وقتله مع جميع أمراء القره قوينلو، فكانت دولة الآق قوينلو بقيادة أوزون حسن الطويل واحدة من ابرز القوى بفضل أهم القادة الذين أنجبته الدولة، فقد استطاع هذا القائد من نقل قبائل بدوية رحّل من سكنة الخيام إلى دولة استطاعت السيطرة على ايران وان تكوّن دولة مترامية الأطراف من خلال الإجراءات والأعمال الكبيرة التي قام بها،وقد نالت الكثير من القوة والمنعة، فقبائل الآق قوينلو أو الخروف الأبيض التي كانت في خصام مذهبي وسياسي على السلطة مع قبائل القره قوينلو كان لها أهمية كبيرة في التاريخ

(١) أبو بكر الطهراني، ديار بكرية، ج ١، تهران، ١٣٣٣ش / ١٩٥٥م، ص ١٥٠.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

السياسي لهذه المنطقة، فاعتنم أوزون حسن زعيم قبائل الآق قوينلو التي كان مركزها ديار بكر حالة الانشقاق الدائم بين جهانشاه وأبنائه^(١).

بدأ شيوخ الصفوية لاحقاً، وتحديدًا من الشيخ الجنيد بن إبراهيم (٨٥١-٨٦٤هـ/ ١٤٤٧-١٤٦٠م)^(٢) في دمج مفاهيم جديدة لتعزيز سلطتهم. فقد بدأوا توظيف الادعاء بالنسب الشريف الذي يمتد إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ما منحهم أساساً مختلفاً للسلطة غير مجرد البركة الصوفية. وصولاً إلى التحول إلى الإمامة، لقد توفرت للشيخ جنيد بعد تسلمه إرشاد الطريقة بين عامي (٨٢٩-٨٦٤هـ/ ١٤٤٧م - ١٤٦٠م) عناصر القوة والحنكة وعوامل السلطة، فاتخذت الطريقة صورة منظمة عسكرية^(٣)، لاسيما بعد بروز أمراء طامحين للسلطة مثل المشعشين^(٤)، فبدأت جموع المريدين وعوائلهم تتوافد إلى أردبيل هرباً من الحرمان وتفاقم الاوضاع، فجمع آلافاً من مريديه ما جعل مخاوف ميرزا جهانشاه قره يوسف (ت ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) تتزايد، فطلب من جنيد أن يخرج بأتباعه إلى أي مكان يشاء فلجأ سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) إلى كردستان، وهناك وردته رسالة من حسن الطويل زعيم قبيلة الآق قوينلو (ت ٨٨٢هـ/ ١٤٦٨م) يدعوهم إلى عاصمته ديار بكر فزوجه أخته خديجة بيكم، بعدها عمل بموافقة أوزون حسن على العودة إلى أردبيل، لمعاودة نشاطه العسكري، فاتخذ طريق الجهاد ضد الكفار وهاجم مناطق القفقاز عندها طلب جهان شاه من السلطان خليل شيروان

(١) حسين مير جعفري، تاريخ تحولات سياسي واجتماعي واقتصادي وفرهنگي در ايران در دورة تيموريان وترکمانان، جاب أول، تهران، ١٣٧٥ش/ ١٩٩٧م، ص ٢٦٠.

(٢) الشيخ جنيد: تولى زعامة الأسرة الصفوية بعد وفاة أبيه الشيخ إبراهيم، ويعد بروزه انعطافة في تاريخ المشيخة أو الأسرة، وذلك حين عبأ قسماً كبيراً من مريديه في تنظيم شبه عسكري وهاجم منطقة شيروان بهدف السيطرة عليها كنقطة انطلاق أولى لدولته، لكنه هزم وقتل بأمر من شيروانشاه عام ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، ومع أن هذه الحرب كانت الأولى في تاريخ الصفويين وانتهت لغير صالحهم، إلا أنها كانت في الوقت نفسه بمثابة البداية لظهورهم على المسرح السياسي كقوة جديدة تطمح في عرش ايران. سلام خسرو جوامير، الشاه عباس الكبير وسياسة الاصلاحية الداخلية في ايران (١٥٧١-١٦٢٩)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٢، ص ١٥.

(٣) الكسندر ادموف، ولاية البصرة ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم التكريتي، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٧٧.

(٤) كامل الشيبلي، الطريقة الصفوية، ص ٢٥-٢٦. يراجع لمزيد من التفاصيل عن المشعشين: محمد هليل الجابري، إمارة المشعشين، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٧٣.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

شاه^(١) (ت ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م) التصدي لجنيد، وبالفعل حدثت معركة أدت الى قتل جنيد وأصحابه سنة (٨٦٤هـ / ١٤٦٠م)^(٢).

عندما وصل حيدر بن جنيد^(٣) إلى زعامة الطريقة، تم دمج هذا النسب الهاشمي مع مبدأ الإمامة الشيعية الإثني عشرية، لم يعد الأمر يتعلق فقط بوراثه منصب شيخ؛ بل بوراثه الحق في الحكم، المستمد من العصمة والحق الإلهي للأئمة. وبذلك، تحول زعيم الطريقة من مجرد شيخ صوفي إلى "نائب للإمام الغائب" أو حتى شخص يكتنفه الغلو في بعض معتقدات القزلباش. ويرى أحد الباحثين: أن الصفويين استغلوا نسبهم إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام (سابع الأئمة) لتبرير زعامتهم الدينية والسياسية، وأن التوريث العائلي للمشيخة هيأ البيئة لتبني عقيدة التوريث للإمامة الشيعية، كونه منح زعماء الطريقة شرعية دينية متزايدة حتى قبل إعلان التشيع^(٤).

نتيجة للسياسة التوسعية التي اتبعتها ازون حسن وتدهور أوضاع دولة القرة قوينلو في أواخر عهده، والتي أدت بمجموعها إلى نشوب صراعات داخلية حادة داخل الأسرة الحاكمة،

(١) يُعدّ السلطان خليل شروان شاه أحد الحكّام الذين حكموا منطقة شروان في القفقاز خلال القرن الخامس عشر، تمكن من تولّي الحكم في فترة مضطربة سياسيًا كانت تشهد تنافسًا قويًا بين القره قوينلو والاق قوينلو، إلى جانب صعود المد الصفوي، فتمكن السلطان خليل في سنة ١٤٦٠م من التصدي للشيخ جنيد الصفوي الذي بدأ آنذاك يتحول من زعيم صوفي إلى قائد عسكري يقود غارات على أراضي القفقاز وبطلب من جيهان شاه تحرك خليل لمواجهة التوسع والمد الصفوي، وانتهت المواجهة بينهما بمقتل الشيخ جنيد، وهو حدث كان له أثر كبير في مسار الأسرة الصفوية لاحقًا، وتميّز خليل خلال حكمه بالقدرة على إدارة العلاقات بين القوى الكبرى لكنه توفي نحو (٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)، ليخلفه ابنه فرخ يسار الذي دخل لاحقًا في صراع مباشر مع الشاه إسماعيل الصفوي. عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية. الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٤١.

(٢) عبد الله رازي، تاريخ كامل ايران. از تأسيس سلسله مادتا انقراض قاجاريه، تهران، ١٣٦٣ش / ١٩٨٥م، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٣) السلطان حيدر: خلف والده في زعامة الأسرة والطريقة وحظي بالحب نفسه الذي حظي به والده لدى أوزون حسن الذي زوجه ابنته حليلة بيكم. ولما مات أوزون حسن ساءت العلاقة بين البيت الصفوي وأسرة الاق قوينلو في أيام السلطان يعقوب، فاضطر حيدر وأتباعه إلى الرحيل من ديار بكر، وهنا فكّر بالانتقام من قتلة أبيه (حاكم شيروان) فأعد جيشاً لهذا الغرض، وميزه بأن جعل أفراد الجيش يرتدون قلنسوة حمراء ذات أثنى عشر شقاً تيمناً بالأئمة الاثنى عشر. ومنذ ذلك الوقت أصبح أتباع حيدر يعرفون بـ(القزلباش) أي حمر الرؤوس وقد لقي الشيخ حيدر حتفه عند مهاجمته شيروان سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م. سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) H. Algar, Some Observations on Religion in Safavid Persia, Iranian Studies (Magazine), Volume 7, No. 1/2, 1974, p. 291.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

وكان أبرز أطراف هذه الصراعات والتناحرات، أبناء جهانشاه وهما: بير بوداق (ت ٨٧٠هـ/ ١٦٤٤م) وحسن علي (ت ٨٧٣هـ/ ١٤٦٩م)، وقد عانى جهانشاه في سنواته الأخيرة من تمرّداتهما المتلاحقة، الأمر الذي عجل بسقوط دولته، اذ تمرد بير بوداق والي فارس، وأعلن العصيان على والده، فانتهى تمرّده بمقتل بير بوداق على يد أخيه محمد، فكان هذا التمرّد بمثابة أول ضربة كبرى لوحدة القره قوينلو، كما تمرّد حسن علي الأخير في أذربيجان في الوقت نفسه (٨٧٠هـ/ ١٦٤٤م) تقريباً، وتمكّن جهانشاه من السيطرة على تمرده بعد حملة عسكرية، وبعد مقتل جهانشاه على يد أوزون حسن (ربيع الآخرة ٨٧٢هـ/ تشرين الثاني ١٤٦٧م)، انهارت دولة القره قوينلو نهائياً وحلّت محلّها دولة الآق قوينلو بقيادة أوزون حسن، تشير هذه الأحداث إلى أن تفكك السلطة داخل أسرة جهانشاه كان بسبب تمرّد أبنائه، وغياب الوريث الكفوء، وغابت أسس تداول الحكم والسلطة، وشاع الصراع على السلطة الذي كان عاملاً جوهرياً في انهيار دولة القره قوينلو، جنباً إلى جنب مع الضغط الخارجي الذي مثله صعود أوزون حسن^(١)، ليحقق هدفه وهدف أسلافه في تشكيل دولة جديدة حكمت ايران حتى العام (٩٠٦هـ/ ١٥٠١م) فاستحق صفة الحاكم المصلح نتيجة لقوانينه الادارية والمالية، وتميّز أوزون حسن بالطموح السياسي، فما إن أتاحت له الفرصة بتولي زعامة الأسرة حتى تمكن من التوسع باتجاه الشمال الشرقي، فاستولى على أرمينيا الغربية والوادي الأعلى لنهر دجلة وأدخل كرد تلك المنطقة في طاعته، ثم توجه نحو الشرق للتوسع على حساب القره قوينلو في أذربيجان وإيران، ففضى على جهانشاه زعيم القره قوينلو كما ذكرنا، وضمّ أذربيجان إلى أملاكه الأمر الذي جعله ان يكون وجهاً لوجه أمام الزعيم أبي سعيد التيموري (٨٥٥-٨٧٢هـ/ ١٤٥١-١٤٦٧م)^(٢) خليفة شاهرخ الذي خرج على رأس جيشه إلى

(١) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢) هو سلطان ميرزا أبو سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تيمور هو أحد أبرز حكام الدولة التيمورية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي اعتلى عرش ما وراء النهر سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م بعد أن تمكن بدعم مباشر من أبي الخير خان الأوزبكي من القضاء على منافسه ميرزا عبد الله ويُعدّ أبو سعيد آخر حاكم تيموري بعد شاهرخ استطاع إعادة توحيد عدد كبير من الأقاليم المهمة التي كانت خاضعة لتيمور، فضم هراة وغزنة وكابل وسيستان ثم خوارزم، ونجح لفترة قصيرة في إعادة مركزية الحكم داخل رقعة واسعة من الدولة كما تميز حكمه بقدرة عسكرية واضحة سمحت له بالتغلب على أحفاد شاهرخ وإخضاع مناطق شاسعة من خراسان وما وراء النهر وفي سنة ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م، وبعد أن قتل أوزون حسن زعيم الآق قوينلو خصمه جهانشاه القرا

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

أذربيجان ليحافظ على حقوقه في غربي إيران، إلا أنه هزم أمام أوزون حسن الذي سيطر بعد هذا الانتصار على جميع أنحاء إيران تقريباً واتخذ تبريز^(١) عاصمة له^(٢).

أصاب جسد أوزون حسن الضعف والهزال نتيجة للفتوحات والجهود التي بذلها، فأجبر على ملازمة الفراش منذ سنة ٨٨٢هـ / ١٤٧٧م، ولم يمض عليه المرض طويلاً فمات، وبموته تداعت قوة الحكومة بسبب الصراع الذي نشب بين أولاده الذكور السبعة، وهم: (خليل، ويعقوب، وزينل، ومقصود، وأغورولو محمد، ومسيح، ويوسف)^(٣)، وأخذت الدولة تتجه نحو الانحلال والانهيار، فالحكومات والإمبراطوريات التي تنشأ على أساس قبلي وعشائري يكون مصيرها الزوال مع زوال مؤسسها الأقوى إذا لم يكتب لها نظام واضح وصارم لتداول العرش وانتقال السلطة بسلمية وسلاسة، فقد جلس ابنه السلطان خليل على العرش بمعية والدته سلجوق شاه بيكم التي طلبت منه ان يحضر في ليلة وفاة ابيه، وعلى الرغم من حضوره الا انه لم يتمكن من الحصول منه على عهد بوراثة العرش وكان خليل يحكم فارس في ايام حكم ابيه، بينما عهد الى اخيه السلطان يعقوب بحكم ديار بكر^(٤). وبعدما جلس

قوينلو واضطربت أوضاع تلك البلاد، استنجد به أمراء العراق وكرمان وأذربيجان، فتوجه نحو المنطقة غير أن رفضه لمصالحة أوزون حسن وثقته المفرطة دفعاه إلى حملة غير محسوبة، فقام أوزون حسن بقطع طرق المؤونة عن جيشه، فانتشر الجوع والعطش بينهم، ثم انتصر عليه وأسر أبا سعيد أثناء فراره وفي رجب ٨٧٣هـ / شباط آذار ١٤٦٩م، قُتل أبو سعيد ليختتم حكماً كان آخر محاولة تيمورية لاستعادة وحدة الدولة بعد شاهرخ. يراجع لمزيد من التفاصيل: بارتولد وبفردج، "أبو سعيد"، دائرة المعارف الإسلامية، م ١، ص ٣٩١-٣٩٣؛ محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٨-١٢.

(١) مدينة تبريز: تقع في أقصى الشمال الغربي من إيران إلى الشرق من بحيرة أرومية، وتُعد قاعدة إقليم أذربيجان وأحد أهم المراكز الحضرية والاقتصادية في البلاد عبر العصور، لما تمتعت به من موقع جغرافي استراتيجي جعلها حلقة وصل بين الأناضول والقوقاز وإيران الداخلية، فضلاً عن دورها التجاري على طرق القوافل. وقد اشتهرت تبريز بصناعة السجاد والأقمشة الحريرية، إلى جانب الصناعات التقليدية والغذائية وصناعات الحديد والصلب ومواد البناء، الأمر الذي منحها مكانة اقتصادية بارزة، حتى وُصفت في بعض المصادر بأوصاف رمزية تعكس ثراءها وازدهارها وهذه المدينة ذات أهمية فأعلن منها الشاه إسماعيل الصفوي سنة ١٥٠١م، من على منبر أحد مساجدها اعتماد المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة الصفوية، وهو إعلان مثّل نقطة تحوّل مفصلية في التاريخ الديني والسياسي لإيران، وأسهم في ترسيخ الهوية المذهبية للدولة الجديدة. نهلة نعيم عبد العالي، الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة تبريز في العهد الصفوي ١٥٠١-١٧٢٢م، مجلة أبحاث البصرة للعلوم الانسانية، مجلد ٤٤ العدد ٣، ٢٠١٩، ص ١٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٣) أبو بكر الطهراني، منبع قبلي، ص ٥٧.

(٤) بديع جمعه واحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٩.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

السلطان خليل على العرش اصبح شاهاً لبلاد فارس عام ١٤٧٨م؛ عمل على إبعاد أخوته عن العاصمة ليحكم باستقلالية بعيداً عن والدته وأخوته^(١).

أما بالنسبة للسلطان خليل فقد أعلن أخوه الصغير يعقوب الثورة ضده في ديار بكر، فخرج يعقوب مع عدد من الأمراء العسكريين وعلى رأسهم القائد سليمان بيك بيجن، وتواجه الطرفان في معركة بمنطقة خوي، فقتل السلطان خليل فيها، وتمكن يعقوب من الجلوس على عرش السلطة (٨٨٤هـ / ١٤٨٠م) وهو لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره^(٢).

رابعاً : التنافس والصراع بين أتباع الحركة الصفوية والقوى المحلية اواخر القرن الخامس عشر.

شكل ظهور الشيخ حيدر بن جنيد الصفوي (ت ٨٦٤هـ / ١٤٦٠م) حفيد الشيخ صفي الدين إسحاق الأربيلي (٦٥٠-٧٣٥هـ / ١٢٥٢م-١٣٣٤م) تحدياً وجودياً للقوى المحلية من حكام الاقاليم ودولة القرة قوينلو، والاق قوينلو، سيما بعد ان وصل الصراع بين الجانبين إلى الحد الذي منع سلطان يعقوب من ارتداء العمامة الحيدرية أمام الناس كما سارت عليه العادة منذ أيام ابيه، خوفاً من ازدياد عدد مريديه^(٣). بعد ان قام حيدر الصفوي بمهاجمة شيروان بحجة الجهاد ضد الشركس وحاصر عاصمتها شماخي، فدفع هذا الموقف السلطان شيروان شاه لطلب العون والمساعدة من السلطان يعقوب، وعلى هذا الأساس جهز جيشاً كبيراً وتوجه نحو شيروان وجرت معركة في ذي الحجة ٨٩٣هـ / كانون الثاني ١٤٨٨م وقتل فيها حيدر وعدداً من مريديه^(٤).

(١) حسين مير جعفري، منبع قبلي، ص ٥٧٣.

(٢) رحيم زادة صفوي، شرح جنكها وتاريخ زندكاني شاه إسماعيل علي صفوي، باهتمام: نور صفوي، تهران، ١٣٣٤، ص ٥٧٨.

(٣) ولتر هينتش، تشكيل دولت ملي در ايران، ترجمة: كيكالوس جهنداري، انتشارات خوارزمي، تهران، ١٣٧٧ش / ١٩٣٦م، ص ١٠٠.

(٤) علي حسن علي المكصوسي، المصدر السابق، ص ٩٠-٩١.

الفصل الاول : قيام الدولة الصوفية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

كان حيدر قد أوصى أن يكون ابنه يارا علي (٨٧٣-٨٩٩هـ / ١٤٦٩-١٤٩٤م) مرشدا للطريقة بعد وفاته، بعد ان كانت الطريقة الصوفية قد أصبحت تنظيمًا عسكرياً روحياً كبيراً يتجاوز حدود الطريقة الصوفية التقليدية ولهذا سعى حيدر إلى ضمان استمرار قيادتها ضمن ذريته المباشرة، امتداداً لفكرة الوراثة الروحية التي بدأها والده جنيد قبله، وتذكر المصادر الصوفية أن حيدر، قبل حملته الأخيرة على الشركس، قد أوصى مريديه وقادة القزلباش بتوريث مشيخة الطريقة من بعده لأبنه يارا علي، وكانت الوصية ذات طابع مزدوج بين الشرعية الصوفية لكون الشيخ هو قطب الطريقة ووريث السر، وشرعية النسب لأنه الابن الأكبر من زوجته تاجلو خانم مما يجعل وراثته مبررة في نظر القزلباش وكانت الطرق الصوفية ترى المرشد وارثاً للسر الإلهي في عائلة واحدة وكان يُنظر إلى الأبناء الذكور بوصفهم أوعية للبركة وكان مريدو الطريقة، لاسيما التركمان، يعتقدون أن سر الولاية لا ينتقل إلا عبر هذه العائلة، لذلك، عندما أعلن حيدر وصيته، لم يُنظر إليها على أنها انتقال للسلطة بل هي مسار طبيعي للسر الروحي، وقد واجهت الوصية اعتراضات ، فكانت محفوفة بالمخاطر، ورغم قبول الوصية من حيث المبدأ، إلا ان سن يارا علي كان لايزال صغيراً عند وفاة والده مما جعل القيادة الفعلية بيد قادة القزلباش، فاتخذوه رمزاً لا أكثر فكان التطبيق الفعلي للوصية بعد مقتل حيدر في ساحة القتال، اجتمع قادة القزلباش في ساحة خانقاه الصوفي^(١)، وأعلنوا ان "المرشد من بعد الشيخ حيدر هو ابنه يارا علي" تنفيذاً لوصيته، وبالفعل فقد اجتمع الصوفية عليه طائفة تهنئته، وأخرى تحرضه على الثأر^(٢)، يتبين إن توريث حيدر للطريقة لأبنه يارا علي لم يكن مجرد رغبة أبوية، بل كان تأسيساً أولي لنموذج وراثي صوفي سياسي في التاريخ الإيراني، تمهيداً لفكرة الملكية^(٣) الصوفية

(١) جمع خانقاه وهي من "خان" بمعنى المحل أو المكان، كان الصوفية يقيمون فيه للعبادة والذكر تحت إمرة شيخهم، كذلك كان مشايخ الصوفية يعقدون فيها حلقات الذكر، ولقد ارتبطت هذه الأبنية بانتشار الحركة الصوفية. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج٤، ص٤٢٣.

(٢) طالب الوائلي، الصوفيون....، ص ٨٨.

(٣) يذكر ان في زمن الشيخ ابراهيم المعروف ب (شيخ شاه) عندما تولى زعامة الطريقة الصوفية ٨٣٠هـ/١٤٢٦م بدأت في عهده تحولات في بنية الطريقة الصوفية بظهور سمات الملكية تتغلغل بتدريج الى جانب مظاهر مشيخة الطريقة الصوفية فأصبح الشيخ يجمع في شخصه هبة المرشد الروحي وملامح الزعامة

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

الوراثية التي سيؤسسها لاحقاً إسماعيل، فوصية حيدر جعلت من "المرشد" منصباً وراثياً داخل عائلته، وأدخلت الصفوية في مسار سياسي سينتهي بقيام الدولة سنة ١٥٠١م، وأراد السلطان الجديد رستم الاستفادة من قدرات الصوفية في سياسته وصراعه، بعدها انقلبت الأحوال ونشب صراع جديد بين الطرفين انتهى بمقتل يارا علي في معركة غير متكافئة بمنطقة شماسي سنة (٨٩٩هـ / ١٤٩٤م)^(١).

اضحى مقتل يارا علي يمثل لحظة انكسار حاسمة في مركزية القيادة للأسرة الصفوية، إذ أنهى وجود الشخصية التي كانت تتصدر المشهد ، بحكم السن والمكانة، وتزعم الطريقة الصفوية، ولم يكن هذا الحدث مجرد فقدان فرد من أفراد الأسرة الصفوية، بل مهد الى مرحلة انتقالية اتّسمت بفراغ السلطة، وبتحوّل الصراع من مواجهة الخطر الخارجي إلى إعادة ترتيب هيكل داخلي، وهي مرحلة تُشير إليها المصادر الصفوية بإيجازٍ دون معلومات وافيه يعكس حساسيتها في خضم هذه التطورات، برز إبراهيم وسليمان بوصفهما أهلاً للقيادة داخل البيت الصفوي، بوصفهما امتداد طبيعي لصلة النسب الذي ارتكزت إليها شرعية الإرشاد الصفوي منذ عهد الشيخ صفي الدين، لكن المصادر تصمت صمتاً شبه كامل إزاء أدوارهما أو مصيرهما ولهذا، فإن اختفاءهما من السرد المعلوماتي ربما يفسر بأنه إقصاء سياسي متعمّد، لا اعتزال طوعي، وإن تحييدهم الذي يرجح أن يكون ربما بعد مقتل يارا علي وقبل تولي إسماعيل الإرشاد، مثّل خطوة أساسية في إعادة إنتاج الشرعية الصفوية، إذ جرى تمهيد السرد التاريخي لتصدير إسماعيل بوصفه الوريث الوحيد للإرشاد وعليه، فإن دراسة مصيرهم في هذه الحقبة لا يهدف إلى استعادة سيرة شخصيتين مهمّتين فحسب، بل يسعى إلى تفكيك منطق التأسيس الصفوي ذاته، وإن جدلية انتقال الارشاد من يارا علي الى اسماعيل قد يكون مرتبطاً بإنتاج أهلية رمزية قابلة للتوظيف السياسي مصقولة بطريقة محكمة ومنظمة، وهو ما لم يُتَح لإبراهيم وسليمان^(٢). في خضم تلك

ذات النفوذ السياسي . محمد وصفي ابو مغلي، ايران. دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، شعبة الدراسات الفارسية، ١٩٨٥م، ص ٢٤٤.

(١) كامل الشيبلي، الطريقة الصفوية...، ص ٢٨.

(٢) حسن روملو، بيشن، ص ٦٨-٧٠؛ إسكندر بيك منشي، بيشن، ص ٢٢-٢٤.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

التطورات المشحونة بالتوتر والصراع السياسي أصبح إسماعيل الأخ الأصغر لعلّي مرشدا كاملا على الرغم من عمره الذي لم يتجاوز سبع سنوات^(١).

من الملاحظ في الأسرة الصفوية منذُ بداية مسيرتها كطريقة صوفية بقيادة الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي، كانت الولاية الروحية أساس السلطة، وانتقال القيادة عادةً من المرشد إلى ابنه، وفق معايير البركة والكاريزما الروحية، لا السن أو القوة العسكرية، فمع الشيخ جنيد وابنه حيدر، بدأ التوريث الصفوي يأخذ طابعاً أكثر تنظيم، على الرغم من أن اختيار المرشد غالباً ما يكون متأثراً بدعم القبائل المسلحة مثل القزلباش، الذين كانوا يضمنون فعلياً استمرار السلطة واستقرارها، حتى مع صغر سن بعض الورثة، كان من الممكن أن يخلفوا آباءهم إذا ارتأى المريدون وقادة القبائل أنهم الأجدر، مع صعود إسماعيل الصفوي إلى السلطة، تحول التوريث تدريجياً من أساس روحاني إلى أساس سياسي وملكوي، حيث أصبح الشاه يمارس سلطة مطلقة، والوراثة محصورة في نسله، لكن غياب القوانين والأسس الثابتة واحتدام الصراعات الداخلية بين الإخوة والأقارب أدى أحياناً إلى قتلهم لضمان ديمومة العرش، ظل هذا النظام يعكس التوازن الدقيق بين الشرعية الروحية والدعم العسكري القبلي، ومن زاوية أخرى، يتبين أن التوريث الصفوي هو رحلة من الولاية الصوفية إلى الملكية السياسية، يعكس الصراع المستمر بين الشرعية الروحية والقوة العسكرية، وكان معرضاً باستمرار للاختلال والصراع، لكنه أسس لبنية الدولة الصفوية وأثر في مسارها التاريخي لفترة طويلة^(٢).

وفي أواخر عام ١٤٩٠م عانى السلطان يعقوب من تدهور حالته الصحية، حتى توفي في ١١ صفر ٨٩٦هـ/ ٢٤ كانون الاول ١٤٩٠م فترك ثلاثة أبناء، هم: بايسنقر ميرزا (٥٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م) والسلطان مراد (٩٠٧هـ/ ١٥١٨م) فضلا عن حسن^(٣) بيك^(٤). فتولى بايسنقر سلطة

(١) مرتضى افندي زاده، المصدر السابق، ص ١٧٨-١٨١.

(٢) هينتش، بيشن، ص ٩٧؛ نجف لك زائي، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٣) تصمت المصادر صمّا مرييا بشأن حياة حسن وتفصيلها على عكس أخويه بايسنقر ومراد، وربما يعود السبب كونه لم يمارس دورا سياسيا واضحا لذا لم يكثرث به المؤرخون.

(٤) ولتر هينتش، منبع قبلي، ص ١١٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

الآق قويونلو، حينها بدأ الضعف يدب في جسد الدولة، ولقد استشر صوفي خليل موصللو^(١) (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩١م) مربي بايسنقر ميرزا الخطر على حكمه، فبدأ يخطط لتقويته^(٢)، ففي ليلة وفاة السلطان يعقوب؛ اقدم موصللو بقتل كل المناوئين لبايسنقر داخل مركز الحكم، لذا تطور الخلاف وأدى إلى نشوب معركة قتل فيها مسيح ميرزا وعدد من أمراء البايندية^(٣). وسرعان ما أعلن القائد سليمان بيغن^(٤) (ت ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) التمرد في ديار بكر فتوجه اليه صوفي خليل موصللو بجيش كبير بصحبة بايسنقر بيك وتواجه الطرفان بمعركة في (١ محرم ٨٩٧هـ / ٤ تشرين الثاني عام ١٤٩١)، قتل فيها صوفي خليل موصللو، ووقع بايسنقر بيك في الاسر، اذ لم يدم حكمه سوى سنة واحدة، إلى أن وصل رستم بيك^(٥) بن مقصود بن أوزون حسن (ت ٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) وعم بايسنقر إلى تبريز وتم تتويجه ملكاً على إيران في عام (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م)^(٦)، وبعد مدة وجيزة اقدم السلطان رستم على إطلاق أبناء

(١) صوفي خليل موصللو: من أكثر أمراء الآق قويونلو قوة ونفوذاً وكان له دور كبير في تنصيب بايسنقر حاكماً على البلاد بعد مواجهة مع مسيح ميرزا واستطاع أن ينتصر عليه ويقتله فنصب نفسه وصياً على بايسنقر صغير السن، ولتثبيت أقدامه قام بقتل الكثير من نواب السلطان مراد بن يعقوب واعوانه، وبذلك أصبح الحاكم الفعلي للدولة. يراجع للمزيد: ممدوح رمضان اليوسف، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٢) حسن الجاف، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٠.

(٣) يحيى بن عبد اللطيف القزويني، لب التواريخ، تهران، ١٣١٤ش / ١٩٣٦م، ص ٢٥٥.

(٤) سليمان بيغن التركماني: والي ديار بكر الذي قاد حركة تمر بالصد من صوفي خليل موصللو وجمع جيشاً كبيراً لحربه وتوجه به نحو تبريز، فلما علم صوفي خليل موصللو بذلك؛ سارع لمواجهته، لكنه قتل في المواجهة، فنصب سليمان بيك نفسه وصياً على بايسنقر وأصبحت أمور البلاد بيده، وذلك أواخر عام ٨٩٦هـ / ١٤٩١م. يراجع للمزيد: ممدوح رمضان اليوسف، المصدر السابق، ص ٢٥.

(٥) رستم بك : أحد أمراء الآق قويونلو البارزين في مرحلة الاضطراب السياسي التي أعقبت وفاة السلطان يعقوب (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) بدأ نفوذه بالظهور خلال صراعاته مع الأمير بايسنقر، ثم أُرسل وسُجن في قلعة النجق بأمر صوفي خليل في ٨٩٧هـ / ١٤٩١م أُطلق سراحه بتحالف بين آية سلطان وإمام النجق سيدي علي، فتوجه بجيش كبير نحو تبريز، وتمكن من هزيمة بايسنقر وأتابكة سليمان بك على مشارف المدينة، فاستولى على العرش في ٨٩٧هـ / ١٤٩٣م واجه رستم تهديداً مستمراً من محاولة بايسنقر استعادة حكمه، فتبنى سياسة براغماتية تمثلت في استغلال العداء الصفوي لبايسنقر، فأطلق أبناء السلطان حيدر الصفوي - علي وإسماعيل وإبراهيم - من سجنهم في اصفخر، وعيّن السلطان علي الصفوي قائداً لجيش كبير وقد أدى ذلك إلى قتل بايسنقر في المعركة الحاسمة، مما أزال آخر منافسي رستم المباشرين أسهم هذا النهج في تثبيت سلطة رستم مؤقتاً، لكنه في الوقت نفسه عزز الدور الصفوي، مما سرّع من انتقال القوة في إيران من الآق قويونلو إلى الصفويين في العقود اللاحقة. للمزيد: ممدوح رمضان اليوسف، المصدر السابق، ص ٢٥ - ٢٦.

(٦) أبو بكر الطهراني، منبع قبلي، ص ٣٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

الشيخ حيدر الصفوي وأهم من سجن قلعة اصطخر^(١) في إقليم فارس في أوائل عام ٨٩٨هـ/ ٢٣ تشرين الأول عام ١٤٩٢م والذين سبق ان سجنهم السلطان يعقوب^(٢). وبعد أن أطلق سراح الشيخ علي بن حيدر كلفهم بمقاتلة شيروان شاه لأخذ ثأر والدهم الذي قتله الأخير، فخاض علي الحرب مع شيروان شاه وحقق النصر عليه^(٣).

قضى رستم بيك خمسة أعوام في الحكم ثم بعدها قام احمد بن اغورولو محمد بن أوزون حسن بالتمرد عليه، وهو الذي كان قد لجأ إلى الدولة العثمانية، فلما علم رستم بخبره خرج لمواجهته، لكن قائد رستم وهو أبيه سلطان غدر بسيدته وخانه، والتحق بأحمد أغورولو، مما تسبب في هزيمة رستم بيك الذي فضل عبور نهر آراس للتوجه نحو جورجيا، في وقت توجه احمد نحو مدينة تبريز ليحكمها^(٤). وبعد حين دارت معركة اخرى في عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م فتمكن احمد من قتل رستم بيك بعد حكم دام خمس سنوات وستة اشهر^(٥)، وليعلن نفسه سلطاناً على دولة الآق قوينلو، لكن حكمه لم يدم أكثر من سنة واحدة، إذ قتل في ١٤ محرم ٨٩٧هـ/ ١٦ آذار ١٤٩٧م على يد معارضيه^(٦)، وبعد مقتله بدأت رياح الانحطاط تهب على دولة الآق قوينلو^(٧).

(١) إصطخر: من أقدم مدن إقليم فارس في إيران، وتقع في منطقة قريبة من شيراز، على مسافة تُقدّر بنحو اثني عشر فرسخاً منها. وهي مدينة تاريخية ارتبطت بالعصر الساساني وما قبله، إذ كانت من المراكز السياسية والعمرانية الكبرى في فارس، ويُروى أنها كانت من مقرات الملوك قبل انتقال الحكم إلى مدن أخرى مثل جور. امتازت إصطخر بموقعها الاستراتيجي داخل وادي خصب تحيط به الجبال، وكانت محاطة بأسوار قديمة تهدمت في بعض الفترات ثم أعيد بناؤها، كما ورد أنها كانت تحتوي على أبنية وقصور ومرافق تعود إلى عصور قديمة. وقد اشتهرت كذلك بوجود مسجد نُسب إلى سليمان عليه السلام في الروايات التاريخية، وبقت مكانتها حتى في العصور الإسلامية، إذ استمرت إصطخر مركزاً حضارياً وعلمياً، كما وصفها الجغرافيون بأنها من أمهات مدن فارس وأقدمها وأشهرها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، بيروت، ١٩٥٦، ص ٢١١.

(٢) رحيم زاده صفوي، منبع قبلي، ص ٥٧٩.

(٣) أبو بكر الطهراني، منبع قبلي، ص ١٢٢.

(٤) حسن روملو، احسن التواريخ، ج ١، ترجمة عبدالحسين نوائي، تهران، ١٣٨٤ش/ ٢٠٠٥م، ص ٣٣.

(٥) يحيى بن عبد اللطيف القزويني، المصدر السابق، ص ٢٥٨؛ ممدوح رمضان اليوسف، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٦) حسن الجاف، المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٢١.

(٧) دونالد ولبر، ايران ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ٨٦.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

وعلى اثر تلك الاحداث برزت شخصية الوند ميرزا، الذي أفاد من أوضاع الفوضى والتدهور في إيران، فتمكن من السيطرة على مدينة تبريز عام ٨٩٩هـ / ١٤٩٩م وتمكن من التغلب على مراد بن يعقوب وجلس على كرسي الحكم في مدينة تبريز عاصمة دولة الآق قوينلو، هو أحد أمراء الأسرة التيمورية الذين استمروا في السيطرة على أجزاء من إيران بعد ضعف الإمبراطورية التيمورية حكم أرزنجان والمناطق المحيطة بها، وكان يمثل مركز المقاومة الرئيسي أمام الشاه إسماعيل الصفوي في بداية توحيد إيران، حيث اعتمد على ولاء بعض القادة المحليين والقبائل التركمانية للحفاظ على سلطته وبرز الوند ميرزا خصماً رئيسياً لإسماعيل الصفوي، إذ حاول منع توسع الدولة الصفوية نحو شمال غرب إيران وعرقلة انضمام القبائل التركمانية إلى الصفويين وامتدت مدة نشاطه بين (٩٠٤هـ / ١٤٩٩م) و(٩١٠هـ / ١٥٠٤م)، حيث خاض معارك عدة مع الشاه إسماعيل، بما في ذلك محاولة إجهاض حكمه، والصراع على أرزنجان وديار بكر أما مسألة وصوله إلى الحكم فقد جاء ضمن ضمن سياق تداول العرش داخل دولة الآق قوينلو، وهي عملية لم تكن قائمة على الوراثة المنتظمة بقدر ما كانت تعتمد على الشرعية النسيبية بانتفاء الأمير إلى البيت الحاكم، وقوة القبائل المؤيدة له فالحكم في الآق قوينلو كان يستند إلى دعم اتحادات القبائل التركمانية و القدرة العسكرية إذ كان الحكم يُنتزع بالقوة عندما يضعف المركز وتوازن النفوذ داخل تبريز فمن يسيطر على تبريز ويكسب ولاء قادتها العسكريين يصبح الأقرب للعرش وبهذه الآليات صعد الوند ميرزا، فلم يكن وريثاً شرعياً مباشراً، بل أميراً استطاع بفضل ظروف الاضطراب أن يفرض نفسه حاكماً فعلياً على تبريز، قبل أن يدخل لاحقاً في الصراع الواسع الذي انتهى بظهور الشاه إسماعيل الصفوي وسقوط حكم الآق قوينلو^(١) مثل الوند ميرزا رمز المقاومة التيمورية أمام صعود الدولة الصفوية، ومدة حكمه تظهر طبيعة الصراع السياسي والعسكري على السلطة في إيران، وفي تلك الاجواء المشحونة بروح السيطرة وبسط النفوذ

(١) حسين مير جعفري، بيشن، ٢٦١-٢٦٧.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

وبروز قوة حكم ألوند ظهر نجم ساطع في الاجواء السياسية الايرانية إسماعيل الصفوي (١٤٨٥ - ١٥٢٤) الذي كان يملك قوى روحانية وأتباعاً كثيرين وقوة عسكرية كبيرة^(١).

استطاع إسماعيل الصفوي السيطرة على قلعة (أياد كويه) ذات الاهمية الاستراتيجية، كما تمكن من السيطرة على أذربيجان، وفي العام ٩٠٥ هـ / ١٥٠٠ م دارت معركة قرب مدينة نخجوان الإيرانية بين إسماعيل الصفوي والوند ميرزا، وتمكن إسماعيل من الحاق هزيمة منكرة بقوات الوند ميرزا، الذي فرّ بدوره من أرض المعركة إلى ديار بكر تاركاً العاصمة تبريز لإسماعيل، فتم تتويجه شاهاً على إيران في الأول من جمادى الآخرة ٩٠٧ هـ، الموافق ٢١ كانون الأول ١٥٠١ م، وبعد مدة قصيرة توفي الوند ميرزا بالقرب من ديار بكر في العام نفسه^(٢). وبهذا الانتصار انتهت دولة الآق قوينلو بعد مدة حكم استمرت من عام ٧٨١ هـ / ١٤٦٧ م حتى سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م، اذ لم تتحسن إدارة البلاد، بل زادت الأوضاع تعقيداً بتصارع أبنائها على السلطة، لذلك قرر إسماعيل القضاء على دولة الآق قوينلو، وبهذا فرض سيطرته على أذربيجان وبقية المناطق المجاورة وإعلان الدولة الصفوية على بلاد إيران^(٣).

خامساً : تنصيب الشاه إسماعيل على العرش في اواخر عام ١٥٠١.

تمكن إسماعيل الصفوي (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) من إعادة توحيد إيران سياسياً، مرتكزاً في مشروعه على منظومة متكاملة جمعت بين الفقه السياسي، والقوة العسكرية ذات الطابع القبلي، وسعى إلى خلع المشروعات السياسية من خصومه، لاسيما العثمانيين، واستثمر الارث الديني لأسرته ونسبها ورصيد نضالها السياسي والعقائدي المتراكم وهو ما اضفى إلى الصفويين ميزة رمزية ومعنوية في مواجهة خصومهم، كما استغل العامل الجغرافي المتمثل في الهضبة الإيرانية^(٤)، التي مثلت عنصراً استراتيجياً وخطاً دفاعياً

(١) رحيم زاده صفوي، منبع قبلي، ص ٨٧.

(٢) حبيب الله شاملوني، تاريخ ايران از ماد تا بهلوي، تهران، ١٣٧٤ ش / ١٩٩٦ م، ص ٥٧٤.

(٣) علي حسن علي المخصوصي، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤) تمتد هذه الهضبة بين هضبة أرمينية غرباً وهضبة بامير شرقاً وتشغل من الشمال سلاسل جبال البرز الممتدة على بحر قزوين، أما الجانب الجنوبي للهضبة فيتكون من سلاسل جبلية تطل على سهول العراق والخليج العربي وبحر العرب، وتضم من الغرب إلى الشرق أقاليم أذربيجان وعراق العجم و كردستان وأقاليم كيلان وفارس وكرمان. طالب محيبس الوائلي، الصفويون...، ص ١١.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

طبيعياً مهماً خلال الصراع العثماني- الصفوي، لما اتصفت به من وعورة التضاريس، الأمر الذي سهّل عليه تنفيذ عملياته العسكرية. مرتكزا على تأييد القبائل التركمانية (القرلباش) والتاجيك وغيرها، والتي شكلت القاعدة الاجتماعية والعسكرية الأساسية، والمحرك الأساس لبنية الدولة الصفوية الوليدة. فاعتمد سياسة مذهبية موحدة بإعلانه التشييع مذهباً رسمياً للدولة، ليكون أداة توّحد إيران سياسياً ومجتمعياً. وبهذا توفرت لإسماعيل صفقا الشاه والمرشد الأكبر، متخذاً من السيف والقلم والدعوة باللسان أدوات متكاملة لتحقيق مشروعه السياسي، مما أتاح له في نهاية المطاف بسط سيطرته على رقعة جغرافية واسعة امتدت من هراة شرقاً إلى ديار بكر وبغداد غرباً، وضمت في نطاقها شيروان^(١) وأذربيجان.

اضحى التنظيم الذي أسسه السلطان حيدر بن جنيد يضم اعدادا كثيرة مكنّتهم من حمل إسماعيل ميرزا من مأواه السري في كيلان إلى أردبيل مقر أسرته والمقر الروحي للأسرة الصفوية، على الرغم من ضغط أمراء الآق قوينلو، وسعيهم الحثيث للقضاء على هذه الأسرة ومريديها الذين أضحووا يشكلون خطراً وهاجساً مقلقاً على الأوضاع السياسية في البلاد، الا ان حاكم اردبيل علي بيك جاكلروا لم يسمح لهم بالمكوث بها، وسمح لهم فقط بزيارة قبور شيوخ الصفوية على ان يغادروا بعد تلك الزيارة واستناداً لتلك التعليمات توجه إسماعيل مع اتباعه ومريديه الى قراباغ ثم الى أرزنجان الواقعة في اسيا الصغرى، لينضم اليه فيها عدد كبير من الاتباع، ومن هناك توجه بعدها الى طالش (على الساحل الجنوبي الغربي لبحر قزوين) على اثر دعوة وصلته من حاكمها محمد سلطان في سنة (٩٠٧هـ/١٥٠١م) بعدها قام اسماعيل بأول عمل هو الانتقام لمقتل والده حيدر، فتوجه إلى

(١) تقع مقاطعة شيروان (بالفارسية: شهرستان شيروان) التاريخية حالياً في شمال شرقي إيران التاريخية، وتحديداً في محافظة خراسان الشمالية. وتعد ثاني أكبر مدينة في المحافظة، وتقع في وادي نهر أتراك بين جبال كويبيداغ وألداغ، وتبعد حوالي ٢٢ كيلومتراً عن الحدود مع تركمانستان. تقع بين مدينة بجنورد (الغرب) وفاروج (الشرق). وهي منطقة جبلية ذات طقس معتدل صيفاً وبارد شتاءً. ويجب التمييز بين هذه المدينة وبين إقليم "شروان" التاريخي الواقع في شرق القوقاز (جمهورية أذربيجان الحالية). كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥، ص ١١٦-١١٧.

الفصل الأول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

ولاية شيروان^(١) في جمادي الأولى/ كانون الأول على رأس جيش من القزلباش مؤلف من ما يقارب من سبعة آلاف مقاتل وهاجم عاصمتها شماخي، وتمكن من الانتصار على الشيروانيين^(٢). وكان بمثابة البداية الحقيقية لظهور كيان مذهبي جديد في إيران، إذ تلقى الشاه إسماعيل دعماً كبيراً من المريدين الذين التفوا حوله بعد مقتل حاكم شيروان، إذ يلاحظ أن أتباع إسماعيل ايقنوا فيه وبأنه المنقذ لهم من الفوضى والانحلال والاضطراب الذي تعرضوا له، وبذلك عزز ذلك النصر الحافز المعنوي لإسماعيل الصفوي وهياً له القدرات والامكانيات المالية والملاكات العسكرية المتمثلة بالقزلباش الذين تمكن الصفويون بجهودهم من فرض السيطرة وبسط النفوذ الصفوي على الهضبة الإيرانية وتحقيق الانتصارات^(٣).

وبعد استقرار الدولة الصفوية؛ انتعشت المصاهرات السياسية منذ عهد الشاه إسماعيل الأول، لا سيما مع قبائل القزلباش التركمانية، بوصفها أداة فاعلة لترسيخ التحالفات القبلية السياسية العسكرية وضمن الولاء. وكانت في مقدمة القبائل التي أقام الصفويون معها علاقات قرابة ومصاهرة سياسية، نظراً للدور المحوري الذي اسهمت به في قيام الدولة الصفوية والدفاع عن الشاه إسماعيل منذ نشأة دولتهم. وفي هذا الإطار، تزوج الشاه إسماعيل الأول من تاجلو خانم^(٤)، التي تنتمي إلى قبيلة موصلو التركمانية^(٥)، في بادره

(١) شيروان إقليم يقع في شرقي القوقاز، تحدّه من الشرق نهر دسلي، ومن الغرب دربند، ويجاوره أرش وشكي، وكان مركزه الإداري مدينة شماخي. يتميز الإقليم بموقعه الاستراتيجي بين أقاليم القوقاز وخطوط التجارة بين الشرق والغرب، ما جعل السيطرة عليه ذات أهمية سياسية وعسكرية لكل من الدولة الصفوية والدولة العثمانية. دخل شيروان تحت سلطة الشاه إسماعيل في أوائل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي ضمن حملة توسعية استهدفت توحيد أقاليم شمال إيران والأناضول الجنوبي الشرقي تحت الحكم الدولة الصفوية، وذلك لتعزيز السيطرة على الأقاليم الجغرافية الحيوية وتأمين الحدود الشمالية مقابل الأتراك العثمانيين. وقد اعتمد إسماعيل في ذلك على القزلباش كقوة عسكرية أساسية لتنفيذ حملاته، وبذلك أصبح شيروان جزءاً من الدولة الصفوية، مما عزز من نفوذ الشرعية الصفوية في المنطقة واستقرارها السياسي لفترة لاحقة. إياذ عبد الرحمن جبر شبحان الركابي، المصدر السابق، ص ٨٩

(٢) طالب محبيس الوائلي، الصفويون...، ص ١٠٦-١٠٨.

(٣) Laurence Lokhart, The Fall of Safavid dynasty and the Afghan, Occupation of Persia, 1958, p. 10.

(٤) تاجلو خانم: هي إحدى بنات خلفا بيك بن حمزة بيك طالش من طائفة الموصلو ومعروفة باسم (شاه بيبي بيكم) وتعتبر من أهم زوجات الشاه إسماعيل الأول الصفوي، اصطحب الشاه إسماعيل الأول زوجته تاجلو بيكم عند ذهابه إلى بغداد عام ١٥١٢م، وبعد زيارة العتبات المقدسة في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمية، دعا الله أن يرزقه بولد ببركة الإمام علي (ع)، فحملت تاجلو بيكم بطفل، وعند العودة إلى إيران في شتاء بارد جدا

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

عكست البعد السياسي^(١) لهذه المصاهرة وأهميتها في تكريس أركان الدولة الناشئة، إن المصاهرات مع أمراء القزلباش أثبتت للشاه بتقديم الولاء والطاعة لهم، وأسهموا بدعم الشاه لممارسة المزيد من النفوذ في المقاطعات التي كان يرأسها هؤلاء الأمراء، كما استثمر أمراء القزلباش هذا الزيجات من خلال اكتسابهم على المزيد من القرب من الصفويين، مما يعني ذلك الحصول على أعلى المناصب في الدولة لهم ولأسرهم^(٢). وفي خضم هذه التطورات ورسوخ الدولة؛ التفت الشاه الى تنظيم دولته الناشئة واستحدث منصب وكيل

حضرته الولادة قرب أصفهان استقر الشاه في منزل والدة رئيس بركة خان، التي ساعدت تاجلو بيكم على ولادة طهماسب، وأرسلت تاجلو بيكم بعد ولادتها رسالة إلى الشاه بيد رئيس بركة خان، لغرض إيصال البشارة له واستلام الهدايا والعطايا ببركة هذا المولود، وعند عودة زوجته إلى أصفهان ورؤية الشاه المولود (طهماسب ميرزا) في أحضان أم رئيس بركة فرح كثيراً، وأمر بإعطاء بإعطاء الهدايا وبعض الأراضي الزراعية إلى أم رئيس بركة، عاشت تاجلو بيكم في حرم الشاه إسماعيل الأول إلى نهاية عهده، وكانت محط اهتمامه ورعايته، وبسبب قوة نفوذها في البلاط الصفوي فكانت لها تدخلات كثيرة في سياسة الدولة من تنصيب وعزل بعض الأمراء والوزراء وحكام الولايات. للمزيد ينظر عدي سامي فارس المالكي، المرأة الإيرانية خلال العصر الصفوي ١٥٠١-١٧٢٢م، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٣م، ص ١٨٢-١٨٣.

(٥) تشير الى عدد من العشائر التي كانت خاضعة للاق قونيلو، ابرزها عشيرة موصلو المهمة وعشيرة برناك اللتان كانت تقع منازلهما في ديار بكر، وقد تمتعت هذه العشائر بأواصر عائلية مهمة، فقد كانت زوجة الشاه اسماعيل الاول ووالدة الشاه طهماسب الاول تنتمي الى تلك العشيرة، كما ان زوجة طهماسب الاول من العشيرة نفسها، فضلاً عن ذلك فقد برز من هذه العشائر عدد من الامراء المشهورين امثال امير خان موصلو، وابراهيم خان موصلو وحفيد خليل بك الصوفي الذي كان من كبار امراء الشاه اسماعيل الاول، الذي فوض منصب المهردار الى امير خان موصلو بعد ان انضم اليه، ويحمل انضمام هذه العشيرة الى الصفويين اهمية كبيرة لدولتهم فقد ساهمت الاواصر العائلية بينهم في تعزيز قدرات الحركة الصفوية والدولة القزلباشية والمذهب الجعفري. رسول جعفريان، اطلس الشيعة، دراسة في الجغرافية الدينية للتنشيع، ترجمه عن الفارسية وراجعه نصير الكعبي وسيف علي، ط١، المركز الاكاديمي للابحاث، ٢٠١٣، ص ٢٦٩.

(١) وفي سياق تكريس الشرعية الدينية، لجأت الأسرة الصفوية إلى المصاهرات السياسية مع علماء الدين؛ فبحكم انتسابها إلى النبي محمد (ص)، حرصت على تعزيز روابطها بالمؤسسة الدينية عبر الزواج المتبادل مع بيوتات العلماء المؤثرة. ويُعدّ زواج رجل الدين نعمة الله اليزدي ذو المكانة والنفوذ من خانيش خانم بنت الشاه اسماعيل مثلاً دالاً على هذا النهج، بما يعكس تداخل المصاهرة بالسلطة في بناء شبكة شرعية تجمع بين النسب الديني والوظيفة السياسية. عدي سامي فارس المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ١٨٠. الجدير بالذكر ان شاه نعمة الله الولي من أعلام التصوف المشهورين في القرنين الثامن والتاسع الهجريين، وقد حظي بمكانة روحية واسعة في الأوساط الصوفية بإيران وما جاورها. ويرجع نسبه — بحسب ما تذكره المصادر — إلى الإمام محمد الباقر(ع)، ولذلك عُرف نسله أيضاً بـ السادة الحسينيين، وهو ما أضفى على طريقته وأتباعه بعداً نسبياً ودينياً أسهم في تعزيز حضورهم الاجتماعي والروحي. المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ١٧٥.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

الشاه^(١)، المنصب الذي جعل زعماء قبائل القزلباش والفرس التاجيك يدخلون في تنافس حول هذا المنصب بوصفه يمثل المكانة الدنيوية للشاه، فضلا عن التسابق على بقية المناصب العليا في الدولة^(٢).

لقد فضل اسماعيل بعد ذلك، من تعقب عدوّه سلطان إبراهيم بن فروخ يسار شاه الذي تمكن من الهرب، فسيطر إسماعيل على مدينة باكو التي وضعت الجيش الصفوي في موضع المواجهة مع ألوند رئيس الاق قوينلو الذي أثر المهادنة على المواجهة في بداية الأمر، فخيرّه إسماعيل، فإما اعتناق المذهب الشيعي والانضمام إليه أو الحرب، لكن ألوند اختار الحرب مغامرا بحكمه وعرشه. وكان إسماعيل آنذاك يحاصر أيضا مدينة كلستان، فرفع الحصار عنها وتوجه لملاقاة ألوند والتقى به في وادي اراكس قرب شرور في (محرم ٩٠٧هـ/ تموز ١٥٠١م) ودارت معركة ضارية انتهت بهزيمة ألوند الذي هرب إلى ارزنجان^(٣).

توجه إسماعيل بعد هذا الانتصار إلى تبريز عاصمة الاق قوينلو، فدخلها واستولى عليها دون مقاومة تذكر واتخذها عاصمة له وأعلن من تبريز المذهب الشيعي مذهباً رسمياً للدولة. وعلى الرغم من تحسب ردود الأفعال من فرض هذا المذهب بحكم ان اغلب سكان تبريز بل وأجزاء كبيرة من ايران كانوا مسلمين على المذهب السني، فأراد اسماعيل الصفوي ان يضع إطارا شرعيا جديدا لدولته غير مبال لكل تلك المخاوف وردود الأفعال، وكان مصير القتل والتهجير لكل من يعارض، فضرب السكة باسمه وكتب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله" ثم كتب اسمه، وأقام الخطبة باسمه، ثم أمر الخطباء والمؤذنين بإضافة تشهد الشيعة في الأذان "أشهد أن علياً ولي الله" وعبارة "حي على خير

(١) الوكيل: منصب مهم في الدولة الصفوية ويعني به (وكيل الشاه أو نائب الشاه) ويمثل الشاه إسماعيل في النيابة الدنيوية والروحانية وله اثر فعال على الحياة السياسية في الدولة الصفوية والنفوذ على المؤسسة العسكرية والإدارية ومن حق الوكيل اختيار الصدر. إياد عبد الرحمن شيحان جبر الركابي، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

(٢) ضامن بن شدمق الحسيني المدني، تحفة الإزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار، مج ٢، ق ٢، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، نشر كتابخانه تخصصي تاريخ اسلام وإيران، طهران، ١٩٩٩، ص ٣٥١-٣٥٢.

(٣) عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٤٥.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

العمل". وأجرى بعد استقراره في تبريز بعض الترتيبات الإدارية لتيسير أمور البلاد فعين حسين بك الله^(١) نائباً له، ومربيه شمس الدين اللاهيجي حاملاً لأختامه^(٢).

لقد أسهم العامل الديني بدور كبير وواسع في توفير الملاكات البشرية والقوى اللازمة والمهمة في الأماكن التي أخذ أصحابها بالطريقة الصفوية، فانتشار الانتماء الصفوي سبق الامتداد الجغرافي للدولة الصفوية الوليدة وعمل على تهيئة الظروف الملائمة والمناسبة للامتداد السريع فيما بعد^(٣). كما أن للعامل القبلي دور واسهام في وضع المرتكزات الرئيسة للدولة الصفوية وسيلاحظ الدور الذي مارسته القبائل التركمانية السبعة وهذه القبائل هي روملو، شاملو، استاجلو، تكة لو، ذو القدر، افشار، قاجار، إذ أن زعماء هذه القبائل هم الذين رفعوا إسماعيل إلى العرش وتوجوه شاهاً عليهم عام ١٥٠١م معلنين بذلك عن قيام الدولة الصفوية^(٤).

سادساً : قيام السياسية والادارية، وتصفية الخصوم المحليين حتى عام ١٥١٤.

لم تكن مساحة الهضبة الإيرانية الشاسعة تفسح المجال أمام الشاه لتهيئة الملاكات اللازمة لأشغال المناصب الإدارية التي تحتاجها دولته الأمر الذي جعله يعتمد على ابقاء أصحاب المناصب السابقين، ومن خلال سياسة الشاه الداخلية هذه استطاع أن يؤمن الأرضية الثابتة لدعم وجوده في المناطق التي تصل إليها امتداداته^(٥). واستطاع الشاه في الحقبة الممتدة من سنة ١٥٠١م-١٥١٠م من أن يسيطر على معظم أرجاء الهضبة الإيرانية من خلال عده حروب ومعارك كان من بينها الحرب مع مراد بن يعقوب حيث ارسل الشاه

(١) حسين بك الله شاملو: قائد قبلي قزلباشي بارز، اضطلع بدور محوري في قيام الدولة الصفوية وتثبيت سلطتها في مرحلتها الأولى. وكان من أبرز أنصار الشاه إسماعيل، كان من الدائرة القريبة لصاحب القرار السياسي. أسهم في التنظيم العسكري للصفويين وشارك في حملاتهم التأسيسية، كما مثل قبيلة شاملو داخل البنية السياسية للدولة الناشئة، جامعاً بين النفوذ القبلي والدور التنفيذي في الحكم، إلى أن انتهى تأثيره بوفاته سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م. اسكندر بيك تركمان، بيشين، ص ١٥٤.

(٢) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٣) أبو القاسم طاهري، تاريخ سياسي واجتماعي ايران از مرك تيمورك تامرك شاه عباس اول، تهران ١٣٤٩ش/ ١٩٣١م، ص ١٤٧.

(٤) عبد العزيز الجواهري، آثار الشيعة الإمامية، طهران، ١٣٤٨هـ، ص ٧١.

(٥) عباس إسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٤٥.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

اسماعيل الاول من جانبه رسالة الى مراد بك وطلب منه ان يدخل في طاعته، الا ان الاخير أصرّ على الحرب مما اجبر الشاه الى السير له بجيشه الذي كان قدر عدده اثنا عشر الفا من القزلباش وفي عام (٩٠٨هـ / ١٥٠٣م)، فتواجه الجيشان ودارت معركة عنيفة لقي فيها مراد بك هزيمة منكرة، وتم اسر حاكم قم إسلامش بن مجير الدين بن لؤلؤ، واعدم بعدها بأمر الشاه إسماعيل، اما مراد بك فقد استطاع الهرب مع عدد من جنوده الى شيراز وهكذا انتهت المعركة لصالح الصفويين، وغنموا منها مغانم كثيرة قسمت بين اتباعه وجنوده وتمكن الشاه من السيطرة على همدان^(١)، وتمكن في عام (٩٠٨هـ / ١٥٠٣م) من دخول شيراز عاصمة إقليم فارس^(٢)، وكان ذلك بمثابة نهاية حكم اسرة الاق قوينلو تماماً من ايران واصبح الجزء الجنوبي من إقليم عراق العجم^(٣) وفارس وكرمان ضمن اطار الدولة الصفوية، وقد مثل هذا النفوذ اول هيمنة صفوية على الهضبة الإيرانية^(٤)، وتمكن الشاه اسماعيل في عام (٩٠٩هـ / ١٥٠٤م) من خوض معركة مع حسين كيا جلاوي (ت ٩١٠هـ / ١٥٠٤م) بعدما استغل ظرف الشاه اسماعيل، فتمكن الشاه من التغلب عليه في معركة دارت بينهم وكان من نتائجها ايضا فتح قلعة كلخندان، وقام في عام (٩١٢هـ / ١٥٠٧م) بقيادة جيش يقدر بحوالي

(١) بديع جمعه واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) يُعدّ إقليم فارس أحد الأقاليم الرئيسية في البنية الإدارية للدولة الصفوية، ويتموضع في جنوبي الهضبة الإيرانية، تحدّه من الشرق أعمال كرمان، ومن الغرب بعض نواحي أصفهان وكور خراسان الغربية، ومن الشمال نطاق صحراوي يفصل بينه وبين إقليم خراسان، في حين ينفّث جنوباً على سواحل الخليج. وقد تشكّل الإقليم إدارياً من خمس كور رئيسية هي: كورة إصطخر، وكورة أردشير خُره، وكورة دارابجرّد، وكورة أرجان، وكورة فارس (شيراز)، وشكّلت هذه الكور وحدات إدارية أساسية في التنظيم المالي والعسكري للدولة الصفوية، لما يتمتع به الإقليم من أهمية اقتصادية وزراعية وتجارية، يراجع للمزيد: حسين ابراهيم مصطفى الجيراني، الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الاسلامي في العصر المملوكي الاول (٦٤٨-٧٨٤هـ / ١٢٥٠-١٣٨٢م)، دار غيداء، عمان، ٢٠١٦، ص ٥١.

(٣) عراق العجم: إقليم تاريخي في قلب إيران، أدى دوراً محورياً في التاريخ السياسي والعسكري للبلاد، لا سيما خلال العصر الصفوي. جغرافياً، يحده من الغرب أذربيجان، ومن الجنوب جزء من العراق وعربستان، ومن الشرق خراسان وفارس، ومن الشمال بلاد الديلم وقرفين. يُعرف أيضاً باسم بلاد الجبل نظراً لتضاريسه الجبلية التي شكّلت حواجز طبيعية مهمة، ساعدت في الدفاع عن المدن وتأمين الممرات الاستراتيجية. محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الامامية، قم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص ٩٣.

(٤) عباس إسماعيل الصباغ، المصدر السابق، ص ٤٦.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

عشرين ألفاً من مقاتلي القزلباش لمواجهة علاء الدولة ذي القدر^(١) وسار في الطريق الذي يمر بالأراضي العثمانية من الشمال الشرقي، ولأن إسماعيل الأول كان يسعى لمنح الشيعة الواقعين تحت السلطة العثمانية القوة والعزم من أجل استقطاب بعضهم اليه، فاستطاع ان يوقع الهزيمة المنكرة بعلاء الدولة بعد معركة استمرت ايام دخل بعدها إسماعيل المدينة وقام بأحراق جميع قبور سلالة ذي القدر، وبعد ذلك دخل ديار بكر وعين عليها احد قادة القزلباش، هو محمد خان استاجلو^(٢) ليدير شؤونها ويقضي على المتمردين في المناطق الواقعة بالقرب منها^(٣).

وكانت خراسان تمثل اخر معاقل الامتداد الصفوي داخل الهضبة الإيرانية فاستطاع الشاه اسماعيل الاول بمعية جنده القزلباش سنة ١٥١٠م من السيطرة عليها، فأمن بذلك دولته من الناحيتين السياسية والإستراتيجية الحيوية لأن خراسان كانت تعد المدخل والمرتكز الرئيس للطرق الآتية من تركستان وأواسط آسيا^(٤)، وبعد أن تمكن من الانتصار على أعدائه ومخالفيه والقضاء عليهم أخذ يعمل على تحويل المجهود الحربي والمد الثوري

(١) علاء الدولة ذي القدر: هو أمير محلي من أسرة ذي القدر برز في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، واستولى على ديار بكر بعد وفاة الوند ميرزا سنة ١٥٠٤م. كان يمتلك نفوذاً سياسياً وعسكرياً ملحوظاً في المنطقة، وتحالف سابقاً مع مراد بك، شكّل تهديداً مباشراً لسلطة الشاه إسماعيل الصفوي. رفض علاء الدولة تبني المذهب الشيعي بصورة كاملة ورفض تزويج ابنته للشاه، كما منع القزلباش في أراضيه من الانضمام إلى إسماعيل أو زيارة الأماكن المقدسة في إيران، مما زاد من خطورة وجوده على الدولة الصفوية الناشئة. توجه إسماعيل الأول في عام ١٥٠٧م، بجيش قوامه عشرون ألف مقاتل من القزلباش لمواجهة علاء الدولة، فخاض معه معركة دامية استمرت ثلاثة أيام، انتصر فيها الشاه، وأحرق قبور سلالة ذي القدر، وأسس سيطرة صفوية مباشرة على ديار بكر من خلال تعيين محمد خان استاجلو لإدارة شؤونها والقضاء على المتمردين.

R. Roemer.; Iran Under the Safavid, Cambridge, London, 1987, p. 16.

(٢) محمد خان استاجلو: هو أحد أبرز أمراء قبيلة الاستاجلو القزلباشية، ومن القادة العسكريين المقربين من الشاه إسماعيل. أسهم بدور فاعل في الفتوحات الصفوية المبكرة، لاسيما في الأناضول الشرقي، إذ عينه الشاه إسماعيل حاكماً على ديار بكر سنة ٩١٣هـ/ ١٥٠٧م. وتمكّن خلال ولايته من هزيمة علاء الدولة ذي القدر، مما عزّز النفوذ الصفوي في المنطقة، وبلغ من قوته ونفوذه السياسي والعسكري حدّاً جعله يُعدّ تهديداً مباشراً للسلطان العثماني سليم الأول في مرحلة التنافس الصفوي-العثماني المبكر. بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ٤٥.

(٣) شهد عبد الرزاق محمد، القزلباش ودورهم العسكري والسياسي في إيران ١٥٠٠م – ١٦٢٩م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٨، ص ٧٠.

(٤) عباس اسماعيل صباغ، المصدر السابق، ص ٤٦.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

الجهادي لدى المنظومة القزلباشية القائمة على الفوضى والتخريب نحو التنظيم والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي من شأنها ان تسهم في بناء فكرة الدولة والاعمار وان تكون بمصاف الدول وامبراطوريات العالم وإعادة بناء البلاد، وسيادة العدل والنظام والهيكلية الادارية، ويبدو أن مصلحة غالبية زعماء القزلباش كانت تكمن في استمرار الفوضى لأنها متعشة الى الغنائم والمكاسب لكونها منظومة قتالية محبة (للجهاد ولقتال)، لذا حاول الشاه إسماعيل أن يمتص هذا المد الثوري ويستوعبه من خلال توجيه الحملات العسكرية إلى الأقاليم المجاورة لتحقيق برنامجيه السياسي الاستراتيجي بالسيطرة على المجال الحيوي لإيران وتأمين الاطار الايراني، وإجبار عناصر القزلباش وقياداتها على الانخراط في التشكيلات الإدارية لدولته وصهرهم في قالب محكم يعزز من بناء الدولة واستقرارها الى جانب التاجيك الفرس وعناصر أخرى أقل أهمية، فسعى سعياً حثيثاً مضنياً إلى إدخال القزلباش في التشكيلات الإدارية لدولته، وفي الوقت نفسه إيجاد معادلة متوازنة بين القبائل التركمانية والتاجيك الفرس، حيث اعتقد كلاهما أنهما الأولى بقيادة الدولة وشغل المناصب العليا فيها، لكن إسماعيل الأول تمكن بحكمة وبعد نظر من بناء دولة قوية موحدة ارتكزت على قواعد سياسية ودينية واقتصادية وإدارية متينة عمرت أكثر من مائتي عام^(١).

سابعاً : دور المحقق الكركي في تعزيز السلطة السياسية والدينية للشاه اسماعيل الصفوي .

أسهم توظيف الخطاب السياسي الرمزي للنسب الهاشمي في تكريس القبول الاجتماعي والديني لحكم الشاه إسماعيل، إذ جرى تقديمه في الدعاية الرسمية بوصفه منسوباً إلى آل البيت، بما يضيف على سلطته بعداً شرعياً-عاطفياً لدى جمهور مسلم تشكلت هويته حول نواة النسب الهاشمي، غير أن هذا البعد الرمزي لم يكن كافياً في ذاته لإضفاء الشرعية السياسية على وفق الرؤية الفقهية الإمامية، الأمر الذي استوجب توظيف علماء الشيعة الوافدين من جبل عامل في بلورة غطاء فقهي منظم للدولة الصفوية، وفي مقدمتهم

(١) طالب الوائلي، الصفويون...، ص ١٠١-١٠٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

المحقق نور الدين الكركي^(١) (١٤٦٣ - ١٥٣٤)، الذي نظّر لفكرة نيابة الفقيه العامة عن الإمام الغائب في القضاء وإدارة الشؤون الدينية، بما يسمح للشاه بممارسة السلطة التنفيذية بوصفه حامي المذهب الشيعي والمنقذ لأحكام الشريعة بإذن الفقهاء. وبهذه الرؤية تبلورت صيغة «تقاسم للشرعية» بين الشاه بوصفه صاحب القوة السياسية، والعلماء بوصفهم مرجعية دينية مانحة للمشروعية، وهو نموذج أسهم في إعادة تشكيل العلاقة بين الدولة والفقه في الفكر السياسي الشيعي خلال العصر الصفوي^(٢).

تلك التطورات برز الاحتياج إلى حل المأزق الناتج من معتقد الغيبة للخروج من تاريخية الانتظار إلى تاريخية الفعل السياسي والمطالبة بحق الولاية العامة. أن نظرية الخلافة عند أهل السنة، قدمت لمن يبغي قيام دولة شيعية مثالا للتقريب والدفع باتجاه التماثل بين وظائف الخليفة ووظائف نائب الإمام، وأن الاجتهاد القائل، بوجود قيام «نائب الإمام»^(٣) بوظائف الإمام المعصوم، جاء يحسم أمر «الغيبة» ومفهوم «الانتظار باتجاه تكريس أمر الواقع بالثورة أو الانقلاب بإقامة ولاية عامة» للفقيه الشيعي، هي في حقيقة أمرها «خلافة» بالمعنى السنّي، ومن خلال معطى التاريخ ومعطى الواقع فإن هذه المسألة

(١) الشيخ الكركي: نور الدين علي بن الحسين بن عبد العال الكركي، المحقق الثاني، ولد في كرك نوح في لبنان ودرس الفقه في بلدته وسافر إلى مصر لدراسة فقه المذاهب الأربعة وقصد النجف لإكمال دراسته الحوزوية وسافر إلى إيران عام ١٥١٠ في عهد الشاه إسماعيل وتولى منصب شيخ الإسلام في أصفهان ورجع بعد ذلك إلى النجف ١٥٢٢ وبقي بها إلى عام ١٥٢٩، ليعود بعدها إلى إيران بدعوة من الشاه طهماسب ١٥٢٩، ليتسلم منصب شيخ الإسلام في الدولة ومنح صلاحيات واسعة من تنظيم أمور الدولة المالية والضرائب والخراج وألف العديد من المؤلفات لخدمة المذهب الإمامي وتوفى في النجف. يراجع للمزيد: وديان ياسين غريب الجبوري، المحقق الكركي ودوره الفكري والسياسي (٨٧٠-٩٤٠ هـ / ١٤٦٥-١٥٣٣ م)، رسالة ماجستير، كلية التربية (صفي الدين الحلي)، جامعة بابل، ٢٠١١.

(٢) وجيه كوثراني، المصدر السابق، ص ٤٠-٥٢.

(٣) نائب الإمام: مصطلح فقهي يقصد به تبوء هذا المنصب إنما ينوب عن الإمام المهدي آخر الأئمة الشيعية الأمامية الاثني عشرية، وينوب عنه فقيه عادل يلي أمور المجتمع وتكون درجة إحكامه بمنزلة إحكام الرسول وأمير المؤمنين، وكانت الفكرة عند الدولة الصفوية تقوم على انتظار خروج الإمام الغائب من سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٤م وتتفق لهذه الفكرة وعدّ رجل الدين المجتهد نائباً للإمام وأولهم الشيخ الكركي. دلال عباس، بهاء الدين العاملي أدبياً وفقهياً وعالمياً، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠١٠، ص ٤١. والجدير بالذكر أن من أبرز علماء الفقه الإمامي الذين أسهموا مبكراً في بلورة فكرة نيابة الفقيه عن الإمام الغائب أو ما يُعرف بـ«النيابة العامة» هو الشيخ محمد بن مكي الجزيني العاملي، المشهور بالشهيد الأول (ت ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م). يراجع للمزيد: جعفر المهاجر، الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة، بيروت، ١٩٨٩، ص ٥٩-٦١.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

مسألة الإمامة أو الخلافة هي التي أسالت دماء المسلمين أكثر من أية مسألة أخرى، وما استل سيف في الإسلام مثل ما استل على الإمامة وما من دولة إسلامية قامت إلا ودخلت في صراع مع أختها الإسلامية لجملة من الأسباب المتعددة بينما يتخذ شعار التكفير المتبادل سلاحاً أيديولوجياً للتعبئة، انطلاقاً من نصوص فقهية محددة، ومن اعتبارات إيمانية وعقائدية معينة في مسألة الخلافة أو الإمامة أو تطبيق الشريعة، وبشكل أساس من ناحية وظيفة الدين في الصراع السياسي، فإن آراء الفقهاء التي ذهبت إلى التمييز والتفريق بين ما سمّوه السياسة الشرعية والسياسة الاصطلاحية وصولاً إلى تحويل الإفتاء والقضاء وهي مهمة مناهضة بالمجتهدين، إلى مؤسسة سلطوية هي مشيخة الإسلام^(١) حيث توزعت السلطة بين السلطان والفقهاء، وبين الهيئة الحاكمة والهيئة الشرعية، فكان السياق ومآله واحداً لدى الدولة السنية (العثمانية)^(٢) ولدى الدولة الشيعية (الصفوية) سواء بسواء^(٣).

(١) شيخ الإسلام: يُعدّ من المناصب الدينية المركزية في الدولة الصفوية خلال عهد الشاه إسماعيل الأول، إذ شكّل أحد الأعمدة المؤسسية التي استندت إليها السلطة الصفوية في إضفاء الشرعية الدينية على الحكم وترسيخ المذهب الإمامي الاثني عشري بوصفه الإطار العقائدي الرسمي للدولة. كما أدّى المنصب وظيفته سياسية غير مباشرة عبر تأطير العلاقة بين السلطة الصفوية والمرجعية الدينية، وتوجيه الخطاب المذهبي بما يخدم مشروع الدولة في بناء هوية مذهبية موحّدة، الأمر الذي جعل من شيخ الإسلام أداة مؤسسية فاعلة في تكريس شرعية الحكم الصفوي وربط الطاعة السياسية بالولاء المذهبي في مرحلة التأسيس الأولى للدولة. إيراد عبد الرحمن شبحان جبر الركابي، المصدر السابق، ص ١١٦-١١٧.

(٢) لا بد من الإشارة إلى أن توظيف لقب «الخلافة» في الخطاب السياسي العثماني سبق عهد السلطان سليم الأول، إذ درج بعض السلاطين الأوائل على إدراج هذا اللقب ضمن منظومة ألقابهم السلطانية بوصفه أداة لتعزيز شرعية الحكم وإضفاء بعد ديني على سلطتهم. فقد لُقّب السلطان مراد الأول (١٣٦٠-١٣٨٩م) في عدد من المراسلات والألقاب الرسمية بلقب الخليفة، كما خاطبه بذلك بعض الأمراء في مراسلاتهم، بما يعكس سعي البلاط العثماني المبكر إلى ربط السلطنة بمفهوم الخلافة وإظهارها بوصفها سلطة جامعة بين السيف والشرع. وسار على هذا النهج كلّ من السلطان بايزيد الأول (١٣٨٩-١٤٠٢م) ومحمد الأول (١٤٠٢-١٤٢٠م)، حيث استُخدم خطاب الخلافة لتعزيز مشروعية الحكم في فضاء سياسي يتنافس فيه عدد من القوى الإسلامية. كما وصف مراد الثاني (١٤٢١-١٤٥١م) عاصمته بأنها «دار الخلافة»، في تعبير رمزي يكشف عن سعي الدولة العثمانية باعتبارها مرشحة لورثة موقع القيادة الإسلامية، حتى قبل انتقال مركز الخلافة فعلياً بعد فتح مصر. ويدلّ ذلك على أن سعي الدولة العثمانية إلى شرعية الحكم العثماني كانت ثمرة تراكم خطاب سياسي-ديني طويل يعمل على نقل مركز الخلافة للسلطنة العثمانية. جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠م، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٢٨٨.

(٣) باسم حمزة عباس، سياسة إيران العسكرية والمذهبية والداخلية وأثرها على السياسة الخارجية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي ١٥٠١-١٥٢٤، مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة، العدد ١٠-١١، ٢٠٠٩، ص ٨١-٨٣.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

ثامناً : الصراع الصفوي العثماني عام ١٥١٤، وأزمة ولاية العهد حتى عام ١٥٢٤.

لقد ايتفق المؤرخون على أن قيام الدولة الصفوية كان بمثابة نقطة تحول كبيرة في تاريخ ايران والشرق بأكمله، فلأول مرة يعلن المذهب الشيعي الاثني عشري مذهباً رسمياً موحداً لإيران كلها في وقت كانت الدولة العثمانية في عنفوان مجدها، وقمة انتصاراتها، وكانت الدولة العثمانية تعد نفسها حامية للمذهب السني والمسؤولة عن العالم الاسلامي كله، لهذا لم تقبل بخروج ايران عن اطار التبعية للخلافة السنية والتحول للمذهب التشيع الاثني عشري مذهباً رسمياً، مما مهد لنشوب الحروب بين الدولتين العثمانية والصفوية، الامر الذي سبب ضرراً كبيراً للعالم الاسلامي^(١).

شكل العثمانيون عقبة كأداء أمام الشاه اسماعيل الصفوي أثارت هذه التطورات تهوؤا جس وقلق السلطان سليم ازاء الدولة الصفوية ومؤسسها الشاه إسماعيل وتعمل على تجذر العداء لأسباب منها ما ظهرت به تلك الدولة من حيوية وقدرات وطموح واسع وتبنى الشاه إسماعيل مشروع النهوض بالشيعية ونصرت التشيع، اذ أضحت الدولة الصفوية تشكل خطراً على الإمبراطورية العثمانية السنية، لاسيما ان الأناضول الشرقية كانت غالبية سكانها من المذهب الشيعي، فأضحى يعتقد السلطان سليم أن امتزاج الأفكار الدينية الشيعية مع الطموح السياسي الذي أظهره الصفويون قد يشجع الرعايا الشيعة في الأناضول على التمرد، فضلاً عن ان قبائل القزلباش كانوا يعتقدون أن الأناضول هي الموطن الأصلي، لذا من البديهي بأن يضمّر السلطان سليم كراهية شديدة للشاه إسماعيل منذ ان كان حاكماً على لواء طرابزون أثناء حكم والده السلطان بايزيد الثاني، وزاد من سخط سليم تعاظم قوة اسماعيل وبلوغها ذروتها حتى غدت تشكل تهديداً خطيراً للوجود العثماني في آسيا^(٢).

(١) بديع محمد جمعة، المصدر السابق، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

وشهدتا صراعاً حاداً بينهما من أجل السيطرة والتوسع في مناطق العالم الإسلامي^(١)، وقامت كل منهما بتبرير صراعها مع الأخرى بمختلف الوسائل الأيديولوجية، وفي مقدمة هذه الوسائل التعبئة الدينية، على وفق طقوس معينة في ممارسة الشعائر الدينية: سواء الشعائر الصفوية لدى العثمانيين أو الشعائر الحسينية لدى الصفويين، وعلى وفق اجتهادات كلامية وفقهية مذهبية معينة الإمامية الإثني عشرية لدى الصفويين، والمذهب السني - الحنفي لدى العثمانيين، الأمر الذي أضفى على صراع الدولتين السياسي والاقتصادي والاستراتيجي في مناطق العالم الإسلامي صبغة دينية مذهبية، انعكست بدورها على أوضاع عموم المسلمين تشتتا وتفرقا واضطهادا وتصفية. وهذا ما عاناه سنة إيران، وكذلك شيعة الأناضول و العراق بمذهبيه السني والشييعي ابتداء من القرن السادس عشر الميلادي، تاريخ انفجار الصراع بين الدولتين^(٢).

وبعدما اعتلى سليم الأول عرش السلطنة العثمانية سنة (٩١٨هـ/١٥١٢م)؛ أضحت العلاقة مع الصفويين أكثر تعقيدا وشكلت منعطفاً خطيراً؛ تطلب من السلطان مجموعة من الترتيبات المهمة لأنه سيتواجه مع دولة يدّعي شأها النسب العلوي، وما يعنيه من مشروعية في نظر الكثير من المسلمين، فعمل السلطان سليم على نشر الدعاية المضادة لإسماعيل الذي اتهم بأنه: "رجل جاف أجمع على الملاحدة وأحزاب الشيطان، ادّعى الربوبية، وأن عسكره يسجدون له ويأتمرون بأمره، وأنه قتل العلماء وأحرق كتبهم ومصاحفهم ونبش قبور المشايخ من أهل السنة"، كما وصفه العثمانيون^(٣).

(١) يُروى أن العثمانيين حاولوا في عهد السلطان محمد الفاتح إضفاء نسب عربي على أسرتهم الحاكمة، مدّعين انحدرهم من قبيلة حجازية كانت تقطن وادي الصفراء. وقد أسهم شيوع هذا الادعاء في تأزيم علاقاتهم مع دولة المماليك وتفاقم التوتر السياسي بين الطرفين. طالب الوائلي، إيران....، ص ٢٤٣.

(٢) رسول جعفریان، نفوذ دويست سالة خاندان محقق كركی در دولت صفوی، كتابخانه تخصصي تاريخ اسلام معاصر، قم، (د.ت)، ص ١٠.

(٣) . نقلا عن طالب محييس الوائلي، إيران....، ص ٢٤٣.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

وانطلاقاً من أهمية خراسان^(١) أسس الشاه إسماعيل الأول عرفاً سياسياً- إدارياً يقضي بإسناد حكم إقليم خراسان^(٢) إلى الابن الأكبر للشاه القائم بالحكم، وهو تقليد لم يكن عبثياً؛ بل جاء متلائماً مع المكانة الخاصة التي حظيت بها خراسان في البناء السياسي والعسكري للدولة الصفوية، فقد جسد هذه الإقليم خطّ الدفاع الشرقي للدولة الصفوية، ومثل مسرحاً دائماً للتوتر مع القوى الإقليمية المنافسة، لاسيّما الأوزبك، فضلاً عن رمزيته الدينية كونه تضم مرقد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) ثامن أئمة آل البيت (عليه السلام)، وموقعها الاستراتيجي في ممرات الطرق والتجارة. ومن ثم، عُدّ تولية الابن الأكبر على خراسان شكلاً من أشكال الإعداد المبكر لولاية العهد، وإشراكه عملياً في إدارة شؤون الحكم واكتساب الخبرة السياسية والعسكرية. وقد تجسد هذا التقليد بوضوح عندما عهد الشاه إسماعيل الاول في حياته، بحكم خراسان إلى ابنه الأكبر^(٣) طهماسب ميرزا، ليطلع على مجريات أنماط الحياة

(١) حظيت خراسان بعناية خاصة بالأثر المنسوب إلى قدم الناقة التي كانت تحمل النبي صلى الله عليه وسلم، والذي أُودِع في المسجد الكبير الذي شُيّد في مدينة مشهد بإقليم خراسان. وقد أضفى وجود هذا الأثر بعداً مقدساً على المكان، إذ عُدّ من الآثار الدينية التي حظيت باحترام المسلمين وتوقيرهم، وأسهم في ترسيخ مكانة مشهد بوصفها فضاءً ذا حرمة دينية، يُقصد للتبرك والزيارة، لما يمثله الأثر من اتصال رمزي بالسيرة النبوية الشريفة. محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٠.

(٢) خراسان: إقليم واسع يقع في شمال شرق إيران ويمتد حتى حدود أفغانستان، ويتميز بتنوع جغرافي يشمل سهولاً واسعة وجبالاً وسهولاً خصبة، ما جعله منطقة استراتيجية هامة اقتصادياً وعسكرياً. في العهد الصفوي، اعتُبر خراسان محورية جغرافية وسياسية كبرى للدولة، لكونه الحد الشرقي الذي يحمي الدولة من الغزوات والتهديدات القادمة من الشرق، كما يُعد قريباً نسبياً من الحد الغربي للدولة العثمانية، ما جعل السيطرة عليه أمراً حيوياً لضمان الأمن الداخلي للصفويين. أسهم الإقليم أيضاً دوراً محورياً في تعزيز سلطة الشاه وشرعيته السياسية، إذ ضُمَّت مدنه الحصينة مثل مشهد ونيشابور وسبزوار إلى الإدارة الصفوية، وتم ضبط الطرق التجارية والحدود الحيوية لضمان استقرار الدولة واستمرارية نفوذها في المنطقة. ويُظهر هذا الوضع كيف أن خراسان لم يكن مجرد إقليم جغرافي، بل مفتاحاً استراتيجياً في التخطيط السياسي والعسكري للصفويين، مما عزز مكانة الدولة على المستويين الإقليمي والدولي في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٣) كان للشاه إسماعيل الاول حتى عام ١٥٢٤ عدداً من الأولاد هم بالترتيب: طهماسب، سام، القاص، بهرام. علي إبراهيم درويش، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية، بيروت، ٢٠١٣، ص ٩١. اما بناته فهن: پريخان خانم، فرح انكيز بيگم، شاه زينب بيگم، خانش بيگم، سلطانم، مهر بانو سلطان. شرف خان البدليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، ج ٣، ط ٢، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٦م، ص ١٥٨.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

المختلفة في هذه المدينة ويتقن كيفية التعامل معها. في بادرة هدفت إلى تكريس الاستقرار في الإقليم وضمان استمرارية السلطة داخل الأسرة الصفوية^(١).

وطهماسب ميرزا هو الأبْن البكر للشاه إسماعيل الاول ولد في ١٣ ذي الحجة ٩١٩هـ/ ٢١ شباط ١٥١٤م) في قرية شهاباد قرب مدينة أصفهان^(٢) من أم تركمانية اسمها تاجلو بيكم واسمه وكنيته عند ولادته "أبو الفتح طهماسب ميرزا"^(٣). وقد عيّنه والده منذ أواخر العام (٩٢٢هـ/ ١٥١٥ م) حاكماً على خراسان^(٤)، وارسله في مهده مع مربيته^(٥)، فوصل طهماسب إلى هراة مركز إقليم خراسان في بداية نيسان (٩٢٣هـ/ ١٥١٦م)^(٦). ومن المعروف أن الشاه إسماعيل كان كثيراً ما يستشير زوجته تاجلو بيكم في الكثير من المسائل والقضايا المتعلقة بالسياسة العامة للدولة، بسبب ما تتسم به من الشجاعة والحكمة لاسيما بعد واقعة جالديران^(٧)، بسبب كثرة الخسائر التي دفعت الشاه إسماعيل إلى اتخاذ العزلة وقضاء معظم وقته في شرب الخمر واللهو ومجالسة الحريم، فأضحى ليلاً في حالة سكر وفي النهار نائماً، وعلى أثر هذا الوضع اضحى لتاجلو بيكم دور رئيس في التحكم بجميع شؤون البلاط من عزل بعض الأمراء وتنصيبهم، وتدرجياً تمكنت من تهيئة الظروف الملائمة لتنصيب ابنها الأمير طهماسب ميرزا ولياً للعهد، وتميرير آرائها على الشاه

(١) نصر الله فلسفي، جنك جالدران، چاپخانه دانشگاه تهران، تهران، ١٣٣٢هـ.ش/١٩١٣م، ص ٧٠.

(٢) ميرزا محمد معصوم، تاريخ سلاطين صفويه، سعي واهتمام: أمير حسن عابدي، انتشارات بنياد وفرهنگ ایران، تهران، ١٣٥١هـ.ش/١٩٣٣م، چاپ شد، ص ١٢؛ محمد الحسون، حياة المحقق الكركي وأثاره، ج ١، دار الاحتجاج، قم، ٢٠٠٢، ص ٣٥٧؛ محمد رضا الحكيمي، بداية الفرق نهاية الملوك، دار الفردوس، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٤٣.

(٣) عباس الغزاوي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥١.

(٤) ضامن بن شدم الحسيني المدني، المصدر السابق، مج ٢، ق ٢، ص ٣٥١.

(٥) احمد ماهوان، تاريخ مشهد الرضا عليه السلام، چاپ دوم، دفتر جغرافياي وانتشارات ماهوان، مشهد، ١٣٨٨هـ.ش/١٩٦٨م، ص ١٦٩.

(٦) طالب محبيس الوائلي، ايران...، ص ٢٧٧.

(٧) جالديران: هو سهل يطلق عليه جالديران يقع شمال غربي تبريز ويبعد عنها حوالي ٩٦ كم تقريباً، وترتب على هذه المعركة خروج الكثير من الأراضي الصفوية في شرق الأناضول، وأذربيجان، وكوردستان، وشمال العراق من يد الصفويين، واستيلاء العثمانيين عليها وانكفاء الصفويين داخل أراضيهم لمدة طويلة من الزمن. للمزيد ينظر: طالب محبيس الوائلي، ايران...، ص ٢٥٦-٢٧٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

إسماعيل وإبعاد القاص ميرزا ابن شاه إسماعيل من زوجته الأخرى خان بيكي خانم من ولاية العهد^(١).

عليه فقد أوكل الشاه مهمة الوصاية ورعاية ابنه إلى أمير القزلباش في خراسان أمير خان موصلو^(٢)، وكلفه بإدارة الأمور فيها، وعيّن غياث الدين محمد بن يوسف الرازي^(٣) بمنصب صدر^(٤) خراسان، وذلك في ربيع عام ٩٢٣هـ/١٥١٦م^(٥). كما أسند الشاه مهمة تعليم طهماسب ميرزا وتدريبه وتربيته، بعد إن بلغ الرابعة من عمره، إلى مير غياث الدين محمد أحد كبار العلماء ورجال الدين المعروفين بالتقوى والمهارة في التعليم، وكانت له مكانه كبيره بين رجال الدين في خراسان، إلى جانب اسناد الشاه له كذلك مهمة إدارة أراضي الأوقاف في خراسان ووسط ايران، بل لقد أمر الشاه في عام (٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م) بتعيينه وصياً على طهماسب ميرزا^(٦)، مما اثار هواجس وقلق أمير خان الذي عمل على مضايقته، لكن الشاه اخذ منحى غياث الدين محمد وارسل له في تشرين الثاني عام (٩٢٦ هـ/

(١) عدي سامي فارس المالكي، المرأة الايرانية...، ص ١٨٨.

(٢) أمير خان موصلو: أحد أمراء القزلباش المهمين كان له الدور الكبير في بداية الدولة الصفوية وتولى أمور مدينة بلخ قبل ١٥١٤، جعله الشاه إسماعيل وصياً على طهماسب ميرزا الرضيع عندما أرسله إلى خراسان كوالٍ عليها عام ١٥١٦، وبقي أمير خان الحاكم الفعلي لخراسان حتى ١٥٢٢، فاستبد بأمور الولاية في آخر أيام وصايته، وقام بقتل الأمير غياث الدين محمد بن يوسف الهروي من سادات خراسان، فغضب الشاه عليه واستدعاه إلى العاصمة تبريز وتوفى فيها بعد وصوله بأيام قليلة إثر مرض عضال الم به عام ١٥٢٢. طالب محبيس الوائلي، الصفويون...، ص ٢٧٦-٢٧٩.

(٣) غياث الدين محمد بن يوسف الهروي الرازي: ينتهي نسبه إلى الحسين الأصغر بن علي السجاد بن الحسين (عليهم السلام)، ولد في خراسان، وسافر مع والده في عهد السلطان حسين ميرزا إلى هراة، ونشأ فيها، وتعلم ودرس العلوم الدينية والعلمية، واشتغل كرجل دين وقاض، قتله أمير خان موصلو عام ١٥٢١. حسين الشاكري، ربع قرن مع العلامة الأميني. شذرات من حياته الشريفة، مطبعة ستارة، قم، ١٩٩٦، ص ١٨٦-١٨٧.

(٤) الصدر: أحد الوظائف المهمة في الدولة الصفوية وله أهمية بالغة، وهو منصب ديني أعلى للدولة بالدرجة الأساس مع انه يحتفظ بالخصوصية الرسمية ووظيفة الصدر خاصة على أمور الشاه وعامة على الأملاك العامة للدولة، وله كذلك الإشراف على تعيين أئمة الصلاة والمساجد وحضور مجالس القضاء والفصل في بعض القضايا القضائية، وتطور هذا المنصب في عهد الشاه طهماسب وأصبح شبه وراثي. إياد عبد الرحمن شيحان الركابي، المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

(٥) حسن الأمين، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦١-٦٢.

(٦) طالب محبيس الوائلي، الصفويون...، ص ٢٧٧.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

١٥٢٠م) الشيخ أبو سعيد لمتابعة أمور خراسان والكشف على أحوال غياث الدين وطهماسب ميرزا ومتابعة تصرفات أمير خان الذي أهتم بمعاملة غياث الدين بمودة وتقدير طوال تواجد مبعوث الشاه، لكن ما إن غادر الشيخ أبو سعيد خراسان حتى عاد أمير خان إلى تصرفاته السابقة مع غياث الدين، وهو بهذا اضحى متمرداً على تعليمات الشاه، وتزايدت تصرفاته السيئة ضد غياث الدين خلال هجوم عبيد الله خان أوزبك على خراسان وفرض حصار على هراة في بداية حزيران سنة (٩٢٧ هـ / ١٥٢١م)، فاخذ الصدر غياث الدين يدافع عن المدينة، وحين طلب مساعدة أمير خان؛ ردّ عليه بجفاء وقسوة، الامر الذي جعل الصدر يصرّ على الذهاب إلى أصفهان حيث يقيم الشاه بعد انقضاء حصار الأوزبك على هراة في ١١ حزيران من العام نفسه، ليشكو للشاه تصرفات أمير خان^(١).

وسعيًا من أمير خان موصلو إلى تبرئة نفسه من تهمة التقاعس عن مواجهة الأوزبك ومخالفته أوامر غياث الدين؛ بادر إلى مراسلة الشاه المقيم في تبريز طالبًا النجدة. واستجابة لذلك؛ أرسل الشاه قوة عسكرية بقيادة دورميش خان وزينل سلطان لإسناد حامية هراة. غير أنّ عبيد الله خان، وأمام صمود الحامية وشدة مقاومتها؛ اضطر إلى التراجع، مكتفيًا بمهاجمة القرى والقصبات الواقعة في طريقه، حيث أعمل فيها السلب والنهب. فلما علم أمير خان^(٢) بنوايا غياث الدين أمر بسجنه ومن ثم اغتياله في اليوم التالي (١٣ حزيران ١٥٢١م) ومصادرة كل أمواله وممتلكاته، وبعث الى الشاه يوضح خيانة غياث الدين

(١) علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٢) طالب محيبس الوائلي، ايران...، ص ٢٧٧-٢٧٨.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

واتصالاته مع محمد بابر شاه^(١) (١٤٨٣-١٥٣٠) ملك مغول الهند، ويحثّه على تسلم الحكم في خراسان^(٢). لكن هذه المزاعم لم تتطوي على الشاه إسماعيل، ودعا أمير خان موصلو إلى الحضور إلى تبريز للتحقيق معه حول اغتيال غياث الدين، فماطل وتحجج وتهرب من الحضور متخذاً من طهماسب صغير السن رهينة تؤويه من قسوة الشاه وبطشه، وفي خضم هذه التطورات عين الشاه ابنه الثاني سام ميرزا^(٣) حاكماً عاماً بدلاً من طهماسب، وتكليف ابن أخته دورميش خان^(٤) بمرافقته كونه أمير أمراء خراسان (٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م)^(٥). وكان على الأخير القبض على أمير خان موصلو وإرساله إلى تبريز وتحرير طهماسب من سيطرته، فأرسل إليه في سبزوار يشعره بالأمان وأنه لا يزال حاكماً لخراسان، كما ذهب إليه بقوة محدودة كي لا يثير رييته ويدعوه للعودة، فنجحت الخطة ورجع إلى هراة، ومن هناك أرسله دورميش خان للشاه برفقة طهماسب، لكن القدر لم يمنحه فرصه ؛ بعدما وصل

(١) بابر شاه: ظهير الدين محمد، ملك الهند ومؤسس دولة المغول في الهند وخلف جده عمر شيخ بن السلطان التيموري أبا سعيد، ودخل في سلسلة حروب مع شيبانيي خان أوزبك خسر على أثرها جميع أراضيها في ما وراء النهر خلال سنوات ١٥٠٠-١٥١٢ ولم تبقَ لديه سوى مدن كابول وقندهار والبنجاب، وبعد مقتل شيبانيي خان عام ١٥١٠ على يد الشاه إسماعيل استرد بابر سمرقند وبخارى من جديد، لكنه تركها بعد أن استجمع الأوزبك قواهم من جديد، واخذ يعد العدة لدخول الهند وخلال الأعوام من ١٥١٩-١٥٢٦ استطاع من السيطرة على كامل أراضي قبائل الأفغان وشمال الهند والقضاء على دولة اللودهييين في دلهي، وبذلك سيطر على شمالي الهند، وبقي بابر في دلهي لغاية وفاته عام ١٥٣٠. للتفاصيل يراجع: أشرف طه ابو الذهب، المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢١.

(٢) شرف خان البديسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) سام ميرزا: ابن الشاه إسماعيل وأخو طهماسب وليس شقيقه، ولد في ايلول ١٥١٧، عينه أبوه حاكماً لخراسان في ١٥٢٢ تحت وصاية دورميش خان شاملو، وكان سام ميرزا أحد أبرز شعراء الدولة الصفوية وألف كتاب تحفة سامي في أسماء الشعراء وأحوالهم. آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٩، ق ٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٥٣ م، ص ٤٢٣. وسيرد الحديث عنه في الموضوع التالي في الصفحات القادمة من الرسالة. أما بشأن بقية اخوة الشاه طهماسب المتبقين وهم القاص وبهرام فسيرد ذكرهم أيضاً في القادم من صفحات الدراسة.

(٤) دورميش خان: دورميش خان بن عبيد بيك شاملو ابن أخت الشاه إسماعيل وأحد أمراء البيت الصفوي، وكان له الدور الكبير في مقاومة العثمانيين بعد معركة جالديران وأرسله الشاه إسماعيل إلى خراسان مساعداً لسام ميرزا حينما قام كوال على خراسان وصد الهجمات الأوزبكية عن هراة ومدن خراسان، تولى منصب حاكم هراة في ١٥٢٢ وبقي فيها خلال المدة الأولى من حكم الشاه طهماسب وصد هجمات الأوزبك عام ١٥٢٤-١٥٢٥، توفي عام ١٥٢٥. طالب محبيس الوائلي، ايران...، ص ٢٧٧-٢٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

تبريز عام ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م تدهورت صحته بعد مدة قصيرة فتوفى^(١)، لذا أمر الشاه بإعادة أملاك الأمير غياث الدين التي تمت مصادرتها سابقا إلى أهله وإكرامهم^(٢).

تجددت هجمات الاوزبك على خراسان في سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٣م وكان خان الأوزبك يقود الجيش المهاجم بنفسه، فتقدم نحو هراة، ليفرض عليها حصاراً قاسياً استمر عدة أشهر، وكان سام ميرزا داخل المدينة اثناء الحصار يرافقه دورميش خان وأمراء القزلباش، الذين أنتابهم القلق لخطورة موقف المدينة ومن ثم موقفهم، لذا استبسلوا بالدفاع عنها، في حين ان الخلافات القبلية تفاقمّت في معسكر الاوزبك، مما اضطر جزء منهم للانسحاب، وبقي الجزء الآخر والذي انسحب فيما بعد حينما علم بقرب وصول الجيش الصفوي اليهم، وحينذاك أضحت مدن خراسان تعاني أنواع الخراب والدمار والعذاب والهجمات والغارات المتكررة من الأوزبك طيلة العام الأخير من حياة الشاه إسماعيل ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م^(٣).

لقد أسهم الشاه بهذه التوترات من خلال اعتماده الكلي على قبائل القزلباش، لذلك كان السيف طوال عهد الشاه اسماعيل يعمل اكثر من القلم، لأنه كان يخوض صراعات مع الدول المجاورة بل وحتى في الداخل الإيراني^(٤)، وما حدث من مشاكل على اشكالية ولاية العهد والفوضى التي رافقتها لا يمكن تبرئة الشاه اسماعيل الاول منها، فزعماء القزلباش الذين تمتعوا بنفوذ واسع في ايامه كانوا قد غيّرُوا ولاءاتهم من الولاء للشاه الى مصالحهم الشخصية ضاربين مصلحة البلاد عرض الحائط، كما ان كثرة الحروب التي اندلعت في عهد الشاه اسماعيل اربكت الوضع المالي والاقتصادي وحتى الاجتماعي للبلاد بسبب قساوتها، واجبرت الكثير من الفلاحين الى ترك اراضيهم والانخراط والاندماج في جيوش الشاه الكثيرة^(٥)، لاسيما انه كان يستخدم سياسة الارض المحروقة اثناء حروبه لا سيما مع

(١) عباس إقبال، المصدر السابق، ص ٦٤٨.

(٢) طالب محبيس الوائلي، إيران...، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) احمدوف و منوروف، المصدر السابق، ص ٣١٣-٣١٦.

(٤) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٥) مشعل مفرح ظاهر الشمري، سياسية ايران الخارجية في عهد الشاه عباس الاول (الكبير) ١٥٨٧-١٦٢٩م،

رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠، ص ١٤.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

العثمانيين وما رافق هذه الحقبة من اضطرابات أمنية ومشاكل داخلية وظهور توتر حاد بين زعماء القزلباش الذين كان لهم الدور الكبير والبارز في تأسيس الدولة الصفوية والمرتكز الرئيس لقيامها بمشاركة العنصر الفارسي التاجيكي، في ادارة الدولة مما ادى الى تدهور الاحوال العامة^(١).

يتبين لنا إن الشاه أراد من تعيين ابنه طهماسب ميرزا ثم ابنه الثاني سام ميرزا والياً على خراسان ؛ هو العمل على رفع الحوافز المعنوية للجنود القزلباش والسكان في خراسان ، ذلك لخصوصيتها الدينية بوجود مرقد الامام الرضا (عليه السلام) في مشهد^(٢) واحتمالية وقوعها بيد الاوزبك، وهي مهددة لهجماتهم وفضلاً عن أهميتها الاقتصادية بوصفها حلقة ربط للطريق التجاري الذي يربط الهند بغربي ايران، وإعادة الحياة إلى هذه الدولة الناشئة التي تلقت ضربة قوية من العثمانيين في معركة جالديران^(٣)، وجعلتها تنهال من الزمن

(١) كريم حميد عباس الزبيدي، الفلاح الايراني في العصر الصفوي (١٥٠١-١٧٣٦)، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢١، ص ٥٧.

(٢) مشهد: وكانت تُعرف قديماً بـ طوس، من كبريات مدن إيران وأعظم مدن إقليم خراسان في شمال شرق البلاد. تقع في الجهة الشمالية الشرقية من إيران قرب الحدود الإيرانية مع أفغانستان وتركمانستان، وتبعد عن طهران نحو ألف كيلومتر تقريباً. تتميز المدينة ببيئتها الزراعية الخصبة، إذ تحيط بها البساتين والرياض والجنان، وتشتهر بزراعة الفواكه والخضروات والمحاصيل المختلفة، فضلاً عن عنوبة مياهها وحسن عمرانها وجمال دورها. وتُعدّ مشهد مركزاً اقتصادياً وصناعياً مهماً، إذ تضم صناعات متقدمة، من أبرزها مواد البناء والبتروكيماويات والمواد الغذائية، إلى جانب صناعة الأقمشة الحريرية والقطنية والصفوية التي عُرفت بجودتها وفخامتها. كما تحتضن المدينة عدداً كبيراً من الآثار والمزارات والمقامات الدينية، ويُعدّ مرقد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) أهم معالمها الدينية وأكثرها شهرة، مما منح المدينة مكانة روحية كبرى في العالم الإسلامي، وأسهم في تعزيز دورها الديني والسياسي في تاريخ إيران، لا سيما في العهد الصفوي. يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ج١، بيروت، ١٩٩٣، ص ٢٨٣.

(٣) جالديران: هو سهل يطلق عليه جالديران يقع شمال غربي تبريز ويبعد عنها حوالي ٩٦ كم تقريباً، وترتب على هذه المعركة خروج الكثير من الأراضي الصفوية في شرق الأناضول، وأذربيجان، وكوردستان، وشمال العراق من يد الصفويين، واستيلاء العثمانيين عليها وانكفاء الصفويين داخل أراضيهم لمدة طويلة من الزمن. للمزيد ينظر: طالب محبيس الوائلي، ايران...، ص ٢٥٦-٢٧٢.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

داخل حدودها منغمسة بالتمردات الداخلية، وعامل اخر هو تنمية مهارة طهماسب ميرزا على تعلم أمور القيادة وإدارة الأقاليم^(١).

ظل الأمير طهماسب ميرزا في تبريز عاصمة الدولة الصفوية مدة عام تقريبا في ظل رعاية الشاه الذي أسند تربيته وتعليمه إلى الفنان كمال الدين بهزاد^(٢) (١٤٤٠-١٥٣٥) رئيس المجمع الفني للكتاب، ولم تقتصر تربيته على يد هذا العالم على فنون الحكم وإدارة الدولة^(٣)؛ إنما شمل تعليمه فن الرسم والخط والتصوير، ويروى إن طهماسب ميرزا درس أثناء وجوده في هراة مركز خراسان، على يد سلطان محمد^(٤)، لذلك عندما رجع إلى تبريز عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م، إذ بدأ يبدي ملاحظاته على الرسومات التي تزين جدران القصر^(٥)، ثم ارسله الشاه في عام ٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م إلى شیراز ليكون والٍ عليها، تحت أشرف أمراء قبيلة ذي القدر^(٦)، فظل بها حتى أواخر العام ١٥٢٣، بعدها استدعاه أبيه للحضور إلى

(١) ميرزا بيگ حسن بن حسینی جنابدي، روضه الصفويه، به كوشش: غلامرضا طباطبائي مجد، مجموعه انتشارات ادبي وتاريخي، تهران، ١٣٧٨هـ/ش/ ١٩٥٨م، ص ٣٥٢.

(٢) كمال الدين بهزاد: يُعدّ من أعظم أعلام التصوير الإسلامي وفن المنمنمات في إيران، ومن أبرز ممثلي المدرسة التيمورية في هراة، التي بلغت على يديه ذروة نضجها الفني. وُلد في مدينة هراة وتلقّى فيها تعليمه الفني في بيئة ثقافية مزدهرة برعاية الأمراء التيموريين، فأتقن أصول التصوير والزخرفة، وتميّز مبكراً بقدرته على الابتكار ضمن القوالب التقليدية لفن المنمنمات. يراجع للمزيد: عباس محمود هميم، الفنون التشكيلية في إيران خلال العصر الصفوي، اطروحة دكتوراه، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الانسانية، ٢٠٢٥، ص ٢٥٥-٢٥٨.

(٣) ضامن بن شدم الحسینی المدني، المصدر السابق، مج ٢، ق ٢، ص ٣٥١.

(٤) يُعدّ سلطان مُحمّد من أبرز مصوِّري المنمنمات في إيران خلال بدايات العصر الصفوي، ومن أعلام المدرسة التبريزية الثانية في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. نشط في بلاط الشاه إسماعيل الأول ثم في عهد الشاه طهماسب الأول، وتولّى موقعاً متقدماً في الورشة الملكية للكتب والمخطوطات (الكتابخانه)، حيث أسهم في تنظيم العمل الفني والإشراف على إنتاج المخطوطات المصوّرة الرسمية. تميّز أسلوبه الفني بالدقّة العالية في رسم الشخصيات، والثراء اللوني، وتوازن التكوين، مع عناية واضحة بالتفاصيل المعمارية والمناظر الطبيعية، وهو ما جعله أحد المساهمين الرئيسيين في بلورة الخصائص الجمالية للفن الصفوي المبكر. عباس محمود هميم، المصدر السابق، ٢٦٠-٢٦٣.

(٥) باسم حمزة عباس، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٦) انحدرت هذه القبيلة التركمانية من ديار بكر ومناطق مرعش وألبستان، التحق بعض أفرادها مبكراً بخدمة الشيخ جنيد وشاركوا في المواجهات التي خاضتها الأسرة الصفوية ضد الشيروانيين. وبعد مقتل الشيخ جنيد تفرّق أتباعه، فالتحق قسمٌ منهم بولده الشيخ حيدر، بعدها انضموا إلى الشاه إسماعيل الأول، حيث استوعبهم ضمن التشكيلات القزلباشية وأعاد توزيعهم بما يخدم تثبيت سلطته وتوسيع نفوذ الدولة الصفوية؛ فجعل طائفةً منهم في خدمته المباشرة، وأرسل طائفةً إلى خراسان لتعزيز الجبهة الشرقية تحت إمرة الأمير دورميش خان

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

تبريز أوائل عام ٩٣٠هـ / ١٥٢٤ ليظل قريباً منه وليكرّس وجوده هناك في التدريب أكثر على شؤون إدارة البلاد والحكم^(١). إذ تركت الحروب التي خاضها الشاه آثارها على بدنه وصحته، واضعفت قواه وعزيمته، ولما قصد زيارة قبور أجداده في مدينة أردبيل سنة ١٥٢٤ أصيب خلالها بمرض المّ به تشير مصادر انه أصيب بمرض الإسهال الحاد والتهاب الكبد جراء الشرب المفرط للخمر لاسيما بعد معركة جالديران^(٢)، فلم يتمكن أطباؤه من معالجته، ليتوفى هناك في (٩ رجب ٩٣٠هـ / ٢٣ آذار ١٥٢٤م) عن عمر ناهز السابعة والثلاثين عاماً قضي منها أربع وعشرون سنة في الحكم^(٣). فدفن في مقبرة جده الشيخ صفي الدين الأردبيلي إلى جانب آبائه^(٤)، وبناءً على العرف الذي أسسه ودور زوجته تاجلو بيكم والدة طهماسب ميرزا ونفوذها المؤثر على قبائل القزلباش وعناصر التاجيك^(٥)، نُصّب ابنها شاهما على إيران. إذ دعت في ليلة وفاة زوجها أمراء القزلباش وهم: كبك سلطان استاجلو^(٦) وديو سلطان روملو^(٧)، فضلاً عن القاضي جهان حسني^(٨)، وطلبت منهم العمل

شاملو، ووجّه طائفةً ثالثة إلى شیراز. ويعكس هذا الاستيعاب قدرة الشاه إسماعيل على توظيف الولاءات القبلية في بناء القوة العسكرية وترسيخ الشرعية السياسية للدولة الصفوية في مراحلها التأسيسية. سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ١٩.

(١) ميرزا بيگ حسن بن حسینی جنابدي، بيشن، ص ٣٥٥.

(٢) نقلاً عن: طالب محبيس الوائلي، إيران...، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٣) Sir John Malcolm, The history of Persia, From the most early period to the present time, Vol. 1, Tahran, 1976, P. 328.

(٤) شرف خان البديسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٦.

(٥) محمد رضا الحكيمي، بداية الفرق نهاية الملوك، دار الفردوس، بيروت، ١٩٩٠، ص ٢٤٣.

(٦) كبك سلطان استاجلو: اسمه مصطفى سلطان ويلقب (كبك)، أمير الأمراء، نائب السلطنة من الأمراء القزلباش أشركه الشاه طهماسب في منصب أمير الأمراء مع ديو سلطان وقائد الجيش في الدولة الصفوية لكنه أظهر العصيان في ناحية كيلان وحاصره ديو سلطان هناك وقضى عليه عام ١٥٢٧. ضامن بن شديم الحسيني المدني، المصدر السابق، مج ٢، ق ٢ ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٧) ديو سلطان روملو: أمير الأمراء، نائب السلطنة من الأمراء القزلباش وله دور كبير بقتال الأوزبك في بلخ وهراة بعد معركة جالديران، تولى هذا المنصب بعد قتله ميرزا شاه حسين الأصفهاني أواخر أيام الشاه إسماعيل وأصبح وصياً على الشاه طهماسب، وله الكلمة الأولى في الدولة، قضى على خصومه الواحد تلو الآخر لاسيما كبك سلطان، وأمر الشاه طهماسب بقتل ديو سلطان بعد إن استبد بأمور الدولة بنصيحة چوها سلطان تكلو. ضامن بن شديم الحسيني المدني، المصدر السابق، مج ٢، ق ٢ ص ٣٥٣-٣٥٤.

(٨) القاضي جهان الحسيني السيفي القزويني: يُعدّ أحد أبرز العلماء والفقهاء الذين برزوا في بدايات العهد الصفوي، لا سيّما زمن الشاه إسماعيل الأول (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ثم في عهد ابنه الشاه طهماسب الأول. ينتمي

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

على فرض الأمن خوفاً من انحلال الفوضى وتدهور الاوضاع بعد إعلان وفاة الشاه، لأن وفاته كانت بمثابة انفجار ازمة حكم في الدولة الصفوية وكذلك قبولهم سلطنة الأمير طهماسب ليكون شاهاً على ايران على الرغم من صغر سنه^(١).

وفي خضم هذه التطورات وتضافر الجهود المشتركة اضحى طهماسب ميرزا شاهاً للدولة الصفوية باسم الشاه طهماسب الأول منذ (١٩ رجب ٩٣٠هـ / ٢٣ من أيار عام ١٥٢٤م)^(٢). ولم يتعد عمره عشرة سنوات، وهناك من يذكر إن طهماسب ميرزا اعتلى عرش البلاد وعمره احد عشر عاماً في حين يرى مؤلف آخر إن عمره كان اثني عشر عاماً، لكن اغلب المؤلفات تؤكد توليه للعرش في سن العاشرة من عمره^(٣). وأطلق عليه

إلى أسرة علمية معروفة في قزوین، وقد جمع بين التكوين الديني الرصين والكفاءة الإدارية، الأمر الذي أهله للاضطلاع بأدوار مهمة في جهاز الدولة الصفوية الناشئة. شغل القاضي جهان مناصب قضائية وإدارية رفيعة، وكان من المقربين إلى البلاط الصفوي، حتى عُيِّن في منصب وكيل الديوان سنة ١٥٢٤م، عقب مقتل الأمير جلال الدين محمد، وهو منصب بالغ الأهمية، إذ تولى من خلاله الإشراف على شؤون الديوان وتنظيم المسائل المالية والإدارية. عبد الحسين الأميني، شهداء الفضيلة، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣. ص ١٧٠-١٧١.

(١) عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية...، ص ١٨٨. ان الدور الذي قامت به تاجلو بيكم يشبه تماماً ما قامت به خُرَّم سلطان (روكسلانة)، زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني فيما بعد، بوصفها إحدى أكثر نساء القصر العثماني تأثيراً في مسار السلطنة العثمانية، إذ مارست نشاطاً سياسياً فاعلاً أسهم بصورة مباشرة في تهيئة الظروف لتنصيب ابنها سليم ولياً للعهد، ثم سلطاناً للدولة العثمانية لاحقاً. بعد ان استطاعت من خلال نفوذها داخل البلاط، وإدارتها الدقيقة لشبكة العلاقات بين كبار رجال الدولة وقادة الانكشارية، أن تُضعف مراكز خصوم أبنائها، لا سيما الأمير مصطفى، الذي كان يتمتع بتأييد واسع داخل المؤسسة العسكرية والإدارية. واعتمدت في ذلك على توظيف مكانتها بوصفها الزوجة الشرعية للسلطان، وحاملة لقب «**خاصكي سلطان**»، فضلاً عن استثمار قربها من السلطان سليمان القانوني في توجيه قراراته المتعلقة بالخلافة. وقد تُوِّج هذا الدور بإقصاء الأمراء المنافسين، وتهيئة المناخ السياسي داخل الدولة لتمهيد الطريق أمام الأمير سليم، الذي اعتلى العرش بعد وفاة والده سنة ١٥٦٦م، ليصبح سلطاناً عثمانياً. لذا فإنها أسهمت إعادة تشكيل نظام التوارث السياسي في الدولة العثمانية، بما جعلها أحد العوامل الحاسمة في انتقال السلطة من السلطان سليمان القانوني إلى ابنه السلطان سليم الثاني. محمد احمد محمد الثقفي، زواج السلاطين العثمانيين من الاجنبيات واثره في اضعاف الدولة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ١٤٣٢هـ / ١٩١٤م، ص ١١٧.

(٢) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠١، ص ١٤٢.

(٣) محمد المعموري وآخرون، الصفوية التاريخ والرواسب، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١١، ص ١٨٥.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

لقب (شاه دين پناه) إي الذي احتل مكان والده، فسكّت العملات المعدنية الصفوية بمناسبة تربيته على العرش ونقش عليها عبارة "أبو المظفر شاه طهماسب الصفوي" ^(١).

في خضم هذه التطورات وجد القزلباش في تولي شاه صغير السن حكم البلاد فرصة مناسبة للاستثمار لاسترجاع ما فقدوا في عهد ابيه الشاه إسماعيل، فآخذوا يعملون على طرد الفرس (التاجيك) من المناصب الإدارية، لاسيما منصب وكيل الشاه ^(٢) الذي حصل عليه ميرزا شاه حسين الأصفهاني ^(٣) عام ١٥١٤ ^(٤)، ويروى أن ميرزا شاه حسين استغل منصبه ونفوذه في الدولة بعد تسنمه المنصب، لاسيما بعد أن امر الشاه إسماعيل كل أمراء الدولة وقادتها باتباع أوامر حسين الأصفهاني والرجوع إليه بأغلب أمورهم ومعاملاتهم وعدم الخروج عن طاعته، وكان لميرزا حسين أثر كبير في جعل الشاه إسماعيل يمنح حكومة خراسان لسام ميرزا تحت وصاية دورميش خان عام ١٥٢٢م، كي يستبعده عن التدخل في إدارة أمور الدولة وهذا ما جعل أمراء القزلباش يتفوقون على أبعاد العناصر الفارسية من منصب وكيل الشاه ^(٥).

(١) تقسم العملات المتداولة في عهد الشاه طهماسب الأول إلى ثلاثة أنواع رئيسية. فالعملات الذهبية كانت تُعرف باسم الأشرفي، أما الفضية فشملت عملتي البيستي والشاهي فضلا عن الدوشاهي (الشاهي المضاعف) الذي أمر الشاه بسكّه عام ١٥٤٠م بوزن مثقال واحد. أما العملات البرونزية فكانت تُسمى غازي. وقد أُطلق على مجموع هذه الفئات النقدية اسم التومان بوصفه وحدة عامة للتداول في تلك المرحلة. علي ابراهيم درويش، المصدر السابق، ٢٥٠.

(٢) الوكيل: منصب مهم في الدولة الصفوية ويعني به (وكيل الشاه أو نائب الشاه) ويمثل الشاه في النيابة الدنيوية والروحانية وله أثر فاعل على الحياة السياسية في الدولة الصفوية والنفوذ على المؤسسة العسكرية والإدارية ومن حق الوكيل اختيار الصدر. إياد عبد الرحمن شبحان جبر الركابي، المصدر السابق، ص ٦١-٦٢.

(٣) شاه حسين الأصفهاني: معمار من أصفهان، كان أحد موظفي قصر الشاه في أصفهان، فاتخذه دورميش خان شاملو مساعدا له حينما صار واليا على مدينة أصفهان، وعند قيام الشاه إسماعيل بتعيينه مربيا لولده طهماسب؛ عاد إلى تبريز فدخل من خلاله ميرزا شاه حسين إلى بلاط تبريز، وتمكن بدهائه بمده قصيرة من التقرب إلى الشاه ويصبح وزيرا، وتولى منصب وكيل الشاه بعد معركة جالديران عام ١٥١٤ واستمر بها إلى نهاية سنة ١٥٢٣ عندما قام ديو سلطان بقتله. طالب محبيس الوائلي، الصفويون...، ص ٢٧٢.

(٤) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٨٨-٨٩.

(٥) جودت القزويني، المصدر السابق، ص ٣٠٣.

الفصل الاول : قيام الدولة الصفوية وبداية حكم السلطة الفردية

ما بين ١٥٠١-١٥٢٤.

إن تفاقم الصراع بين قبائل القزلباش وسعي كل واحد منهم إلى إدارة البلاد بتولييه لمنصب وكيل الشاه وأمير الأمراء^(١)؛ دفع المؤرخين لتلك الحقبة يطلقون تسمية الدولة الصفوية "بمملكة القزلباش" أو "مرحلة خلو العرش"^(٢) مما دفع العديد من حكام الولايات للتمرد^(٣).

(١) أمير الأمراء: لقب أطلق على القائد العسكري الأعلى للجيش الصفوي وهو من القزلباش، ولأمير الأمراء تأثير كبير في الأوضاع السياسية للدولة ويعد القوة الضاربة للشاه في معاركه، ومع الخسارة في جالديران؛ بدأ من يتقلد هذا المنصب يتدخل في أمور الدولة وبلغ أوج هذا التدخل مع تربع طهماسب للعرش ١٥٢٤، فقد سيطر الأمير على منصب الوكالة وأمير الأمراء وبقي الأمير يتدخل بأمور الدولة حتى استطاع الشاه طهماسب من السيطرة على الأمور فحد من نفوذهم. يراجع للمزيد: علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٨٨؛ بديع جمعة وأحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١١٦؛ محمد وصفي أبو مغلي، المصدر السابق، ص ٢٤٨؛ إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) حسن كريم الجاف، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨-٢٩؛ حسن مجيد الدجيلي، إيران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٢٤.

الفصل الثاني . صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

اولاً : الصراع على السلطة خلال المرحلة الاولى من حكم الشاه طهماسب ١٥٢٤-١٥٤٢ .

ثانياً : سياسة التوسع في عهد الشاه طهماسب، واستمالة الخصوم من حكام الاقاليم حتى عام ١٥٥٦ .

ثالثاً : المرحلة الاخيرة من حكم الشاه طهماسب، ومسألة ولاية العهد حتى عام ١٥٧٦ .

رابعاً : نهاية حكم الشاه طهماسب عام ١٥٧٦ وبداية تدخل الحريم في شؤون ولاية العهد وفرض الارادات على العرش.

خامساً : تتويج الشاه اسماعيل الثاني عام ١٧٧٦ وبداية الصراع على العرش .

سادساً : تتويج الشاه محمد خدا بنده عام ١٥٧٧-١٥٨٨ .

سابعاً : تنصيب الشاه عباس الملقب بالكبير وبداية نهضة الدولة الصفوية (١٥٨٨-١٦٢٩) .

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

أولاً : الصراع على السلطة خلال المرحلة الاولى من حكم الشاه طهماسب ١٥٢٤ - ١٥٤٢ .

بدأ الشاه طهماسب فور اعتلاء العرش بإصلاح أمور الدولة الإدارية التي اضطربت بسبب سيطرة أمراء قبائل القزلباش على الوظائف العليا للدولة الصفوية، فقام بتقليل نفوذ القزلباش وأمرائهم فعمل على سياسة فرق تسد بتوزيعهم في انحاء البلاد لتشتيت قوتهم، وإشاعة مبدأ الثواب والعقاب، فيكرمهم إذا ما أطاعوا وأمره ويغدق عليهم المناصب والأراضي، وإذا ما تمردوا وعصوا الأوامر نكل بهم^(١)، و تمكن الشاه بهذه السياسة من السيطرة على القزلباش وامرائهم وان يطيعوه طوال حياته^(٢)، كما أولى الشاه طهماسب عناية بالغة بالجانب الديني، حين التفت الى رجال الدين والعلماء في العراق وجبل عامل في الشام لاسيما الشيخ علي الكركي الذي كان في ايران في عهد الشاه إسماعيل وبقي في البلاد حتى عام (٩٢٨هـ / ١٥٢٢ م) ليغادرها إلى النجف ويبقى فيها اعوامٍ عدّة حتى عام (٩٣٦هـ / ١٥٢٩م) فقد أرسل إليه الشاه طهماسب بعض الهدايا ودعاه للقدوم إلى ايران وتسلم منصب شيخ الإسلام ونائب الإمام المهدي^(٣) في الدولة الصفوية ولقبه بخاتم المجتهدين^(٤)، واصر الشاه بيانا عام (٩٣٧هـ / ١٥٣٠م) جاء فيه: "إن من يقوم بمعارضة رجال الدين والعلماء ولم يمتثل لأوامرهم فكأنما يعمل المنكر وسيعاقب عليه، أما اذا امتثل لهذه الأوامر والأعمال وسار عليها وطبقها فانه يستحصل الثواب"^(٥)، وأوجب على الجميع اتباع أوامر رجال الدين^(٦)، وهكذا بدأت نتائج سياسة اعتماد الشاه طهماسب على رجال الدين والعلماء تسير بصورة جيدة .

بدأ ديو سلطان منذ تلك اللحظة يعمل على إقصاء العناصر الفارسية وإبعادهم عن المناصب العليا في الدول ، لذا قام بعد توليه منصب أمير الأمراء عام (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) بوضع چوها سلطان تكلو^(٧) حاجبا على باب قصر الشاه طهماسب ولا يسمح لأحد بزيارة

(١) سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٢) علي اكبر ولايتي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٧٨؛ جودت القزويني، المصدر السابق، ص ٣١٠.

(٣) دلال عباس، المصدر السابق، ص ٤١.

(٤) وجيه كوثراني، العرب وإيران بين الذاكرة والتاريخ، (بحث في كتاب العرب وإيران. مراجعة في التاريخ والسياسة)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٣٧.

(٥) نقلا عن: جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ١٢٦-١٢٧.

(٦) جودت القزويني، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١٥.

(٧) جوها سلطان تكلو: أحد أبرز زعماء قبيلة تكلو القزلباشية الذي تولى في عهد الشاه طهماسب الأول، منصب أمير الأمراء في مرحلة اتسمت بحدة التنافس بين قبائل القزلباش على النفوذ داخل الدولة الصفوية. وقد أثار توليه

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الشاه الا بموافقته، وبدأ الصراع يتفاقم بين رؤساء قبائل القزلباش تكلو واستاجلو منذ سنة (٩٣١هـ / ١٥٢٥م)، من اجل السلطة وتولي الوصاية على الشاه طهماسب الاول^(١)، واراد كبك سلطان استاجلو أبعاد ديو سلطان عن منصب أمرة الأمراء الذي خلف بايزيد بن چايان سلطان استاجلو بأمره أمراء الجيش الصفوي، وكان چوها سلطان أمير قبيلة تكلو، وهؤلاء الثلاثة (ديو وكبك وچوها) توصلوا لاتفاق على إدارة مشتركة للدولة فيما بينهم مع تولي طهماسب الحكم، لكنهم وبعد أشهر قليلة من تنصيب طهماسب اخلفوا هذا الاتفاق واضمر كل أمير الغدر بالأمير الآخر^(٢).

لم يكن كبك سلطان يريد القتال لتيقنه بعدم قدرته على مواجهته ديو سلطان، وحقق دماء الجند والشعب، وإن كبك سلطان كان على درجة كبيرة من الورع والتقوى فخاف الوقوع في المعاصي جراء الصراع مع ديو سلطان^(٣)، في حين إن ديو سلطان عند وصوله تبريز أمر بقتل كل من حرّض على القتال ومنهم قرانجه بيك استاجلو وتارين بيك قاجار وعزل القاضي جهان القزويني وكيل الديوان الأعلى وزجّه في السجن (٩٣١هـ / ١٥٢٥م)، وسلّم منصب وكيل الديوان الأعلى إلى مير جعفر ساوجي روملو، وبعد أشهر عدة اشرك معه أقاملا وخواجه أروح، وليعمل الوكلاء الثلاثة على تنفيذ أوامر أمير الأمراء ديو سلطان روملو، والتفت ديو سلطان بعد ذلك إلى عزل السيد جمال الدين الاسترابادي من منصب الصدارة، بعد إن حاول الوصول إلى منصب وكيل الديوان الأعلى ونصّب مكانه شاه قوام الدين الأصفهاني في ربيع عام (٩٣١هـ / ١٥٢٥م) بمنصب الصدارة^(٤).

أما كبك سلطان استاجلو فقد لاحظ إن ما يقوم به ديو سلطان يدخل ضمن الحيلة والخبث، فحاولت تاجلو بيكم أم الشاه طهماسب، تحريض كبك سلطان على خوض القتال مع ديو سلطان، إلا انه رفض ذلك، أما موقف الشاه طهماسب فكان يميل إلى كبك وطائفة استاجلو، وقام ديو سلطان بإرسال كبك وقبيلة الاستاجلو إلى كرجستان لغرض الجهاد في

هذا المنصب استياء ديو سلطان روملو، ما أدى إلى تفجّر صراع مباشر بين الطرفين انتهى بقيام جوها سلطان بقتل ديو سلطان سنة ١٥٢٧م، لينفرد بعدها بمنصب أمير الأمراء ويُحكم سيطرته على شؤون الدولة. غير أنّ نفوذه لم يدم طويلاً، إذ قُتل سنة ١٥٣١م في خضم الصراع المحتدم بين قبائل القزلباش، في حادثة تعكس طبيعة التوازنات القبلية الهشة التي طبعت البنية السياسية والعسكرية للدولة الصفوية في تلك المرحلة. علي ابراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٨٩.

(١) ناشناس مؤلف، عالم آرای شاه طهماسب، به كوشش: ایران أفشار، انتشارات دنیای کتاب، تهران، ١٣٧٠هـ.ش/١٩٥١م، ص ٢٣-٢٥.

(٢) شرف خان البدليسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٦.

(٣) حميد حاجيان پور، أوضاع سياسي ايران در دوره شاه طهماسب صفوي، ص ٤٩.

(٤) علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٨٦.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

صيف عام (٩٣١هـ / ١٥٢٥م)، فقام كبك مع سائر أمراء استاجلو بالتمرد على ديو سلطان وسيطروا على مدينة أردبيل بدل الذهاب إلى كرجستان، أما أمراء روملو وتكلو فجمعوا قواتهم وتوجهوا إلى أردبيل للقضاء على تمرد كبك سلطان استاجلو، فالتقى الفريقان قرب أردبيل في (١٣ شعبان ٩٣٢هـ / ٢٥ أيار ١٥٢٦م) وكانت الهزيمة ألحقت باستاجلو والتقى ديو سلطان روملو وچوها سلطان تكلو بكبك سلطان استاجلو في معركة أخرى، فلحقت الهزيمة هذه المرة باستاجلو من جديد في (٢ شوال ٩٣٣هـ / ٢٧ تموز ١٥٢٧م) ولقي كبك سلطان حتفه في هذه المعركة^(١)، أما الشاه طهماسب، فبعد إن علم بمقتل كبك سلطان سنة (٩٣٣هـ / ١٥٢٧م)؛ دعا أمراء القزلباش للاجتماع عنده في (١٠ ذو الحجة ٩٣٣هـ / ٨ أيلول ١٥٢٧م)^(٢)، وقبل الاجتماع اقترح چوها سلطان تكلو بضرورة قتل ديو سلطان لأنه المسبب في إثارة الصراع بين أمراء القزلباش، وما إن دخل ديو سلطان الخيمة حتى بادر الشاه إلى رمية بسهم اخترق صدره وأمر قادته وجنوده بالانقضاض وقتله^(٣).

تسلم چوها سلطان تكلو في خضم هذه التطورات منصب أمير الأمراء ووكيل الديوان الأعلى بعد قتل ديو سلطان، واضحى يعمل على إبعاد عناصر القزلباش وعين عدد من حكام المدن من عناصر التكلو، وبقي چوها يعمل بهذين المنصبين لغاية عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م) وعين الشاه حسين خان شاملو أمير أمراء خراسان خلفاً لأخيه دورميش خان الذي توفي سنة (٩٣١هـ / ١٥٢٥م)^(٤) إن الصراع المحتدم بين قبائل القزلباش وسعيهم إلى إدارة البلاد بتوليهم منصب وكيل الشاه وأمير الأمراء جعل الدولة الصفوية أشبه بحلبة صراع ومعترك بين الطامعين بمكاسب السلطة والمناصب العليا في الدولة، فاستمرت مدة وصاية أمراء القزلباش على الشاه طهماسب نحو ست سنوات، ومع نهاية تلك الحقبة ببلوغه العام السادس عشر من عمره وتحديداً (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م) وأنهاء سلطة القزلباش؛ قرر الشاه أن يستلم إدارة أمور الدولة بصورة مباشرة، فتحرك من هراة عن طريق يزد إلى أصفهان التي وصلها بداية عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م) وأمر بإحضار أخيه سام ميرزا وحسين خان شاملو الذين بانث نواياهم بالقيام بالتمرد في شیراز مستغلين اضطراب الأوضاع، وما إن حضرا عنده حتى عفا عنهم، أما حسين خان شاملو؛ فلم يكن مطمئناً بجوار الشاه وجهز

(١) حميد حاجيان پور، أوضاع سياسي ايران در دوره شاه طهماسب صفوي، ص ٤٩-٥٠.

(٢) شاه طهماسب بن إسماعيل بن حيدر صفوي، تذكرة شاه طهماسب، تقديم: امر الله صفري، انتشارات شرق، تهران، ١٣٦٣هـ.ش/ ١٩٨٥م، چاپ دوم، ص ٩-١٠.

(٣) شرف خان البديسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٩.

(٤) حميد حاجيان پور، أوضاع سياسي ايران در دوره شاه طهماسب صفوي، ص ٥٠-٥١، ص ٥٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

عدداً من اتباع قبيلته لمهاجمة قصر الشاه، فتصدت لهم القوات القزلباشية الأخرى، وعلى أثرها هرب حسين شاملو إلى شيراز، وبعد أن قضى الشاه على تمرده التفت للسيطرة على الجوانب الإدارية، فقام بإبعاد شاه قباد بن چوها سلطان تكلو من منصب الوكالة، وعيّن مكانه أخاه الأصغر علي بك ولقبه بعلي بيك سلطان ربيع (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م)، الأمر الذي أثار أمراء استاجلو وذو القدر والافشار الذين كانوا يسعون للقضاء على سلطة أمراء التكلو، ولم تمض سوى أيام قلائل حتى بات قصر الشاه في أصفهان ساحة للقتال بين الأمراء أعلاه من جهة، وأمراء تكلو الذين اقدموا على قتل عدد من أمراء استاجلو واصلوا التمرد على الشاه طهماسب، الذي امر بدوره القورجي^(١) باشي بالقتل العام لأمراء التكلو، فقتل الكثير منهم وهرب من تبقى إلى والي بغداد محمد خان الذي قتل هو أيضاً عدداً منهم كشاه قباد بن چوها سلطان تكلو ووضع الآخرين في السجن^(٢).

وعلى الرغم من كل هذا الصراع المسلح بادر الشاه طهماسب إلى العفو عن حسين خان شاملو الذي سبق وأن تمرد على الشاه، وأوكل إليه منصب الوكالة وجعله شريكاً مع عبد الله خان استاجلو في منصب أمير الأمراء^(٣)، فاستثمر أولامه تكلو أمير أمراء تكلو في إقليم أذربيجان فرصة وجود الشاه في خراسان؛ فتحرك مع اتباعه الذين بلغ عددهم ما يقارب سبعة آلاف مقاتل نحو تبريز صيف عام (٩٣٦هـ / ١٥٣٠م) للسيطرة على مقاليد الأمور، فاستولى على الخزانة وتراجع بعدما قتل الكثير من موظفي البلاط إلى قلعة وان، وبعد إن سمع الشاه بتمرد أولامه امر بأرسال قوة من جنود القورجي باشي لكنهم وصلوا متأخرين حيث ترك أولامه كل أحماله وذهب إلى استانبول معلناً الطاعة للسلطان العثماني سليمان القانوني^(٤).

(١) حرس الشاه الخاص (قورجيلر): وظيفتهم حماية الشاه والمحافظة على حياته، أميرهم (قورجي باشي)، تضخم عددهم في عهد الشاه طهماسب، حتى يقال إنه بلغ ١٢٠,٠٠٠ فارساً، لكن الشاه عباس الكبير اختصره إلى النصف وصار وردي خان قائداً لهذه القوات. وسعى الشاه عباس الثاني لإيجاد قوات جديدة لحماية القصر والبلاط، فتم تجنيد منّي صوفي فدائي، ليكونوا حماية الشاه الخاصة، وتم اختيارهم من الاسرة الصفوية نفسها، ويقع مقرهم في الطرف المؤدي الى توحيد خانة وكان لهؤلاء زي خاص بهم. ولم يجر عليها أي تعديل حتى سقوط الدولة الصفوية. إيداد عبد الرحمن شيحان الركابي، المصدر السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

(٢) شاه طهماسب بن إسماعيل بن حيدر صفوي، بيشين، ص ١٤-١٥.

(٣) سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٣٧.

(4) Ibrahim Aykun, Erzurum konferansi (1843-1847) Ve Osmanli-Iran Hudut Antlaşması, sosyal bilimler enstitüsü tatih anabilim dali, Atatürk Üniversitesi, Erzurum, 1995, S. 4.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

واقدم الوكيل حسين خان شاملو في عام (٩٣٨هـ / ١٥٣٢م) على إقالة مير جعفر ساوجي وخواجه أروح بتهمة سرقة الاموال وقبض عليهما وامر بقتلهما، فعين الشاه مكانهما بعد مدة من الزمن وباستشارة حسين خان احمد بيك نور كمال الأصفهاني بمنصب وكيل الديوان الأعلى عام (٩٣٨هـ / ١٥٣٢م)^(١) ومن زاوية اخرى كان للقرلباش دور بارز في قمع الاضطرابات الداخلية التي كانت تنوي قيام دولة على حساب الدولة الصفوية، ومن هذه الارهاصات التمردية تمرّد شاهرخ^(٢)، شقيق فرخ يسار الأصغر، الذي التفّ حوله أهالي شيروان ولقبوه بـ“شيروانشاه”، فاستقلّ بالمنطقة وأعلن العصيان على الدولة الصفوية محاولاً الانفصال عن الدولة الصفوية، فأرسل الشاه طهماسب جيشاً من القزلباش بقيادة أخيه القاص ميرزا، فحاصر المدينة أربعة أشهر حتى تمكن من اقتحامها وقتل شاهرخ وبعد القضاء على التمرد، عيّن الشاه طهماسب أخاه حاكماً على شيروان في صيف عام (٩٣٨هـ / ١٥٣٢م) فيما عين أخاه الثالث القاص ميرزا حاكماً لمقاطعة شيروان في أذربيجان، وعيّن له بدرخان استاجلو وصياً، وشاه قلي خليفة ذو القدر بمنصب المهردارية (حامل الاختام) في تبريز، واسند ولاية تبريز إلى موسى سلطان موصول^(٣).

ومع بداية عام (٩٣٩هـ / ١٥٣٢م) أوكل إدارة هراة إلى سام ميرزا بدلا من بهرام^(٤) ميرزا معينا اغزي وار سلطان بن دمري سلطان شاملو وصياً عليه، واصدر أمراً بعزل

(١) علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) شاهرخ بن فرخ يسار: هو أحد أفراد أسرة الشروانشاهات، وهو شقيق حاكم شيروان فرخ يسار. برز دوره السياسي بعد وفاة مؤسس الدولة الصفوية إسماعيل الأول الصفوي (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م)، إذ شهدت تلك المرحلة اضطراباً في الدولة الصفوية خلال بدايات حكم ابنه طهماسب الأول. استغل شاهرخ هذا الوضع، فتجمع حوله عدد من أهالي شيروان وأنصار أسرة الشروانشاهات، معلّنين التمرد على السلطة الصفوية. وقد جاء هذا التحرك بدافع الحنين إلى الحكم المحلي القديم ورفض سيطرة القزلباش على شيروان بعد سقوط حكم الشروانشاهات. إلا أن هذا التمرد لم يدم طويلاً، إذ أرسلت الدولة الصفوية قواتها لإخماده وإعادة فرض سيطرتها على الإقليم، مما أدى إلى إنهاء محاولة شاهرخ لاستعادة حكم أسرته في شيروان. شاه طهماسب بن إسماعيل بن حيدر صفوي، ببشين، ص ١٩.

(٣) شرف خان البديليسي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٤-١٣٥.

(٤) بهرام ميرزا: ابن الشاه إسماعيل واخو الشاه طهماسب ولد عام ١٥٢٣ وترعرع في البلاط الصفوي، وله مقدره على كتابة الشعر والنثر ووصف بأنه خطاطاً ماهراً عيّنه الشاه طهماسب حاكماً على خراسان تحت وصاية غازي خان تكلو عام ١٥٢٩ وبقي بها لغاية عام ١٥٣٣ حيث أتى به الشاه ليساعده في صد حملة العثمانيين عام ١٥٣٣-١٥٣٤ بقيادة السلطان سليمان القانوني، وقد ابلى بهرام ميرزا الشاب الصغير البلاء الحسن وبعدها بقي بالقرب من اخيه طهماسب، فأرسله إلى لاهيجان في إقليم كيلان ليتولى امورها، واسند له أخاه منصب والي همدان خلال اعوام ١٥٤٦-١٥٤٩ حتى توفي ولم يعرف سبب وفاته. سام ميرزاي صفوي، تحفة سامي، به كوشش: وحيد دستكردي، مطبعة ارمغان، تهران، ١٣١٤هـ.ش/١٨٩٦م، ص ١٠.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

والي شیراز حمزة سلطان ليعين مكانه غازي خان أخو خليل ذو القدر^(١)، واتجه الشاه بعد ذلك إلى مشهد وظل فيها حتى تشرين الثاني ١٥٣٣م حين بلغته انباء مقتل شرف خان على يد اولامه وتقدم الاخير برفقة الصدر الأعظم العثماني إبراهيم باشا^(٢) (١٤٩٣- ١٥٣٦) باتجاه أذربيجان^(٣).

تقدم الشاه طهماسب باتجاه أذربيجان لإخراج أولامه والجيش العثماني منها في تشرين الثاني (١٥٤٠هـ / ١٥٣٣ م) وقبل وصوله تبريز؛ بدأ يشك في نوايا بعض قياداته فعمل على تصفية العناصر التي يشك بولائها اليه وتنوي التمرد عليه فاستدعى حسين خان شاملو أمير الأمراء ووكيل الشاه، وفور دخوله المعسكر امر بقتله مع بداية سنة (١٥٤١هـ / ١٥٣٤م)^(٤). والجدير بالذكر ان الشاه بعدما ترك سام ميرزا وأغريوار خان شاملو في هراة، واتجه إلى أذربيجان لمواجهة التهديد العثماني؛ استغل سام ميرزا وأمراء القزلباش وضع الدولة المضطرب وعلنوا تمردهم في هراة بداية (١٥٤١هـ / ١٥٣٥م) على الشاه طهماسب^(٥).

ومما يبدو إن التمرد كان يحمل في طياته عدة اسباب منها: اقتصادية وسياسية، فمن الناحية الاقتصادية أضحت طوائف القزلباش في حالة عدم الرضا من قلة المكافآت من الشاه وولاته بسبب هجمات الاوزبك المتكررة التي أثرت على الموارد الاقتصادية، أما الأسباب السياسية فتعود إلى اتخاذ الشاه وولاته مركزية في حكم الدولة وأقاليمها، وقيام الشاه بمنح حرية واسعة لولاته بالضغط على طوائف القزلباش، لا سيما بعد اغتيال الوكيل حسين خان أمير قبيلة شاملو عام (١٥٤٠هـ / ١٥٣٤م)، فاخذ اتباعه من طائفة شاملو يثيرون المشاكل، فضلا عن إنشغال الشاه بالحملة العثمانية غرب ايران، فاتفقوا مع سام

(١) أبو العلاء سودآور، توطئه عظمى وأبو المظفر شاه طهماسب صفوي، مجله ايران شناسی، دانشگاه اصفهان، سال نهم، شماره ٣٣، ١٣٧٦هـ.ش / ١٩٥٦م، ص ٥٢-٥٣.

(٢) الصدر الأعظم إبراهيم باشا: ولد من أبوين مسيحيين في إحدى جزر اليونان، وأصبح من حاشية ولي العهد سليمان الذي تولى الحكم عام ١٥٢٠، وتدرج في المناصب حتى أصبح الصدر الأعظم للدولة عام ١٥٢٣، وظل في منصبه مدة ثلاثة عشر عاما نظرا لما كان يتمتع به من ثقة لدى السلطان، غير أنه وبعد عودة السلطان من حملته على بغداد إلى استانبول قام بإعدامه في ١٥ آذار ١٥٣٦ بسبب الوشاية عن طموحاته في تبوء السلطنة. يراجع للمزيد: إيمان عبد الرحمن الهياجنة، الصدر الأعظم إبراهيم باشا دراسة في دوره السياسي (١٨٩٨-٩٤٢هـ / ١٤٩٢-١٥٣٥م)، مجلة دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٢، العدد ٢، ٢٠١٥، ص ٤٧٦-٤٨٢.

(٣) شرف خان البديلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٥.

(٤) أبو العلاء سودآور، بيشين، ص ٥٢-٥٣.

(٥) عزيز الله بيات، تاريخ تطبيقى ايران با كشورهای جهان (ازماد تا انقراض سلسله بهلوی)، مؤسسة انتشارات أمير كبير، تهران، ١٣٨٢هـ.ش / ١٩٦٣م، ص ٤٠١.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

ميرزا على التمرد وإعلان الاستقلال والسيطرة على قندهار جنوب هراة والتواصل مع الاوزبك في الشرق والسلطان العثماني بالغرب لأسنادهم، وتقدم سام ميرزا وطائفة قزلباش شاملو صوب قندهار لأجل السيطرة عليها في (٩٤١هـ / ١٥٣٥م)، لكن مجهودهم الاستراتيجي تكلل بعدم النجاح بسبب كاميران ميرزا ابن بابر حاكم المغول الذي قام بمواجهتهم والتغلب عليهم وقتل أغريوارخان شاملو، الامر الذي جعل سام ميرزا يرجع الى كفة العقل والحكمة اذ قام بارسال رسالة الى الشاه ذكر فيها الكيفية التي اجبر بها من قبل القزلباش على الذهاب معهم الى قندهار والتمس العفو منه وارسل له عدة رؤوس من اتباع طائفة قزلباش الشاملو الذين شاركوا في التمرد ، فبادر الأخير على اثر ذلك إلى العفو عن أخيه وطلب منه الرجوع إلى هراة^(١).

في تلك التطورات وبعد أن قضى الشاه طهماسب على حسين خان أمير الأمراء ووكيل الشاه؛ قام بتقوية مركزه وإدارة أمور الدولة بصورة مباشرة ومركزية فزاد من نفوذ قاضي القضاة والوزير وقلل مركز قائد الجيش الأعلى للبلاد (أمير الأمراء)^(٢) وزاد نفوذ رئيس القورجي باشي فألقى القبض على احمد بيك نور كمال الأصفهاني وكيل الديوان الأعلى سنة (٩٤١هـ / ١٥٣٤م) وزجّه في السجن، كونه احد اتباع حسين خان شاملو، وعين بدله خواجه سعد الدين عناية الله القزويني لأشهر عدة، وليشارك بعدها معه القاضي جهان القزويني الذي أخرج من السجن (٩٤١هـ / ١٥٣٤م) وتشارك المنصب، وبعد عام (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) ظل القاضي جهان في منصبه لغاية العام (٩٥٨هـ / ١٥٥١م)، حيث تقاعد من منصبه لكبر سنه، وتوفي سنة (٩٦٠هـ / ١٥٥٣م)^(٣).

ثانياً : سياسة التوسع في عهد الشاه طهماسب، واستمالة الخصوم من حكام الاقاليم حتى عام ١٥٥٦.

أتبع الشاه طهماسب سياسية الترهيب والترغيب في استمالة الخصوم تجاه القوى المحلية والدولة العثمانية، فقد استقبل ولي العهد العثماني الهارب من بلاده لاستثماره ورقة ضغط في سياق صراعاته الإقليمية، فقد منح اللجوء لبايزيد بن السلطان سليمان

(١) أمير محمود بن خواندمير، ايران در روزگار شاه إسماعيل وشاه طهماسب صفوى، به كوشش: غلامرضا طباطبائي، مجموعة انتشارات ادبي وتاريخي، تهران، ١٣٧٠هـ/ش/١٩٥٠م، ص ٣٠٦-٣٠٢.

(٢) سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣) علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ١٨٦.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

القانوني^(١) (٩٢٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م)، واستطاع من خلال هذه الخطوة أن ينتزع صلح أماسيا ١٥٥٥م^(٢) مع الدولة العثمانية ويجنب بلاده مواجهة قوّتهم العسكرية العاتية، كما استقبل همايون بن بابر^(٣)، ملك الهند، وقدم له الدعم العسكري اللازم لاستعادة عرشه؛ فبعدما هزم الملك ناصر الدين محمد همايون أمام شيرخان سوري^(٤) (١٤٨٦-١٥٤٥) ولجأ إلى إيران؛ اخذ يعمل الشاه طهماسب الأول إلى استثمار هذا الفرصة لتكريس المكانة الإقليمية للدولة الصفوية. وعلى الرغم من الروايات تختلف حول طبيعة الاستقبال؛ يتفق أغلب المؤرخين على أن الشاه عامل ضيفه تعاملًا دبلوماسياً محسوباً له. فقد وجه قاداته باستقبال الوفد المغولي استقبالا ملكياً فخماً يليق بمكانة همايون، في محاولة إظهاره حليفاً مرجحاً للدولة الصفوية ولكسب ثقته. كما حاول الشاه نصح الضيف بتبني الهوية الصفوية من خلال مقترحات تتعلق بالمظهر والطقوس، وهو ما قوبل بالرفض من لدن وفد همايون بدايةً قبل أن يخضعوا للحسابات السياسية، وعلى الرغم من تردد همايون في قبول التحول المذهبي؛ لكن الشاه نجح بفعل الضغط الناعم والمشورة الدبلوماسية في دفعه إلى إظهار القبول، مقابل تقديم وعدٍ صريحٍ بالدعم العسكري وتمكينه من استعادة حكمه في الهند. وبذلك جسدت مراسيم استقبال طهماسب لهمايون خطوة سياسية دبلوماسية متقنة، بفعل احتواء إمبراطوري هدف إلى تمدد النفوذ الصفوي ولكسب حليف مهم في جنوب آسيا^(٥)، فحقق طهماسب بذلك مكسبين مهمين أولهما عودة همايون إلى بلاده بما عزز المكانة

(١) سليمان القانوني: هو أحد أبرز سلاطين الدولة العثمانية، تولى الحكم بين عامي ١٥٢٠ و ١٥٦٦م خلفاً لوالده السلطان سليم الأول. شهد عهده توسعاً في أوروبا، إذ قاد حملات كبرى وحاصر فيينا، كما أبرم معاهدات مهمة مع فرنسا، وخاض حروباً متواصلة ضد الدولة الصفوية. غير أنّ أواخر حكمه شهدت تراجعاً في إدارة الدولة نتيجة ازدياد نفوذ الحريم داخل القصر، ويُعزى ذلك لدور زوجته روكسلانا التي أسهمت في تصاعد الصراعات الداخلية، ما أدى في نهاية المطاف إلى مقتل ابنه مصطفى وبايزيد. شهد عبد الرزاق محمد، المصدر السابق، ١٠٨.

(٢) يُعدّ صلح أماسيا اتفاق سلام رسمي عُقد بين الدولتين الصفوية والدولة العثمانية سنة ٩٦٢هـ/١٥٥٥م في مدينة أماسيا بالأناضول. يراجع للمزيد: محمد جواد عبد الكاظم الشمري، المصدر السابق، ص ١١٧-١٢٠.

(٣) صابرين شلاكة رداد الجياشي، العلاقات المغولية الصفوية ١٥١٠-١٥٥٦، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٨، ص ٨٩-٩٤.

(٤) زعيم أفغاني، عاش حياة تعتمد على الزراعة وعهد آلية أبيه بالأقطاعات الزراعية فأحسن إدارتها بعد ذلك دخل في خدمة حاكم البهار من ١٥٢٢-١٥٢٦ وانتقل إلى خدمة بابر ورجع ليكون وصي على جلال الدين حاكم البهار الصغير ونشب الخلاف بينه وبين جلال الدين فسيطر شير شاه على البهار ومنها انطلق ليفرض سيطرته على أراضي كابل وكشمير، وبعدها دخل في حروب مع همايون وهزمه في ١٥٣٩ و ١٥٤٠، واخذ بعد ذلك يوسع ملكه في الهند واستولى على راجبوت بعد مقاومة عنيفة من الهنود. جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠١، ص ٦١-٦٦.

(٥) صابرين شلاكة رداد الجياشي، المصدر السابق، ص ٩٥-٩٩.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

المعنوية للنفوذ الصفوي في الهند، وثانيهما إحكام الضغط على القبائل الأوزبكية عبر محاصرتها بين القوتين المغولية في الهند والصفوية في إيران، الأمر الذي حدّ من قدرتها على شن هجمات واسعة ضد الأراضي الصفوية^(١).

أصبح القاص ميرزا والياً عليها منذ العام ١٥٣٨ وخلال وجود الشاه في مدينة سهند القريبة من تبريز وصل إليه القاص ميرزا ومحمد خان والي شكي عام ١٥٤١ ليجددا ولاءهما^(٢)، لكن القاص ميرزا أعلن التمرد ضد شقيقه الشاه سنة (٩٥٢هـ / ١٥٤٥م) بتحريض من بعض أمراء القزلباش المتواجدين في شيروان، وبعد ذلك عاد الاثنان إلى ولاياتهما. فحاول الشاه طهمااسب ثني أخيه عن موقفه المتمرد، لكن القاص رفض كل مقترحات الشاه ومساغيه فكانت له تطلعات واضحة وطموح لاعتلاء العرش الصفوي^(٣)، ومع تصاعد التوتر؛ توجه الشاه طهمااسب أواخر (٩٥٣هـ / ١٥٤٦م) وبداية (٩٥٤هـ / ١٥٤٧م) من قزوین على رأس جيش كبير باتجاه أذربيجان قاصداً مدينة شيروان للقضاء على انتفاضة أخيه، مما حدا بالقاص لإرسال أمه خان بيكي^(٤) خانوم وابنه سلطان احمد إلى الشاه لغرض المصالحة وتأمين العفو واخذ الأمان له فالتقوا الشاه في تبريز في (٩ ربيع الاول ٩٥٤هـ / ١١ أيار ١٥٤٧م)^(٥)، فابقي القاص في منصبه وعفا عنه^(٦).

لكن ما إن وصل القاص ميرزا إلى شيروان حتى أعلن انتفاضته مرة أخرى ضد الشاه وأعلن نفسه شاهاً على إيران وضرب النقود باسمه وذكر اسمه في خطبة صلاة الجمعة على المنابر^(٧)، فجهز الشاه جيشاً وسار به إلى شيروان مع بداية عام (٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) فانسحب القاص إلى قراباغ ومنها أرسل إلى الشاه رسالة يخبره بأنه ذاهب إلى السلطان العثماني للاستعانة به عليه، فهرب باتجاه سواحل البحر الأسود ووصل ميناء

(١) شرف خان البديلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٤.

(٢) شرف خان البديلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٣.

(٣) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٤) خان بيكي خانم: إحدى زوجات الشاه إسماعيل الأول، تنتمي إلى قبيلة الموصلو القزلباشية، اكتسبت أهميتها التاريخية أساساً من كونها أم الأمير القاص ميرزا، الذي كان له حضور في الصراعات الأسرية والسياسية خلال عهد الشاه طهمااسب الأول. ويعكس زواجها من الشاه إسماعيل سياسة المصاهرة التي انتهجها الصفويون مع زعماء القزلباش لتثبيت أركان الدولة وتعزيز ولاء القبائل، الأمر الذي منح خان بيكي خانم مكانة معتبرة داخل البلاط الصفوي، وإن كانت المصادر لا تُفرد لها تفاصيل واسعة عن حياتها ودورها المباشر. رضا بازوكي، تاريخ إيران از مغول تا أفشاريه، جاب أول، تهران، ١٣٣٤هـ ش / ١٩١٦م، ص ٢٩٦.

(٥) حسين بن مرتضى الحسيني الاسترآبادي، بيشين، ص ٧٢.

(٦) شرف خان البديلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٥؛ محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٧) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج ١، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، ١٩٨٨، ص ٣٤٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

أزوف وركب سفينة وسار إلى استانبول، وبسرعة عيّن الشاه ابنه إسماعيل ميرزا واليا على شيروان بدلا من أخيه وعين كوكجه سلطان قاجار مساعداً له، ولما وصل القاص ميرزا إلى بلاط السلطان سليمان سنة (٩٥٥هـ/١٥٤٨م)؛ استقبله استقبالاً حافلاً وكان السلطان يبتغي من وراء ذلك استمالة القاص ميرزا وجعله أكثر ولاءً له ومنفذاً لأوامره^(١).

ثالثاً : المرحلة الاخيرة من حكم الشاه طهماسب، ومسألة ولاية العهد حتى عام ١٥٧٦.

بعد ان انتقل مركز حكم الشاه طهماسب من تبريز إلى قزوین عام (٩٦٢هـ/١٥٥٥م)، وصبحت الأخيرة العاصمة الرسمية للدولة، وكان الشاه قد بدأ منذ سنة (٩٥١هـ/١٥٤٥م) بتشديد مؤسسات الدولة في قزوین، وفي مقدمتها قصور فاخرة تحيط بها حدائق واسعة خُصصت لإقامة السفراء والوفود الأجنبية، ويبدو أنّ اختيار قزوین جاء نتيجة موقعها الوسطي نسبياً في البلاد، ورغبة الدولة في تعزيز مركزيتها وترسيخ إدارتها، لم يكن اختيار الشاه طهماسب الأول لمدينة قزوین عاصمةً قراراً عارضاً؛ بل جاء نتيجة جملة من الدوافع السياسية والعسكرية والإدارية التي فرضتها ظروف النصف الأول من القرن العاشر الهجري، وأول هذه الأسباب: الاعتبارات العسكرية والدفاعية؛ إذ تعرّضت العاصمة السابقة تبريز لغزوات عثمانية متكررة، لا سيما خلال حروب السلطان سليمان القانوني، الأمر الذي جعلها مدينة غير آمنة لتكون مقراً دائماً للحكم، بينما تمتعت قزوین بموقع أكثر تحصيناً في الداخل الإيراني، بعيداً نسبياً عن خطوط المواجهة المباشرة. ثانياً، الموقع الجغرافي الاستراتيجي؛ حيث تقع قزوین في نقطة وسطى تقريباً بين شمالي إيران وغربيها ووسطها، وقريبة من طرق التجارة والمواصلات الرئيسية، مما سهّل على السلطة الصفوية إدارة شؤون الدولة وضبط الأقاليم المختلفة من مركز أكثر توازناً. ثالثاً، الحد من نفوذ أمراء القزلباش؛ فقد كانت تبريز معقلاً قوياً لزعماء القزلباش ونفوذهم العسكري والسياسي، ونقل العاصمة إلى قزوین أتاح للشاه طهماسب فرصة إعادة تنظيم السلطة المركزية وتقليص تدخل القادة القبليين في شؤون الحكم، بما يخدم مشروعه في ترسيخ الحكم الملكي. رابعاً، الدوافع الإدارية والتنظيمية؛ إذ سعى الشاه طهماسب إلى إنشاء عاصمة أكثر استقراراً، تسمح ببناء مؤسسات إدارية ودينية جديدة، وتوفير بيئة مناسبة لاستقرار العلماء والفقهاء الذين اعتمد عليهم في تثبيت المذهب الشيعي الاثني عشري بوصفه المذهب

(1) Sinem Arcaç, Gifts in Motion. Ottoman-Safavid Cultural Exchange 1501-1618, Thesis Doctorate, The college of the Graduate school, the university of Minnesota, Minnesota, 2012, P. 86-89.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الرسمي للدولة^(١)، وقد رافق انتقال العاصمة انتقال عدد من الشخصيات العلمية والثقافية البارزة، من بينهم الشيخ حسين^(٢) بن عبد الصمد العاملي الحارثي (٩١٨-٩٨٤ هـ / ١٥١٢-١٥٧٦ م) (والد الشيخ البهائي)، الذي حلّ ضيفاً على الشاه في قزوین سنة ٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م بدعوة خاصة، فعينه طهماسب في منصب شيخ الإسلام في عاصمته الجديدة^(٣).

كان إسماعيل ميرزا والياً على مدينة شيروان منذ عام (٩٥٣ هـ / ١٥٤٧ م) واتسم بالجرأة والشجاعة وبعدما عقد صلح أماسيا قام بعمليات استنزافية على الحدود ضد العثمانيين على اثر ذلك أمر الشاه طهماسب بأبعاده حتى لا يوتر العلاقات مع الدولة العثمانية فأرسله الى هراة لكي يكون والياً عليها بدلاً من أخيه محمد ميرزا، وحينما وصل اليها في كانون الثاني (٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م) اضحى يسيء معاملة أخيه ويقوم بالتعدي على الآخرين ، فامر الشاه طهماسب في عام (٩٦٣ هـ / ١٥٥٦ م) باستدعاء ابنه إسماعيل ميرزا بعدما عينه باشهر قليلة حاكماً على هراة، وأستبدله بأخيه محمد ميرزا^(٤)، وذلك على خلفية ما بلغه من تقارير تشير الى انغماسه بالملذات وسعية الى استمالة بعض القادة من القزلباش بهدف التمرد وإعلان العصيان على طاعة أبيه، وعندما وصل إلى منطقة ساوه بالقرب من قزوین، نقل إلى سجن قلعة قهقهه في ذي القعدة ٩٦٣ هـ / كانون الاول ١٥٥٦ م^(٥).

وخلال شتاء عام (٩٧٥ هـ / ١٥٦٨ م) نصب الشاه طهماسب ابنه الصغير محمود ميرزا حاكماً على ولاية كيلان وجعل الله قلي سلطان ايجك اوغلي وصياً لإدارة شؤون الولاية وكلف أمراء القزلباش لإدارة شؤون مناطق ولاية كيلان، فتعاملوا بقسوة مفرطة مع

(١) يراجع للمزيد: آمال حسين محمود، قزوین عاصمة الدولة الصفوية، (بحث)، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة سوهاج، العدد ٣٩، ٢٠١٣.

(٢) الشيخ حسين العاملي: عالم شيعي بارز من جبل عامل. ظهر دوره بوضوح في سياق الدولة الصفوية عندما هاجر مع أسرته إلى إيران واستقر في قزوین ثم في مدن أخرى داخل الدولة الصفوية حيث مارس التعليم والتدريس، وشغل مناصب دينية معتبرة، كما اسهم في نشر الفكر الشيعي وتعليم العلوم الشرعية لأبناء الجالية والعلماء الناشئين، وكان المعلم الأساس لابنه الشيخ البهائي الذي تلقى عنده أصول العلم قبل أن يصبح من كبار علماء الدولة الصفوية. وقد أشارت الدراسات إلى أنه لقي احتراماً وتقديراً في البلاط الصفوي بما أن الشاه طهماسب الأول دعاه للعمل في مراكز علمية ودينية لتعزيز المنظومة الفكرية داخل صفوف المجتمع الصفوي. حسن الامين، المصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) عباس حسن الموسوي (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية دراسة تحليلية، ط ٢، مطبعة وفاء، قم، ٢٠٠٧، ص ٥٧.

(4) Kathryn Babayan and another, Slaves of the Shah New Elites of Safavid Iran, I.B. Tauris & Co Ltd, London, 2004, P. 26.

(٥) منوچهر بارسادوست، شاه إسماعيل دوم: شجاع تباه شده، شرکت سهامی انتشار، تهران، ١٣٨١ هـ / ٢٠٠٣ م، ص ٢٦.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الناس بحجة خروج بعضهم على طاعة الشاه واشتراكهم مع سلطان هاشم بالتمرد، ويبدو ان اهالي كيلان كان لهم مبرر لأنهم كانوا يدينون بالولاء لحكام كيلان ويرفضون اية سلطة تحكمهم، ومع بداية عام (٩٧٦هـ / ١٥٦٩م) بدأ تمردهم تحت قيادة أميره دجاج بن قره محمد وأزدها سلطان وهم من وجهاء كيلان، وهجموا على مدينة لشته نشايي وقتلوا حاكمها شهبسوار بك بن سبهبسالار وموظفي الشاه عن بكرة أبيهم، وبذلك سيطر أميره دجاج على لشته نشايي ليتخذها قاعدة لحروبه مع جنود الشاه طهماسب، وإزاء هذا الوضع أرسل الشاه طهماسب نحو عشرة آلاف مقاتل من أمراء وجنود القزلباش من قبيلة استاجلو لنجدة ابنه محمود ميرزا، فاشتبك الطرفان بمعركة استمرت ساعات طوال حتى قتل عدة آلاف من جنود لاهيجان وعلى رأسهم أميره دجاج، وبذلك انتهى تمرد أهالي لاهيجان ودخلت المدينة من جديد تحت سلطة الشاه مع بداية عام (٩٧٧هـ / ١٥٧٠م)^(١).

شهدت السنوات الأخيرة من حكم الشاه طهماسب الأول اتساعاً ملحوظاً في حجم الخلاف بين قادة القزلباش، فكان الشاه يحتفظ في قلعة قهقهة، التي سُجن فيها ابنه إسماعيل ميرزا، بخزائن ثمينة ضمت كميات كبيرة من الذهب والفضة. وقد بلغ الشاه أن بعض سبائك الذهب قد سرّبت من القلعة إلى خارجها، فأمر بإيفاد مجموعة من كبار رجالات القزلباش الموثوقين للتحقيق في الأمر، وهم خليفة أنصار قرادغلو، وحسين قلي سلفاي روملو، وبريه محمد خان استاجلو، وولي خليفة شاملو، فانقسم أعضاء هذه البعثة إلى فريقين: الأول مال إلى تأييد حيدر ميرزا شقيق إسماعيل ميرزا، بينما وقف الثاني إلى جانب إسماعيل ميرزا نفسه، ويذكر أن بريه محمد خان استاجلو انحاز إلى حبيب بك استاجلو، حاكم القلعة، لروابط القرابة بينهما، وقد اتفق سرّاً مع إسماعيل ميرزا الذي وعده بتزويجه ابنته، كما انضم خليفة أنصار قرادغلو إلى جانب حاكم القلعة بدافع الصداقة والقرابة مع قبيلة استاجلو، في حين وقف العضوان الآخران - حسين قلي سلفاي روملو وولي خليفة شاملو - في صف إسماعيل ميرزا، وما إن بلغ الشاه طهماسب خبر هذا الانقسام؛ سارع إلى احتواء الأزمة، فأمر بنقل الخزائن الملكية إلى العاصمة قزوین، وأعفى حبيب بك استاجلو من إدارة القلعة، وعيّن مكانه خليفة أنصار قرادغلو^(٢).

(١) علي مير فرطوس، الحركة الحروفية. انتفاضة البسيخانيين النقطوية في إيران من تيمورلنك إلى الشاه عباس الصفوي، ترجمة: حسن الجاف وشكور مصطفى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢، ص ٧٤-٧٥

(٢) نصر الله فلسفي، زندکانی شاه عباس اول، جلد اول، انتشارات دانشگاه تهران، تهران، ١٣٣٢هـ ش/ ١٩٥٤م، ص ١٠.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

عندما أُلِمَت بالشاه طهماسب وعكه صحية في سنة (٩٨١هـ / ١٥٧٤م)؛ اشتد التنافس بين قبائل القزلباش حول وراثة العرش، وبدأ كل فريق يهيئ مرشحه الخاص لتسلم السلطة، وكشفت هذه الوقائع مدى النفوذ الذي بلغه قادة القزلباش في تلك المرحلة من العصر الصفوي، حتى بلغ بهم الأمر محاولة إقصاء إسماعيل ميرزا عن ولاية العهد، ولما أدرك الشاه طهماسب الأول خطورة الموقف وخشي أن يتعرض ابنه إسماعيل لمكروه على يد طائفة استاجلو؛ قام بإرسال خمسين رجلاً من طائفة أفشار لتأمين حياته وحمايته، وفي السياق ذاته من هذا الصراع؛ سعت طائفة استاجلو بقيادة حسين بك يوزباشي استاجلو إلى منع اختيار إسماعيل ميرزا وريثاً للعرش. ولتحقيق هدفها، عملت القبيلة على توحيد صفوفها مع طائفة شيخاوند، التي كان أحد قادتها وصياً على حيدر ميرزا، دعماً لتوليته الحكم بعد وفاة أبيه، كما أقام أفراد استاجلو اتصالات مع حكام كرجستان، أقرباء حيدر ميرزا من جهة الأم، وتواصلوا كذلك مع قبيلة قاجار التي زودتهم بمجموعة من الرجال لتعزيز موقفهم. وفي المقابل، اتحدت قبائل القزلباش الأخرى، مثل الروملو والأفشار والتكلو، بقيادة حسين خلفاوي روملو، لدعم إسماعيل ميرزا وتأييده وريثاً للعرش، لاسيما أنهم كانوا يدركون أن شقيقه الأكبر محمد ميرزا كان كفيف البصر وغير قادر على إدارة شؤون الحكم، فضلاً عن سهولة استغلاله من خصومهم^(١).

رابعاً : نهاية حكم الشاه طهماسب عام ١٥٧٦ وبداية تدخل الحريم في شؤون ولاية العهد وفرض الارادات على العرش.

سار الجدل بين على ولاية العهد على من يخلف الشاه طهماسب على العرش ما بين اسماعيل وحيدر ابناء الشاه، فقد حظي حيدر ميرزا بدعم واضح من أمراء القزلباش من قبائل القاجار وأستاجلو الذين كانوا يسيطرون على اغلب وظائف الدولة ويحكمون العديد من المدن^(٢)، كما وقف الى جانبه أيضاً قادة كرجيين (جورجيين) كون والدته حيدر ميرزا واسمها سلطان زاده خاتم^(٣) من أصول كرجية^(٤). ورأت قبائل القزلباش

(1) E. Van Denzel, The Encyclopaedia Of Islam, Vol 4, The Patronage Of The International Union Of Academies, E. J. Brill, Leiden The Netherlands, 1997, New Edition, PP. 35-36.

(2) Clements R. Markham, A General Sketch of the History of Persia, London, 1874. P. 272.

(٣) كانت سلطان زاده خانم، زوجة الشاه طهماسب الأول وأخت أمان بيك أحد النبلاء الكرج، وكذلك أخت علي خان بيك حاكم كرجستان، من بين النساء الجميلات اللواتي أرسلن إلى الشاه جاريةً من حكام كرجستان، ثم أصبحت من أقرب النساء إلى قلبه، وقد أنجبت له ابنه الأمير حيدر ميرزا، وسعت مستفيدةً من دعم القادة الكرج

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الأخرى مثل الشاملو والروملو والافشار أن اهتمام الشاه طهماسب بحيدر ميرزا ومنحه بعض الصلاحيات، يعد بمثابة خطر يهدد نفوذهم في الدولة، بسبب أصول أمه الجورجية، وذلك يعني أن توليه العرش سيؤدي إلى فتح الباب أمام العناصر الكرجية للتغلغل بالوظائف بدلاً من القزلباش^(١)، لذا اتجهت هذه القبائل إلى دعم ومساندة إسماعيل ميرزا الابن الثاني للشاه طهماسب، والذي أودعه الشاه في قلعة القهقهة سنة (٩٦٣هـ / ١٥٥٦) وقد تزعم هذا الاتجاه المؤيد لإسماعيل ميرزا خليفة الخلفاء حسين قلي خلفا^(٢). والجدير بالذكر أن الشاه طهماسب انجب من نسائه العديداً اثني عشر ولد وهم : محمد ميرزا المعروف بمحمد خدابنده وإسماعيل ميرزا والاثنتان من أم واحدة هي سلطانم من طائفة موصولي التركمانية ؛ ومراد ميرزا الذي ذهب في صحبة همايون ملك الهند إلى قندهار ومات فيها وهو طفل ؛ وحيدر ميرزا الذي كانت أمه سلطان زاده خانم من كرجستان؛ وسليمان ميرزا الذي كانت والدته سلطان آغا خانم الشركسية وكان له من العمر عند وفاة أبيه واحد وعشرين سنة، والذي وقد قُتل بأمر أخيه إسماعيل ميرزا؛ ومصطفى ميرزا كانت والدته زهراء باجي من كرجستان ولقي حتفه على يد أخيه إسماعيل ميرزا؛ ومحمود ميرزا وقتل أيضاً بأمر أخيه إسماعيل ميرزا؛ ومقلي ميرزا والدته خان برو خانم فقد قُتل على يد أخيه إسماعيل وهو بسن الرابعة عشر من عمره؛ وعلي ميرزا شقيق مصطفى سملت عيناه من قبل إسماعيل ميرزا وهو بعمر الرابعة عشر من عمره؛ أما أحمد ميرزا فقد قُتل بأمر

وحسين بيك يوزباشي، الذي كان الشاه يثق به ويشركه في شؤون الدولة، إلى ترشيح ابنها ولياً للعهد واعتمدت سلطان زاده خانم أيضاً على دعم طائفة استاجلو القزلباشية المعادية للأمير إسماعيل ميرزا، لتعزيز موقف ابنها، وبفضل تأثيرها القوي على الشاه، نجحت في إقناعه بتعيين الأمير حيدر ميرزا ولياً للعهد، إلا أن الأميرة بريخان خانم تمكنت من إحباط هذا القرار وإقناع والدها بالعدول عنه لصالح شقيقها سليمان ميرزا، وقد أدى هذا التنافس بين سلطان زاده خانم وبريخان خانم، وكلتاهما تتمتعان بمكانة مؤثرة لدى الشاه، إلى اندلاع الخلافات داخل الأسرة الصفوية وتزايد التوتر داخل أجهزة الدولة نفسها. عدي سامي فارس المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ٢٠١.

(٤) علي إبراهيم درويش، المصدر السابق، ص ٩٤؛ سعاد جوزيف وآخرون، موسوعة النساء والثقافات الإسلامية، ترجمة: هالة كمال وآخرون، ج ١، مؤسسة المرأة والذاكرة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٦٥.

(1) Sykes, Op. Cit., Vol. II, P. 253.

(٢) كانت هذه القلعة قائمة في ناحية يافت من أعمال قراجه داغ، مشيئة على قمة جبل شاهق يتصل بسفحه عبر طريق ضيق لا يتجاوز طوله نصف فرسخ وكان الشاه طهماسب يلجأ إلى نقل خزائنه إليها كلما تقدّم السلطان سليمان القانوني بحملاته على أذربيجان، مستفيداً من موقعها الحصين، كما جعل منها معتقلاً للأمراء وكبار المسؤولين الصفويين الذين تُثار حولهم الشبهات، نظراً لمناعتها الشديدة ومن أبرز من سُجن داخل أسوارها: سام ميرزا، والقاضي ميرزا، وإسماعيل ميرزا، وخان أحمد خان الكيلاني. سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٣) نصر الله فلسفي، زندكاني شاه عباس أول، ص ١١-١٤.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

اسماعيل ميرزا وهو في عمر العشر سنوات؛ وزين العابدين ميرزا وموسى ميرزا ماتا وهما اطفال؛ اما بالنسبة الى بناته فهن كل من كوهر سلطان خانم وبريخان خانم وخديجه سلطان خانم وزينب بيكم^(١) ومريم خانم وفاطمة سلطان خانم وشهربانو خانم وخانيش بيكم^(٢).

غير أن تحسن صحة الشاه لاحقا أوقفت هذه الصراع التنافسي مؤقتا، وقد حاولت شقيقة إسماعيل ميرزا (بريخان خانم)^(٣) تأليب أبيها ضد حيدر ميرزا متهمة اياه بالتآمر مع أمراء استاجلو لاغتياله، إلا أن والدها لم يعر تلك الادعاءات اهتماما بل زاد من المهام الإدارية لحيدر ميرزا ووسع من صلاحياته^(٤). واستدعى الشاه طهماسب في عام (٩٨٢هـ / ١٥٧٥م) ابنه سليمان ميرزا الذي بلغ العشرين عاما ليتولى إدارة أمور مقام الأمام الرضا (ع) وخدمته، كما استدعى ابن أخيه إبراهيم ميرزا بن بهرام ميرزا إلى

(١) زينب بيگم، ابنة الشاه طهماسب الأول وأخت الشاه محمد خدابنده، كانت واحدة من أبرز النساء في البلاط الصفوي خلال عهد الشاه عباس الأول. عُرفت بنفوذها السياسي الكبير، فقد استطاعت التأثير مباشرة على قرارات الشاه عباس الأول في شؤون الحكم الداخلية والخارجية، وجعلت من نفسها شخصية محورية في إدارة الدولة على الرغم من كونها امرأة في مجتمع ذكوري. تميز دورها خلال أزمة مرض الشاه عباس الأول سنة ١٦٢٠م، حين أحست بخطر فراغ السلطة بسبب غياب ولي للعهد، فأشرفت على إبقائه على العرش على الرغم من مرضه، وأرسلت به إلى فيروزه كوه للتعافي، بينما بقيت هي في العاصمة تراقب قادة القزلباش لضمان استقرار الدولة ومنع الفوضى. كما كانت ملجأ للأمراء والقادة الذين شعروا بالندم بعد تمردهم، فكانت تشفع لهم عند الشاه، ما منحها مكانة استراتيجية ضمن دوائر السلطة. فضلا عن ذلك؛ أدت دوراً في السياسة الخارجية، إذ شجعت الشاه عباس على مواجهة العثمانيين، وأسهم دعمها وتشجيعها في تحقيق انتصارات عسكرية للصفويين، مما يوضح أن تأثيرها لم يقتصر على الحريم أو البلاط، بل امتد ليشمل سياسات الدولة الحيوية، وكانت زينب بيگم شخصية سياسية فاعلة وذكية، جمعت بين النفوذ الداخلي والخارجي، وأسهمت بشكل مباشر في حماية استقرار الدولة الصفوية وترسيخ سلطة الشاه عباس الأول. عدي المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ٢٤٤-٢٤٧.

(٢) بديع جمعة واحمد الخولي المصدر السابق. ص ١٤٠.

(٣) وُلدت الأميرة بريخان خانم، الابنة الثانية للشاه طهماسب الأول، في ٢٥ أيلول ١٥٤٨م، أي في السنة الرابعة والعشرين من سلطنته كانت والدتها سلطان آغا خانم، شقيقة شمخال خان أحد القادة الشركس البارزين، ولها من جهة الأم شقيق هو سليمان ميرزا. ادت دوراً سياسياً محورياً في أواخر حكم والدها لاسيما عندما تدهورت صحة الشاه بين عامي ١٥٧٤-١٥٧٥م، واندلعت الخلافات بين قبائل القزلباش حول خليفة العرش، حيث رشح البعض الأمير حيدر ميرزا، بينما دعم آخرون الأمير إسماعيل ميرزا، استغلت الأميرة بريخان خانم هذه الانقسامات، ونقلت إلى الشاه معلومات دقيقة عن تحركات أنصار حيدر، وأقنعت بتشجيع شقيقها إسماعيل ميرزا لولاية العهد. وبهذا ضمننت موقعها السياسي ونفوذها في البلاط، وأمنت صعود شقيقها إلى العرش بعد وفاة الشاه، مؤكدة بذلك براعتها في السياسة والدور الفاعل للنساء في الحكم الصفوي. للمزيد ينظر. عدي سامي فارس المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ١٩٦-٢٠١.

(٤) والتر هينتنس، بيشين، ص ٤٥-٤٧.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

العاصمة الجديدة قزوین^(١)، وأسند اليه عددا من المهام الإدارية بهدف الى محاولة أضعاف نفوذ القزلباش وتهدة الصراع الخفي الدائر بينهم كما ابعد عدداً من أمراء الاستاجلو إلى مناطق خارج العاصمة تجنباً لتصاعد التوتر وأبعادهم عن الصراع^(٢)، وبعث في العام نفسه وفداً إلى السلطان العثماني مراد الثالث^(٣) (٩٥٣ - ١٠٠٣ هـ / ١٥٤٦ - ١٥٩٥ م) يدعوه إلى مساندة ابنه حيدر ميرزا عند توليه العرش، لكن توفي الشاه طهماسب في (١٥ صفر ٩٨٤ هـ / ١٤ أيار ١٥٧٦) وفي خضم تلك التطورات^(٤)، تروي بعض المصادر التاريخية أن هناك روايتان في حادثة وفاة الشاه طهماسب الأول على الرغم من انه كان يحتاط الحذر بالاكل والشرب؛ حيث تذكر الرواية الأولى بأن وفاته كانت نتيجة تعرضه لحادثة مؤلمة أثناء الاغتسال في الحمام؛ حيث يُذكر إن أحد أطبائه، الذي يدعى أبو نصر الجيلاني، قام بعملية خلط مسحوق الألباس بالمحك أو الحجر الخشن الذي كان الشاه يستخدمه لتنظيف جسده أثناء الاغتسال. وحينما استخدم الشاه ذلك المحك تعرضت بعض أعضائه السفلية للجروح بتأثير حبيبات الألباس الدقيقة والحادة، فساءت حالة تلك الجروح وتعرض للآلام شديدة وتفاقت حالته الصحية فأضحت في مرحلة خطيرة لم يستطع الأطباء من معالجتها، مما أدى في نهاية المطاف إلى وفاته ؛ أما الرواية الثانية فتذكر إلى أن وفاة الشاه لم تكن طبيعية، بل كانت نتيجة عملية قتل مكيدة مخطط لها داخل البلاط الصفوي. إذ تروي بعض الأفادات إلى أنه قُتل بالسم بسعي من زوجته سلطان زادة الكرجية، وهي أم الأمير

(١) يرجع قرار نقل العاصمة من تبريز إلى قزوین، بسبب موقع تبريز الحساس قرب الحدود العثمانية، مما جعلها عرضة لهجمات العثمانيين في كل حملة عسكرية إضافة فضلاً عن ذلك، تقع قزوین في موقع أكثر مركزية داخل الدولة الصفوية وأقرب إلى خراسان، الأمر الذي يتيح للشاه التحرك سريعاً لمواجهة أي تهديد أوزبكي. وبعد الحملة العثمانية بين عامي ١٥٤٨-١٥٤٩، أمر الشاه طهماسب بنقل العاصمة إلى قزوین، بعد أن شيد فيها مجموعة من المباني التي أصبحت مقرات حكومية ودوراً مخصصة للبعثات الأجنبية والسفراء.

A. V. Williams Jackson, Persia Past and Present, The Macmillan Company, London, 1906, P. 243; H. G. Dwight, Persian Miniatures, Doubleday, Page & Company, New York, 1917, P. 47.

(٢) نصر الله فلسفی، زندکاني شاه عباس أول، ص ١٤-١٦.

(٣) مراد الثالث: سلطاناً عثمانی وُلد في إستانبول عام ١٥٤٦ وهو ابن السلطان سليم الثاني ووالدته نور بانو سلطان، وكان مهتماً بالفنون والشعر والأدب ويتقن ثلاث لغات التركية و العربية و الفارسية، وتوفي السلطان مراد في ١٦ كانون الثاني ١٥٩٥. منير البعلبكي، معجم اعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢، ص ٤٢٢؛ ابراهيم حسنين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية، ٢٠١٤، ص ٣٤٩-٣٥١.

(4) David O. Morgan and Anthony Reid, The New Cambridge History Of Islam (The Eastern Islamic World Eleventh to Eighteenth Centuries), Vol. 3, Cambridge University Press, London, 2010. PP. 216-217

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

حيدر ميرزا. وتذكر الرواية انه دعى ابنه حيدراً فقال له : "لم فعلت بي هذا يا حيدر، ولم عجلت علي، هَبْ أنك ملكت ووصلت إلى ما رمت، فهل تتمتع بعدي؟!""^(١). وما يؤكد هذه الرواية أن الحافظ الذي يقف وراء ذلك المخطط لعملية الاغتيال كان الصراع المتفاقم داخل العائلة الصفوية حول مسألة ولاية العهد ووراثه العرش وتحديد من يخلف الشاه في الحكم، حيث كانت أطراف البلاط المختلفة تشجع أمراء متنافسين على العرش. وفي ظل هذا التنافس المحتدم، يحتمل أن تكون حادثة التسميم جزءاً من تلك الصراعات السياسية التي شهدتها كثيراً البلاط الصفوي في أواخر عهد الشاه طهماسب الأول^(٢). وبينما كان جسد الشاه مسجى على الأرض تفجّر الصراع بين القزلباش حول وراثه العرش الصفوي، وما ترتب على ذلك من تباين الولاءات داخل القبائل، واحتدمت المنافسة بين الفريقين، أحدهما مؤيد لحيدر ميرزا، والآخر داعم لإسماعيل ميرزا، حتى امتد هذا الانقسام ليشمل فئات من الشعب الإيراني ذاته، غير أن حيدر لم يرضخ للأمر، فسارع بعد وفاة أبيه إلى وضع التاج على رأسه وإعلان نفسه شاهاً، مستنداً إلى وصية مختومة بخاتم الشاه طهماسب، يزعم أنها تثبت أحقيته بالعرش، عند هذه النقطة تجلّى عمق الصراع بين قبائل القزلباش ومدى نفوذها في تقرير مصير العرش الصفوي، فقد كانت نوبة الحراسة على القصر ليلة إعلان حيدر ولياً للعهد بيد رجال قبائل الروملو والأفشار والبيات، وجميعهم من أنصار إسماعيل ميرزا، فحاولوا دون خروج حيدر من القصر أو تواصله مع مؤدبه، وحين حاول الهرب متكرراً بزي امرأة، تمكن الحرس من كشف أمره وقتله أمام والدته، وبعد وفاة الأمير حيدر ميرزا، تشتت أتباعه وتفرقوا وتوارى الكثير منهم عن الأنظار، فيما قُتل عدد كبير منهم في قزوين وسائر المدن الأخرى، ومصادرة ممتلكاتهم، ولم تُذكر بعد ذلك أية تفاصيل حول مصير سلطان زاده والده الأمير حيدر ميرزا، ويُرجّح أنها كانت ضمن الذين جرى التخلص منهم وتصفيتهم، وبعد هذه الأحداث أصبحت الأميرة بريخان خانم هي المرأة النافذة والحاكمة داخل القصر، إذ أدى مقتل حيدر إلى ترجيح كفة المعادلة تماماً لصالح أنصار إسماعيل ميرزا، الذي كان لا يزال سجيناً في قلعة قهقهة منذ أكثر من عشرين عاماً، وما إن وصله خبر مقتل أخيه حتى بادر إلى السيطرة على القلعة، مستفيداً من دعم القزلباش الموالين له، فغادرها في يوم الثلاثاء (٢٢ صفر عام ٩٨٤هـ / ٢١ أيار ١٥٧٦م) متوجهاً عبر أردبيل

(١) نقلاً عن: احمد بن يوسف القرمانى، إخبار الدول واثار الأول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد، ج٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢، ص١١٧.

(٢) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٠٨؛ احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٤٣؛ احمد بن يوسف القرمانى، المصدر السابق، ص١١٧.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

نحو العاصمة قزوین^(١)، فوصلها (في ١٧ ربيع الأول/ ١٥ حزيران من العام ذاته)، ليمهد الطريق لتوليهِ العرش الصفوي. ومع وصوله إلى قزوین، امتنع إسماعیل میرزا عن دخول القصر الملكي، مفضلاً الإقامة متنقلاً بين منزلي حسين قلي خليفة الخلفاء، ومنزل أخته بريخان خانم، إلى أن حلّ يوم (٢٧ جمادى الأولى/ ٢٥ اب)، وهو الموعد الذي حدده المنجّمون لتتويجه ملكاً على إيران، وخلال تلك المدّة؛ أصدر إسماعیل أوامره بقتل عدد من أنصار حيدر میرزا، لا سيما رؤساء طائفة استاجلو، كما ازدادت شكوكه حتى فيمن أظهرُوا الولاء له، ومن بينهم حسين قلي خليفة الخلفاء نفسه، الذي آواه في منزله، وقد رأى إسماعیل أن مكانة حسين قلي وكثرة أتباعه قد تشكل خطراً عليه، فأمر بسمّل عينيه، وهكذا انتقل العرش إلى إسماعیل میرزا وتولى الحكم وبذلك دخلت البلاد في مرحلة أخرى من مراحل التاريخ الصفوي^(٢).

خامساً : تتويج الشاه إسماعیل الثاني عام ١٧٧٦ وبداية الصراع على العرش .

توّج إسماعیل الثاني في (٢٧ من جمادى الأولى ٩٨٤هـ/ ٢٥ اب ١٧٧٦م) میرزا شاهاً على إيران في قاعة جهل ستون داخل القصر الملكي بقزوین عن عمر ناهز الأربعين عاماً، واتخذ لنفسه لقب إسماعیل الثاني، ويتبين أن السنوات الطويلة التي قضاها في السجن تركت به أثراً نفسياً عميقاً، فزادت من حدّته وقسوته، وربما تأثر كذلك بما كان يجري في الدولة العثمانية من إقدام السلاطين العثمانيين^(٣) على التخلص من إخوتهم لمنعهم من

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٢.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٣) شهدت السنوات الأخيرة من حكم السلطان العثماني بايزيد الثاني مرحلة من الاضطراب السياسي نتيجة احتدام التنافس بين أبنائه الثلاثة سليم وأحمد وكوركود، وقد تأثر مسار الصراع بالعلاقات المعقدة بين القوى العسكرية، لاسيما الانكشارية، وبالوضع الإقليمي المضطرب على حدود الدولة برز الأمير أحمد بوصفه الوريث المفضل لدى السلطان بايزيد، غير أن ميوله نحو تقليص نفوذ الانكشارية أثارت خشيتهم من صعوده، وفي المقابل استطاع سليم استمالة الجهاز العسكري، فحظي بدعم حاسم مكّنه من فرض نفسه كمرشح أقوى للعرش أمّا الأمير كوركود فظل أقل تأثيراً، واتسم موقفه بالتردد والعجز عن حسم الصراع لصالحه أدّت محاولة أحمد الانفراد بالسلطة إلى مواجهة مباشرة مع سليم، انتهت بهزيمة أحمد وفراره وفي ظل تقدم سليم عسكرياً وسياسياً، اضطر بايزيد الثاني إلى التنازل عن الحكم سنة ١٥١٢ وبعد اعتلائه العرش، اتبع السلطان سليم الأول سياسة القضاء على منافسيه داخل الأسرة، فأعدم أحمد وكوركود وأبناؤهما، التزاماً بمبدأ "حفظ النظام" الذي اعتمدته الدولة العثمانية لتجنب الفتن والصراعات الداخلية وبذلك شكّل صعود سليم الأول مرحلة انتقالية حاسمة في التاريخ العثماني، أسست لسلطة مركزية قوية ومهدّت للفتوحات الواسعة التي شهدتها الدولة في عهده. جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية إبان حكم السلطان سليم الأول ١٥١٢-١٥٢٠م، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤، ص ٦٠-٧٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

منازعة السلطة، كما تشير بعض الآراء إلى أن تحريض ميرزا مخدوم الشريفي^(١)، أحد علماء السنة، أسهم في دفعه إلى اتخاذ إجراءات أكثر قسوة، فما إن استقر له العرش حتى أمر بقتل عدد من إخوته، من بينهم مصطفى المؤيد لحيدر ميرزا، وسليمان شقيق بريخان خانم، وأحمد ميرزا، فضلاً عن أولادهم، فلم يبق من الأسرة الصفوية سوى أخيه الأكبر محمد ميرزا وأبنائه، وكاد إسماعيل الثاني أن يجهز عليهم أيضاً، لولا خشيته من غضب والدته التي كانت تظهر محبة وتعاطفاً كبيرين لابنها الأكبر الكفيف وأولاده، ومع ذلك، لم يسلم هؤلاء من بطشه بالكامل، إذ أقدم على قتل حسن ميرزا، الابن الأكبر لمحمد ميرزا، وعمل على الحد من نفوذ بريخان خانم ومصادرة الأموال والممتلكات التي تسيطر عليها وتكليف عمته شاهزاده خانم^(٢) لإدارة شؤون الحرم الملكي، كما أرسل غازي بك، أحد رؤساء طائفة ذي القدر، إلى شیراز لإبلاغ محمد ميرزا وبقيّة أبنائه بضرورة الاستعداد لتنفيذ أية أوامر جديدة قد يصدرها الشاه^(٣).

اتسع نطاق عمليات القتل التي أصدرها الشاه إسماعيل الثاني ، ليشمل طائفة الصوفية، فقتل منهم ما يقارب ١٢٠٠ شخص المرتبطة بحسين قلي خليفة الخلفاء، الذي كان قد أمر بسمل عينيه سابقاً، وازداد إسماعيل قسوة وتعطشاً للدماء بعد أن رزق بولد سمّاه محمد في شهر رجب (٩٨٥هـ / ١٥٧٧م)، إذ دفعه ولعُه بتأمين العرش لابنه إلى التخلص ممّن تبقى من الأمراء الصفويين^(٤) خشية أن ينافسوه مستقبلاً، وفي هذا السياق، كلّف علي قولي بك كوركان، أحد قادة طائفة شاملو، بقتل عباس ميرزا^(٥) ابن أخيه محمد خدابنده في

(١) عالم على المذهب السني، عاصر الشاه اسماعيل الثاني. سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٤٢؛ عدي المالكي، المصدر السابق، ص ٢٠٩.

(٢) شاهزاده سلطانم بيكم: مثّلت إحدى أبرز الشخصيات السياسية في الدولة الصفوية. تميزت بنشاطها الاستشاري الفاعل منذ عهد والدها الشاه إسماعيل الأول، الذي اعتمد على آرائها في القرارات الكبرى. وعلى الرغم من تعرضها لمحاولة تسميم بسبب هذا النفوذ؛ واصلت حضورها السياسي المتصاعد. وبلغت مكانتها ذروتها في عهد الشاه طهماسب الأول، إذ أصبحت مستشارته الأقرب وكاتمة أسرارهِ، تُستشار في الملفات السياسية والاقتصادية والمالية، ويعتمد الشاه على رأيها في معظم قراراته. كما أدّت نشاطاً دبلوماسياً مهماً، لاسيما في إدارة ملف لجوء السلطان همايون المغولي وتوجيه سياسة الدولة تجاهه بما يعزز موقع الصفويين إقليمياً. وبذلك برزت سلطانم بيكم كعقل سياسي هادئ ومؤثر داخل البلاط الصفوي، وأسهمت خبرتها ونفوذها في تشكيل مسار القرار الصفوي داخلياً وخارجياً. عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية...، ص ١٩٠-١٩١.

(٣) بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٤) ورد في إحدى وثائق مكتبة الفاتيكان التي تحتوي تقريراً عن عصر الشاه اسماعيل الثاني: انه قتل كثيراً من القادة والحكام لمجرد تجربة سيفه، وأن ١٢ ألفاً قد قتلوا بيده أو أمره خلاف الذين سملت عيونهم أو نفوا في أماكن بعيدة عن العاصمة. نقلاً عن: احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٥) عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية...، ص ٢١٣.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

عام ١٥٧٧م، بعد أن شعر بأن وجوده قد يشكل تهديداً لعرشه، لكن أمراء القزلباش اعترضوا على هذا القرار، معتبرين أن بقاء عباس ميرزا في هراة يمثل توازناً في القوة هناك، مقابل نفوذ أمراء التركمان - أعداء القزلباش - الذين كانت لهم سطوة كبيرة داخل القصر الصفوي^(١).

اتجه الشاه إسماعيل الثاني في توجهاته الدينية الباطنية نحو المذهب السني، وسعى إلى إحياء مظاهره داخل إيران، وفي إطار هذا التوجه؛ عمل على تقليص نفوذ العلماء الشيعة والحد من الخطاب المناهض لأهل السنة، الذي شكّل عاملاً رئيساً في تفاقم الخلافات المذهبية وإثارة العنف بين الطرفين، وقد كان الشاه يعبر في مجالسه الخاصة عن رفضه لخطاب الكراهية المذهبية بين السنة والشيعة، مستنكراً ممارسة لعن الخلفاء الراشدين الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان، وعلى الرغم من ميوله تلك؛ لم يعلن إسماعيل الثاني عقيدته بصورة علنية، بل انتهج سياسة تقوم على التدرج والحذر، معتمداً أسلوب الإقناع وإقامة الحجج لتحقيق أهدافه. وقام في هذا السياق، بإبعاد عدد من كبار علماء الشيعة عن البلاط، مقابل تقريب مجموعة من علماء السنة، وفي مقدمتهم مخدم شريف الذي اعتمد عليهم مستشارين في شؤون الدولة والدين، كما أصدر أوامر واضحة بمنع لعن الخلفاء في المساجد والطرق والتجمعات العامة، مقروناً بتهديدات بعقاب المخالفين، وتشجيعات لمن يلتزم بهذا المنع، وفضلاً عن ذلك؛ وجّه الشاه بإزالة جميع العبارات والأشعار التي تتضمن سباً للخلفاء أو مدحاً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) من الأماكن العامة والمؤسسات الدينية، في محاولة لترسيخ سياسة جديدة أكثر ميلاً إلى التوازن المذهبي^(٢).

أدت مساعي الشاه إسماعيل الثاني الهادفة إلى إعادة إحياء المذهب السني في إيران إلى إثارة استياء واسع، لاسيما بين زعماء قبائل القزلباش. فعقد قادة طائفتي التركمان والتكلو اجتماعاً مشتركاً مع عدد من رؤساء القزلباش، ناقشوا خلاله ميول الشاه السنيّة، وانتهوا إلى قرار يقضي بتنصيب حسن ميرزا^(٣)، الابن الأكبر لمحمد شقيق الشاه إسماعيل، شاهاً في حال لم يتراجع الأخير عن توجهه، واختار المجتمعون وفداً لإبلاغ الشاه بقرارهم، إلا أن

(١) فلسفي، بيشين، جلد اول ودوم، ص ٤٥-٤٦.

(٢) عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ١٠٠-١٠٣.

(٣) حسن ميرزا بن محمد ميرزا أحد أمراء العائلة الصفوية كما أنه ابن شقيق الشاه إسماعيل الثاني ومن أحفاد الشاه طهماسب الاول، وقد تزامنت مرحلة شبابه مع واحدة من أكثر الفترات اضطراباً في تاريخ الدولة الصفوية، وهي الفترة التي أعقبت وفاة طهماسب الأول سنة ١٥٧٦م الحاكمة. نصرالله فلسفي، بيشن، ص ٢٧.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

أحد المشاركين في تلك المشاورات سرّب^(١) الأمر إلى إسماعيل الثاني، محذراً إياه من المؤامرة التي يجري إعدادها ضده وقد أثار ذلك غضب الشاه، فأمر باستدعاء القادة المتهمين وواجههم بما نُقل إليه، غير أنهم أنكروا اشتراكهم في أي تدبير ضده. وكلفهم الشاه بقتل حسن ميرزا لإثبات ولائهم، فاستجابوا للأمر، وقُتل الأخير خنقاً وهو لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره؛ ما يبيّن أن اختيار قادة القزلباش حسن ميرزا لتنصيبه ملكاً على إيران لم يكن بدافع الحفاظ على المذهب الشيعي، بقدر ما كان انعكاساً لرغبتهم في استعادة نفوذهم الذي تراجع نتيجة سياسة الشاه إسماعيل الثاني الصارمة تجاههم. ويُلاحظ أن عدداً من زعماء القزلباش ابتعدوا عن عقيدتهم الشيعية في أكثر من مناسبة بعد وفاة الشاه إسماعيل الأول، إذ تغلبت مصالحهم المادية ومظاهر الحياة على ولائهم التقليدي، لا سيما في السنوات الأولى من حكم طهماسب الأول، حيث تخلى بعضهم عن تبعيتهم للمرشد الكامل وانضموا إلى معسكر السلطان العثماني سليمان القانوني وأفضت تلك التطورات إلى اهتزاز ثقة إسماعيل الثاني بزعماء طائفتي التركمان والتكلو، فعاد إلى الاعتماد على خصومهم التقليديين من قادة الاستاجلو في تولّي المناصب العليا، ويُذكر أن مير مخدوم الشريفي كان من أبرز الشخصيات الدينية التي أسهمت بتحفيز الشاه إسماعيل الثاني إلى الميل نحو المذهب السني^(٢)، ويروى أن الشاه، بعدما اعتنق المذهب السني، وردت له فتوى من علماء السنة تبين أن الخليفتين المتعاصرين إذا كان أحدهما أقدم إلى الملك من الآخر، ولم يفصل بين ملكيتهما حاجز بحري، يترتب على الملك المتأخر أن يخلع نفسه عن الحكم، فإن اعترض عن قيام ذلك يستوجب على رعيته إجباره على الخلع، وبما أن سلطان الدولة العثمانية كان أسبق زمنياً، ولم يتواجد بين ملكه وملك الصفويين بحر فاصل بينهما، فقد رأى الشاه إسماعيل نفسه على وفق هذه الفتوى في موضع الحاكم المتأخر الذي يجب عليه خلع نفسه، كما تروي الرواية، إلى عدوله عن التسنن والعودة إلى مذهب الإمامية، وتجدر الإشارة إلى أن إسماعيل الثاني كان معروفاً بثقافته الأدبية وامتلاكه موهبة الشعر^(٣)، وأضاف إلى السكة هذا البيت من الشعر^(٤):

(١) ويذكر بعضهم أن الذي نقل هذا الخبر إلى الشاه إسماعيل الثاني هو خليفة أنصار داغلو، حاكم قلعة قهقهة، وذلك حين كان إسماعيل محبوساً فيها؛ إذ أراد بهذا الفعل أن يكفر عما صدر منه في حقه أيام حبسه في القلعة، وأن يبرهن على إخلاصه وولائه له. أحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٢) عبد العزيز الجواهري، أثار الشيعة الإمامية، طهران، ١٣٤٨هـ/١٩٧٠م، ص ٧٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٤) نقلا عن: سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٤٢. وترجمته بالعربية هي:

إذا كان لنا إمام من المشرق حتى المغرب فهو علي وآله بالتمام

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

از مشرق تا بمغرب كر امام است علي وآل اومارا تمام است

وفي تلك الالیه تجاوز الشاه اسماعيل الثاني مأزق القتل والخلع وكانت خطوته ومضه في تاريخ الصفويين، كما بدأ بالتراجع تدريجياً عن المجاهرة بميوله السنية، استجابةً لضغوط القزلباش ومحاولةً لتهدئة السخط الشعبي. لاسيما بعدما عثر على رسالة وضعت له تحت فراشه والتي كانت مفتعله ومرسله من قبل بعض زعماء قبائل القزلباش وقادة العسكر مفادها (أنه إذا أراد الاحتفاظ بالعرش فعليه قتل ميرزا مخدوم شريفي)^(١). فلما قرأها أدرك أنه ليس في أمان من معارضيه، فاضطر إلى حبس ميرزا مخدوم لحماية من الخطر المحدق به، وبذلك نجا مخدوم شريفي من القتل^(٢). وفي هذا الإطار؛ أبعد علماء السنة عن البلاط، تجنباً لاصطدامهم بالتيار الشيعي المتشدد وتقليل المخاطر المحتملة على استقرار حكمه^(٣).

في خضم تلك التطورات لم يكن سقوط الشاه إسماعيل الثاني مفاجئاً في ظل الاحتقان السياسي والمذهبي الذي رافق مدة حكمه القصيرة، فقد واجه منذ اليوم الأول معارضة شديدة من قادة القزلباش الذين رأوا في سياساته تهديداً مباشراً لنفوذهم الراسخ وازدادت خصومتهم له عندما بدأ بإعادة تشكيل موازين القوة داخل البلاط الصفوي، ومسّ امتيازاتهم التي بنوا عليها مواقعهم منذ عهد الشاه إسماعيل الأول. وفي خضم هذه الأجواء المتوترة، برزت شقيقته بريخان خانم بوصفها أحد أهم الأطراف التي دفعت نحو الإطاحة به، بعد أن شعرت بالإهانة نتيجة ما تعرضت له من عنف وقسوة، وتجريده لها من الامتيازات التي كانت تتمتع بها، على الرغم من دورها الحاسم في تمكينه من اعتلاء العرش، وقد عمّق الشاه إسماعيل الثاني الهوة النفسية بينه وبين شقيقته، حين أقدم على قتل شقيقها سليمان، الأمر الذي دفع بريخان خانم إلى التقارب مع العناصر الناقمة من القزلباش، ومع مرور الوقت، اتفقت مع مجموعة من كبار قادتهم على ضرورة التخلص منه، وتعاهدوا جميعاً على تنفيذ مخطط الاغتيال؛ وفي الإطار نفسه؛ تكاد تتفق اغلب الروايات حول مقتل الشاه، بأنه مات مسموماً وأنه اخته بريخان خانم كانت ظالعة بعملية الاغتيال فاتفقت مع أمير خان وعدد آخر من القادة القزلباش الناقمين من سياسة الشاه، وكان

(١) نقلا عن : احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٧. الجدير بالذكر ان بعد مقتل الشاه إسماعيل الثاني تمكّن ميرزا مخدوم شريفي، بمساعدة بريخان خانم التي كانت تثق به، من الهروب إلى الأراضي العثمانية. ويُفهم من تلك الحادثة أنه إذا كان الشاه إسماعيل الثاني قد توقف بعد تلك الرسالة عن المجاهرة بالتسنّن، فإن إقدام بريخان خانم على مساعدته في الهرب يشير في الوقت نفسه إلى ميلها إلى المذهب السني. المصدر نفسه.

(٣) فلسفي، بيشين، جلد اول ودوم، ص ص ٤٩-٥٠.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

البارزين منهم مثل حسيب خان ومحمد خان ووحى خان وشمخال خان الشرکسي، والوزير سليمان ميرزا وبيره محمد خان على التخلص منه، ووافق الجميع على ذلك. فتنكروا بملابس النساء^(١)، وكان عدد الذين دخلوا عليه لتنفيذ عميلة الاغتيال سبعة، ثم بعثت بريخان خانم إلى إسماعيل تقول: "إن الفتاة التي كنت تريدها قد حضرت ومعها نساء"^(٢). فأمر إسماعيل بإدخالهن جميعاً، وطلب حبات الأفيون وحاول غلامه حسن بيك حلواجي أوغلى منعه من تناولها لأنها لا تحتوي على علامة ختمه، إلا أنه رفض ذلك، فتناول حبات الأفيون غير مكترث لتنبيه غلامه وسرى السم في جسده. وحينها دخل عليه القادة السبعة وقتلوه^(٣).

في رواية أخرى تذكر ان القادة وأكلوا مهمة تسميمه إلى امرأة كانت قد التحقت بجواريه بعد مقتل زوجها، فدرست إليه السم في حبات الأفيون التي اعتاد تناولها، وفي (١٣) رمضان ٩٨٥هـ / ٢٩ تشرين الثاني ١٥٧٧م) انتهت حياة الشاه إسماعيل الثاني مسموماً عن عمر لم يتجاوز الثالثة والأربعين، قضى ما يقارب نصفه أسيراً في قلعة قهقهة قبل وصوله إلى السلطة وما يعزز هذه الرواية إحدى وثائق الفاتيكان تذكر أن الشاه إسماعيل الثاني لما اصر على محاربة العثمانيين خلافاً لرغبة قادة القزلباش، اتفقوا على تسميمه بواسطة امرأة كان قد جعلها إحدى عشيقاته بعدما قتل زوجها^(٤). ولم ينهض إسماعيل من فراشه حتى ظهر اليوم التالي. فلما دخلوا عليه وجدوه ميتاً، وجواره غلامه حسن بيك الذي لم يستطع التحدث لشدة الصدمة، وبصعوبة بالغه تمكن من التحدث حول ما حدث في الليلة السابقة. وبعدها خضعت جثة الشاه للفحص من لدن الأطباء تبين لهم أنه مات مسموماً، غير أن أمير خان وبيره محمد خان والوزير سليمان خان من مدبري المؤامرة، أمروا بعدم إجراء التحقيق بالحادثة بحجة أنه لم يكن ذا فائدة بعد وقوع الحادثة. وبموته طويت مرحلة قصيرة لكنها شديدة الاضطراب من التاريخ الصفوي، اتسمت بالصراع على النفوذ وبمحاولته المثيرة للجدل لإعادة الاعتبار للمذهب السني في إيران^(٥).

حينما كانت وفاة الشاه إسماعيل يكتنفها الغموض، ظنّ بعض الناس أنه لم يُمت، بل تم أخفائه فقط، مما خلق فرصة استثمارية لأشخاص يشبهونه في ظاهر الهيئة كشكلاً وسلوكاً لانتحال شخصيته في أنحاء إيران. وكانت أبرز تلك المحاولات تلك التي وقعت بعد موته بأربع سنوات، في سنة (٩٨٩هـ / ١٥٨٢م)، على يد شخص ادعى أنه الشاه إسماعيل

(١) حسن الجاف، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٨؛ عدي المالكي، المرأة.....، ص ٢١٩.

(٢) نقلاً عن: بديع محمد جمعة، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣) احمد بن يوسف القرمانى، المصدر السابق، ص ١١٨.

(٤) احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٥) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١١٤؛ فلسفي، بيشين، جلد أول ودوم، ص ٥٧.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الثاني. وقد تكللت محاولته بالنجاح في اوائل تحركاتها حينما صدّقه^(١) أهالي جبل كيلويه وزعماء طوائف اللور، إذ لم تكن عندهم أخبار كافية عن حقيقة الأوضاع في العاصمة، فاعترفوا به ملكاً وتجمع حوله نحو عشرين ألف مقاتل، استطاع بهم هزيمة رجال القزلباش وقتل عدداً غير قليل منهم غير أن حيلته كُشفت في النهاية، فحاصره أتباع القزلباش في إحدى قلاع جبل كيلويه وقتلوه^(٢).

سادساً : تتويج الشاه محمد خدا بنده عام ١٥٧٧-١٥٨٨.

بعد مقتل الشاه إسماعيل الثاني اجتمع أركان الدولة بمشاركة بريخان خانم أخت الشاه المقتول للمشاورة في من سيكون الشاه الجديد، و تعددت الآراء في الترشيحات، إذ رشّح سلطان قلخانجي أوغلي ذو القدر حاكم إقليم فارس، الابن الرضيع للشاه إسماعيل الثاني، المسمى محمد والملقب بأبي الفوارس شجاع، إذ كان قلخانجي وصياً عليه، وأن تتولى بريخان خانم إدارة شؤون الدولة حتى يبلغ الشاه سن الرشد، وأن تضرب السكة باسمه ويخطب له على المنابر، ويحصل هو على منصب خليفة الخلفاء أي نائب السلطة، لكن هذا الترشيح واجهته معارضة كبيرة من معظم كبار قادة القزلباش الذين رشحوا محمد خدابنده الابن الأكبر للشاه لظهماسب الأول، لكون الأخير كفيف البصر وضعيف الشخصية ولم يكن جدير بإدارة شؤون إدارة الدولة ولم يملك مايؤهله من خبرات واطلاع واسع بشؤون الحكم وهذه ما يسعى إليه زعماء القزلباش لكون هكذا شخصية شاه ستكون ملائمة مع طموحاتهم السلطوية، فوقع الاختيار على محمد خدابنده لتولي العرش الصفوي، لكن بريخان خانم وضعت شروط مقابل هذا الاختيار أن تدير هي الأمور وأن يكتفي محمد بالاسم واللقب، فوافق زعماء القزلباش على ذلك وتم الاتفاق وجلس محمد خدابنده على العرش في (٩٨٥هـ / ١٥٧٨م) حيث كان يعيش آنذاك في شيراز، ثم ذهب إلى قزوین، وعرض باسم خدابنده والذي يعني عبد الله^(٣).

(١) يقال أن هذا المدّعي كان يقول: "إنه في الثالث عشر من شهر رمضان سنة ٩٨٥هـ كنت أنام أنا وحسن بيك حلواجي، أحد غلماني، فشعرت بجماعة من أعدائي قد تجمعوا خارج حجرتي يريدون الدخول عليّ. فالتقيت بنفسي من النافذة وهربت، بينما خنق أعدائي واحداً من غلماني يشبهني ظناً منهم أنه أنا. ومن ثم شاع بين الناس أن الشاه إسماعيل قد مات. وقد طوفت في الأرض لسنين متخفياً في لباس تنكري، ثم عدت الآن لأنتقم من أعدائي". نقلاً عن: احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٢) احمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٥٩؛ احمد بن يوسف القرماني، المصدر السابق، ص ١١٩.

(٣) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١١٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

هكذا أعلن عن محمد ميرزا بمقره في شیراز استنادا إلى ما تم الاجماع عليه بالاتفاق مع كبار قادة القزلباش، لذا جلس على العرش في عام (٩٨٥ هـ / ١٥٧٧م) وأصبح يعرف بمحمد خدابنده (٩٨٥ هـ - ٩٨٦ هـ / ١٥٧٧م - ١٥٧٨م)^(١)، لتبدأ مرحلة من التنافس بين قادة القزلباش للاستحواذ على المناصب ذات الاهمية الحيوية في البلاد لاسيما في قصره بشيراز، وعندها أعلن عن تولي محمد خدابنده عرش الدولة الصفوية، وكان بعض رجال القزلباش قد رفضوا هذا الأمر، منهم اسكندر بيك القورجي الذي كان يرى في هذا الامر خدعة له، وعلى اثر ذلك طلب من غازي بيك ذي القدر الذي كان مكلفا بمراقبته من جانب الشاه اسماعيل الثاني بإلقائه في السجن حتى تتضح الحقيقة، لكن في اليوم التالي وصل علي بيك ذو القدر من قزوین ليؤكد الخبر فافرج عن اسكندر بيك وعهد اليه حكم شیراز ، فضلا عن تعيين غازي بيك ذو القدر مسؤول النقود في البلاد ، كما اضطلعت مهد عليا^(٢)، زوجة محمد خدابنده بعدما تم الاعلان عنه شاها على إيران بدور كبير بتدخلها بصورة واضحة في سياسة البلاد متخذة شخصية زوجها الضعيفة الذي كان كفيف البصر، فأمرت بإيداع غازي بيك في قلعة اصطخر ثم قتله فيما بعد، وشرعت بعزل الحكام والولاة وقادة الجيش وتنصيبهم حتى قبل وصول زوجها الى العاصمة قزوین قادما من شیراز،

(١) حسن الجاف، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٢) مَهْدُ عَلِيَا: إحدى أبرز نساء البلاط الصفوي في القرن السادس عشر، التي تنحدر من أسرة ذات مكانة دينية وسياسية رفيعة، فهي ابنة الأمير عبد الله خان المرعشي والي مازندران سنة ١٥٣٢م، وينتسب بيتها، أسرة قوام الدين المرعشي، إلى السادة المرعشيين الذين يرفع نسبهم إلى الإمام زين العابدين ابن الامام الحسين (عليهما السلام) وقد عُرف جدها الأعلى، سيد قوام الدين، بلقب أمير كبير، ما منح الأسرة تقليداً من الزعامة المحلية والهيبة الروحية في شمالي إيران، شهدت مهد عليا منذ صغرها اضطرابات سياسية بعد مقتل والدها في الصراع على حكم مازندران، مما دفع الشاه طهماسب الأول إلى نقلها مع إخوتها إلى بلاط قزوین ليولى اهتماماً خاصاً بها، فزوّجها في عام ١٥٦٦م من ابنه الأمير محمد ميرزا (الشاه محمد خدابنده)، ومع انتقال الأمير إلى حكم خراسان، رافقته مع أبنائها إلى هرات، وقد أنجبت مهد عليا اثنين من أهم أبناء البيت الصفوي، هما: حمزة ميرزا، الذي أصبح أحد أبرز القادة العسكريين في مدة الاضطراب التي سبقت حكم الشاه عباس (الكبير)، وعباس ميرزا، الذي ارتقى العرش فيما بعد باسم الشاه عباس الأول الكبير، واسهمت مهد عليا بدور سياسي محوري بعد أن أصيب زوجها بالعمى نتيجة إصابته بمرض الجدري، إذ أصبحت صاحبة القرار الفعلي في ولاية خراسان، وتمكنت من التحكم في شؤون الحكم، وتوجيه سياسات زوجها، واستقطاب القادة والوجهاء إلى جانبها. وقد انعكس نفوذها القوي في البلاط الصفوي على مستقبل أبنائها، لاسيما الأمير عباس، الذي هيأت له الظروف للظهور كمرشح قوي للعرش لاحقاً. وبهذا تُعد مهد عليا واحدة من أهم النساء اللاتي تركن بصمة حقيقية في التاريخ السياسي الصفوي، بما امتلكتته من نسب رفيع، وحضور مؤثر، ودور في صناعة الأحداث وتهيئة البيئة لصعود أحد أعظم ملوك إيران في العصر الصفوي. عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية...، ص ٢٢٨-٢٤٠.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

فأثارت بذلك حفيظة بريخان خانم وقادة القزلباش، فشهدت البلاد حالة التنافس والصراع المتناحر بين مهد عليا و بريخان خانم وأخذت كل منهما تسعى للقضاء على الأخرى^(١).

بدأت بوادر الصراع تتفاقم بين مهد عليا ورجال القزلباش بسبب تدخلها في شؤون إدارة الدولة بوضوح، وهو امر غير مألوف مسبقا بالنسبة لنساء البلاط الصفوي، اذ كان دور الحريم الصفوي سابقا يتم بشكل مستتر، ولم يظهر دور للنساء بصورة واضحة وصريحة مثل مهد عليا، لذلك بدأت مهد عليا تشعر بالخطر على نفسها نتيجة وجود امرأة أخرى لها مكانة قوية ونفوذ كبير بين رؤساء القزلباش وهي بريخان خانم، في خضم تلك التطورات كان لا بد من أن يقع الصدام الذي لم تعهده الدولة الصفوية منذ إن ظهرت على الساحة فهو صدام الحريم والتنافس السلطوي، ولم يكن قد سبق حدوثه بصورة علنية بين حريم الشاهات السابقين، لكن هذه المرة كان مختلف تماما للحد الذي دبرت به عمليات اغتيال بعد أن شعرت مهد عليا بخطورة الأميرة بريخان خانم، لذا بادرت بحث الخطى والاتفاق مع زوجها الشاه محمد خدابنده للتخلص منها والقضاء عليها. الموقف الذي جعل الشاه محمد خدابنده بين كفتين، الاولى زوجته مهد عليا وتأثيرها الكبير عليه، والثانية أخته الاميرة بريخان خانم التي سيطرت بنفوذها الكبير على كافة مفاصل الدولة، واستناداً للأخبار السابقة عن الأميرة بريخان خانم، وعلاقاتها السياسية بكبار شخصيات قبائل القزلباش الذين لم يكونوا يرفضون أوامرها، واضطلاعها بعملية اغتيال الشاه اسماعيل الثاني الامر الذي جعلهم يشعرون بالخوف ازاءها وأن من الممكن أن يلحق بهم المصير الذي تقرر بشأنهم عاجلاً أم آجلاً لذا بدأ الشاه في اعداد الخطط اللازمة لأبعادها عن مناصب الدولة الحيوية، عن طريق حرمانها من أهم الركائز الداعمة لها والذي يعد مصدر قوتها باعتمادها عليه وهو شخص الوزير سلمان جابري الأصفهاني الذي كان رجلاً ذكياً وذا حنكة سياسية ودهاء وحكمه الذي أضحى يقف إلى جانب الشاه محمد خدابنده وزوجته. وبعدما وصل الشاه محمد خدابنده للعاصمة قزوین، توجه إلى مقر السلطنة وبتحفيز من زوجته مهد عليا، واصدار أوامره السرية بعملية الاغتيال بحق بريخان خانم وأمر بأن يقطع رأسها ويعلق على رمح عند بوابة قزوین وهو مخضب بالدم مع شعر أشعث لكي يشاهده الجميع، ويرجح انه عهد بعملية الاغتيال الى خليل خان افشار الوصي على بريخان خانم، مقابل إعطائه كل ممتلكات بريخان فنفذ عملية اغتيالها بخنقها في منزلها^(٢).

(١) رضا قلي خان هدايت، روضة الصفا، ج٨، ص ١٧٤.

(٢) فلسفي، بيشين، جلد أول ودوم، ص٦٣-٦٤.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

شهدت الأوضاع الداخلية للبلاد الكثير من التفكك والانقسام والفوضى وحالات التشطي في عهد الشاه خدابنده بسبب سوء الادارة وتدخل الحريم في شؤون الدولة، والمعاناة من التنازع الأسري وصراعات زعماء طوائف القزلباش على تبوء المناصب القيادية الحيوية ذات الاهمية الكبيرة في الدولة، وعلاوة على ذلك فقد كان للشاه خدابنده دور بأثارة الخلاف بين رؤساء قبائل القزلباش حيث كان يستحصل رضا قبيلة على حساب قبيلة اخرى، وعدم الانصاف بالعتاء بين الاخرين منهم، كما قام باسترجاع ما استقطعه الشاه طهماسب الاول من رواتب رجال القزلباش، كما كان يصدر أوامر سلطانية غير متكافئة تحمل بعض التناقض في مضمونها، وقد ادت هذه التصرفات الى تمرد قبيلة شاملو في عام (١٥٨٥/هـ) عليه، وكانت قبيلة شاملو تتواجد حينذاك في خراسان تحت امره عباس ميرزا^(١).

اقدمت مهد عليا من تصفية واغتيال كل شخص يمت بصلة الى بريخان خانم، فقتلت محمد أبي الفوارس شجاع ابن الشاه المتوفي إسماعيل الثاني، ولم يتعد السنة من عمره، وقتلت شمخال سلطان شركس خال بريخان خانم، الذي ومع تزايد نفوذه داخل القصر في قزوین؛ رأت مهد عليا أن وجوده يشكل تهديداً مباشراً لمكانتها ونفوذه، لذلك عملت بصمت على إقناع الشاه بأن شمخال بات قوة خطرّة يجب التخلص منها. وبتشجيع منها، أوكل الشاه مهمة الاغتيال إلى أمير أصلان بك الأفشاري، ووصلته رسالة سرّية تأمره بجمع فرسانه خارج قزوین استعداداً للهجوم عند وصول الشاه إلى مقر الحكم. وعلى الرغم من شكوك شمخال؛ بقي في ضواحي المدينة، فباغته أصلان بك وفرسانه بحجة طردهم، وقُتل قبل أن يتمكن من الدفاع عن نفسه، وأُرسل رأسه إلى الشاه في الليلة ذاتها. وهكذا مثّلت مهد عليا العقل المدبّر الذي دفع الشاه نحو التخلص من شمخال، لتثبيت موقعها داخل البلاط الصفوي^(٢).

تمكنت مهد عليا من تعيين ابنها البكر حمزة ميرزا ولياً للعهد، وأصدرت أمراً بأن يختتم بخاتمة على كافة الفرمانات السلطانية، ثم بعدها قامت بتوزيع المناصب على مؤيديها، وعيّنت صهرها أمير خان موصلوا تركمان حاكم على تبريز، وسلطان حسين شاملو حاكم على قزوین وأبنة علي قولي خان شاملو وصيّاً على أبنها عباس ميرزا في حكم هراة وشرقي خراسان، وعيّنت مرشد قولي استاجلو ابن شاه قولي خان حاكماً على غرب خراسان والخزر وخواف، وأسهمت بتوزيع أذربيجان على قادة آخرين، ما أدى الى فقدان

(١) بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(٢) عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية...، ص ٢٣٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الكثير من زعماء القزلباش مناصبهم وامتيازاتهم، مما جعلهم متذمرين من إدارتها للبلاد، وكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لأجل التخلص منها، استغلت مهد عليا عجز الشاه محمد خدابنده، وبدأت بالتفرد بالحكم والاستحواذ على الكثير من الأراضي وضمها ضمن أملاكها الخاصة، مثلاً مناطق سمنان و دماوند و هزار جريب و هليروود و خوار فضلاً عن ذلك مناطق كاشان وطالقان، وسببت هذه السياسة الكثير من المشاكل مع قبائل القزلباش^(١).

كما أمرت بإحضار ابنها الأصغر الأمير عباس ميرزا من هراة إلى العاصمة قزوین، بحجة أنها وزوجها مشتاقين لرؤيته، وأمرت خاله عبد الله خان المازندراني المرعشي بالسفر إلى هراة لإحضاره، و بوصوله أمتنع علي قلي خان عن تسليم الأمير عباس ميرزا إليه، متذرعاً بأن ملك هراة يصل إلى حدود خراسان وما وراء النهر والتركستان، ما يعني ضرورة تواجد ولي العهد أو أحد من الأمراء الكبار للإقامة في هرات، لأن ذلك يسهم في استقرار تلك المناطق، ويحفظها من النزاعات الداخلية ويدفع عنها الأوزبك، وهذا أفضل لمصلحة الدولة، و حصل رفضه الأمر على تأييد جمع من أمراء خراسان، وكان الهدف الحقيقي من وراء ذلك الاحتجاز وإبقاء الأمير عباس ميرزا تحت يده، وأن يكون ورقة ضغط على الشاه محمد خدابنده وطوائف القزلباش المتواجدين في قزوین^(٢). وهو الأمر نفسه الذي خشيت منه مهد عليا، فحاولت عدة مرات أعادته من هراة إلى العاصمة قزوین، لكن قادة طوائف استاجلو وشاملو وعلى رأسهم علي قلي خان شاملو و مرشد قلي خان استاجلو، ممن كان في خدمة الأمير عباس ميرزا ورفضوا تنفيذ هذا الأمر، لاسيما حاكم هراة علي قلي خان شاملو، بحجة إن بقاء الأمير عباس ميرزا في هراة يمنع الأوزبك من شن الهجمات عليها، لكن هدفهم الحقيقي من الرفض، هو الوقوف ضد قبائل التركمان والتكلم المنافسة لأمراء شاملو واستاجلو، لما يشكله الأمير عباس ميرزا من قوة معنوية بوجوده على رأس السلطة في هراة، والذي قد يضعف نفوذهم عندما يغادرها، وبالتالي يتأرجح ميزان القوى في غير صالحهم، فعملوا جاهدين على إبقائه فيها، وأدى ضعف الحكومة المركزية إلى انتشار الفوضى والتدهور وكثرة الخلافات في البلاد، فتذمر قادة القزلباش من نجاح مساعي جهود مهد عليا، فاضطروا إلى قتلها في ظهر يوم الاحد (اول جمادى الآخرة ٩٨٧هـ / ٢٦ تموز ١٥٧٩م) بعد أن حذروا الشاه وأخبروه بتصرفات زوجته وطلبوا منه ردها وتحذيرها، لكن التحذير لم يجلب نتيجة، فقتلت هي ووالدتها العجوز ونهبت ممتلكاتها وعمت الفوضى ذلك اليوم، وبعدما احتج الشاه على تلك

(١) عدي سامي المالكي، المرأة الإيرانية...، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ٥٢.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الحادثة؛ أقدم زعماء القزلباش الذين جاءوا إلى القصر على تقديم الاعتذار للشاه على تلك الحادثة، وأدوا أمامه يمين الولاء على الاخلاص له ولولي عهده حمزة، وهكذا أوكلت سلطات الدولة بعد مقتل مهد عليا إلى الوزير سلمان وقادة القزلباش الذين شاركوا بقتلها، وتقاسموا المقاطعات بينهم^(١).

تفاقت حالة الفوضى والتدهور في البلاد بعد حادثة اغتيال مهد عليا زوجة الشاه خدابنده، لاسيما في خراسان حيث كان يقيم الأمير عباس ميرزا، فأستغل حكام خراسان من قبيلة شاملو الفرصة وأعلنوا استقلالهم عن الحكومة المركزية في قزوین سنة (٩٨٩هـ/ ١٥٨٢م)، واختاروا علي قلي خان شاملو وصياً على عباس وأميراً على خراسان، فسكّت العملة باسمه كما وقّعوا الأوامر والأحكام الصادرة باسمه وجعلوا الخطبة له، علماً أن عباس ميرزا لم يكن قد بلغ الحادية عشرة من عمره^(٢). وفي خضم تلك التطورات؛ أرسل الشاه خدابنده ولي العهد حمزة ميرزا إلى خراسان للسيطرة على الأوضاع والقلقل التي أثارها القزلباش، لكن خراسان لم ترضخ لسيطرة المركز على الرغم من مهاجمة حمزة ميرزا، علاوة على ذلك طالب القزلباش بتسليم الوزير (سلمان اعتماد الدولة)^(٣) لهم كونه من اصدر امر عزل علي قلي خان شاملو من منصبه وهددوا بالإطاحة بحكم عباس ميرزا اذا لم يتم تسليم الوزير سلمان ميرزا لهم، لذلك شدّد حمزة ميرزا حصاره على هراة، وقد ادرك عباس ميرزا انه لن يتخلص من حصار اخيه حمزه ميرزا، لذلك رضخ الى التفاوض والصالح، وفعلًا قدرّ للأخوين ان يتجاوزا كل ادعاء للسلطنة في حياة والدهم، وان يكون حكم خراسان وهراة لعباس ميرزا وان يبقى عراق العجم لحمزة ميرزا، وبذلك خمدت فتنة

(١) فلسفي، بيشين، ص ٧٠-٨٠.

(٢) بديع محمد جمعة واحمد الخولي، ص ١٧٦.

(٣) برز الوزير سلمان بعد مقتل مهد عليا سنة ١٥٧٩م بوصفه الشخصية الأكثر نفوذاً في البلاط الصفوي، إذ تولّى عملياً إدارة الدولة في ظل ضعف الشاه محمد خدابنده وتقلب مواقف طوائف القزلباش. اعتمد سلمان على شبكة من التحالفات مع زعماء استاجلو وذي القدر، واستغل حاجة الشاه إلى شخصية إدارية قوية تعيد ضبط الأوضاع بعد الفوضى التي عمّت البلاد. ومن خلال إحكام السيطرة على الديوان، واحتكار قنوات الاتصال بالشاه، تمكن من إعادة توزيع المناصب والولايات بما يخدم نفوذه السياسي. أمّا علي قُلي خان شاملو وكان أحد أقوى زعماء القزلباش وأكثرهم نفوذاً في خراسان؛ فقد عده الوزير سلمان منافساً خطيراً يهدد مشروعه في توحيد القرار السياسي بيده. لذلك عمل بشكل منهجي على إبعاده عن مركز السلطة عبر ثلاث آليات رئيسة منها تفويض نفوذه الإداري من خلال نقل صلاحياته إلى رجال موالين للوزير، تشويه صورته لدى الشاه عبر تقارير تفيد بأن شاملو يميل للاستقلال بخراسان، ثم استثمار حصار هراة لتصويره قائداً متمرداً يرفض الانصياع للسلطة المركزية. ويفعل هذه السياسة المتدرجة، أفنّع سلمان الشاه بعزله من منصبه وإبعاد تأثيره عن البلاط الصفوي، وهو ما مثّل خطوة مفصلية في ترجيح كفة الوزير سلمان داخل الدولة. طقوش، المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

خراسان بهذه التسوية ثم فضل حمزة ميرزا بعدها ان يعود الى قزوین لمساعدة والده في ادارة شؤون حكم البلاد^(١).

كان ولي العهد حمزه ميرزا كثير الغرور وأناني متعطرس وسريع الغضب ويشرب كثيرا، ويلاحق قتلة أمه، وبلغ الأمر بأعدائه من رؤساء طوائف تركمان وتكلو وذي القدر أن يخطفوا أخاه الصغير طهماسب ميرزا، كي ينصبوه ملكاً في عراق العجم والاستقلال بجزء كبير من إيران، كما حدث مع عباس ميرزا في خراسان، وقد ظن البعض أن هذا التصرف ربما تم بموافقة الشاه خدابنده، لأنه لم يرض عن تصرفات أبنه حمزة ميرزا، ولأنه كان يخص طائفة التركمان بمكانه تختلف عن بقية الطوائف لانتساب والدته إليها، وقد أدى هذا إلى امتعاض حمزة ميرزا من والده، وزاد إصراراً على ارجاع أخيه طهماسب، الى ان نجح في تلك المهمة، ثم رحل بعدها بداية عام (٩٤٤هـ / ١٥٨٦م) لتسخير قلعة تبريز، عليه فأن السلوك المتناقض لولي العهد حمزه ميرزا وعداءه لزعماء القزلباش وملاحقته قتله امه وصهره أدى إلى تصفيته واغتياله والخلاص منه، فتمت عملية اغتياله عن طريق عملية محكمة جدا، فقتل في سنة (٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) وهو نائم في مكان يسمى أبي شحمة بالقرب من كنجة في أذربيجان على يد خادمه الخاص خاوردي الأرمني الأصل، فأمر الشاه خدابنده بدفنه في مقابر أجداده في أردبيل^(٢).

اتخذ الشاه محمد خدابنده بعد حادثة اغتيال ولي العهد حمزا ميرزا قرارا يقضي بأن يدير شؤون الحكم الدولة بنفسه، ولم يعين أحد من أولاده الثلاثة الباقيين لولاية العهد معتقدا بأن ذلك سيؤدي إلى حرب أهلية تقضي على كيان الدولة الصفوية بفعل انقسام قادة طوائف القزلباش وتوزع ولاءاتهم بين الأخوة من جهة، وتربص اعداء الدولة بالخارج من جهة أخرى، انقسم زعماء طوائف القزلباش بعد ذلك الى مجموعات كل مجموعته تؤيد واحدا من الامراء الثلاثة المتبقين من ابناء الشاه محمد خدابنده، فمنهم من أيد الامير طهماسب ميرزا، ومنهم من أيد الامير (ابو طالب ميرزا)، ومنهم من أيد عباس ميرزا في خراسان، لذلك أراد الشاه محمد خدابنده حفظ البلاد من ويلات الحرب الاهلية التي قد تلتهم البناء الداخلي المتهاوي للدولة الصفوية والمحاط بالأعداء من الناحيتين الشرقية والغربية، وان يحافظ على حياة أولاده. ففكر في ان يدير شؤون الحكم بنفسه وجمع زعماء طوائف القزلباش

(١) محمد علاء الدين منصور، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٨٢٠/٢٠٥هـ / ١٣٤٣-١٩٢٥م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦٥٤.

(٢) بديع جمعه واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨١؛ اسكندر بيك منشي، عالم آري عباسي، جاب تهران ١٣١٦ هـ ش / ١٩٣٧م، ص ٢٢٩-٢٣٠.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

وناقشهم بهذا الامر، لكنهم رفضوا هذا الرأي لكون الشاه ضريرا ولا يمتلك القدرة الكافية للنهوض بأعباء الحكم^(١)، فمارسوا عليه الضغط لتعيين أحد اولاده الثلاثة ولياً للعهد، وانقسموا على ثلاثة مجموعات لكل مجموعة رأي أو مرشح معين خاص بها، فدعمت المجموعة الأولى عباس ميرزا المقيم في خراسان وكانت تلك المجموعة تضم أمراء القزلباش من طائفتي أستاجلو وشاملو المتمركزين في خراسان والتحق بمجموعتهم بعض أمراء طائفتي تركمان وتكلو في قزوین والمناطق المجاورة لها وكذلك مرتضى قلي خان في دامغان و حاكم كاشان وكرمان ويزد وأصفهان^(٢).

أما المجموعة الثانية التي كان يتزعمها امام قلي خان في العاصمة قزوین وكان يتبعه بعض قبائل القزلباش المعادية لولاية عهد عباس ميرزا؛ فكانت تفضل أن تناط ولاية العهد إلى أبي طالب المقيم في قزوین وكانت المجموعة تضم بعض طوائف القزلباش المتمركزة في العاصمة قزوین بقصد بسط نفوذها وسيطرتها في الدولة لضعف شخصية الشاه خدابنده، وصغر سن أبي طالب، وكى لا تتاح الفرصة لأمراء طائفتي استاجلو وشاملو لمسك السلطة في العاصمة قزوین وتحقيق طموحاتهم في حال تولي عباس ميرزا ولاية العهد فتذهب مكاسبهم وسطوتهم ادراج الرياح . أما المجموعة الثالثة فقد كانت ترى أن يتقاسم الولاية كل من عباس ميرزا الابن الأكبر للشاه وأبي طالب ويعني ذلك أن تكون أراضي الدولة الصفوية مناصفة بين الاخوين حيث تناط ولاية عهد أحد الأقسام الى عباس ميرزا والآخر لأبا طالب. ففي مخاض تلك التطورات العسيرة على الدولة الصفوية تولد للشاه قراراً بعد ممارسة الضغط الناعم عليه من قبل المجموعة الثانية بزعمه امام قلي خان فاضطر الشاه محمد خدابنده تحت وطأت الضغط على إصدار أوامره بأن تناط ولاية العهد لابنه أبي طالب متجاوزاً بذلك القرار على حق الابن الأكبر عباس ميرزا، الذي كان من المفترض ان تناط اليه ولاية العهد^(٣). يتبين من تلك التطورات أن لكل قبيلة من قبائل القزلباش تطلعات سلطوية تهدف للسيطرة وزيادة بسط لنفوذها في الدولة من خلال ترشيحها لأحد أولاد الشاه خدابنده لولاية العهد لتحقيق طموحاتها في التسلط كل على حساب القبائل الأخرى من خلال ولي العهد، وأن اختيار أبو طالب لولاية العهد من قبل الشاه خدابنده أسهمت هذه الآلية باشعال فتيل الصراع بين قبيلتي تكلو واستاجلو، اذ ساندت الاولى طائفة تركمان والثانية قبيلة شاملو، وانتشرت الفوضى في البلاد في كل مكان، ولم تنجح

(١) اسكندر بيك منشي، منبع قبلي، ص ٢٢٩-٢٣٠؛ بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٢) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٣٥-٣٧.

(٣) احمد الخولي، المصدر السابق، ص ٢١٤-٢١٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

محاولات الشاه محمد خدابنده لإخماد نيران الفتنة، ولم تكن هناك سلطة مركزية على أقاليم الدولة مما عجل في حسم الموقف لصالح عباس ميرزا، إذ تواصل معه زعماء قبائل التركمان والتكلمو وعرضوا عليه ولاءهم وخدماتهم المادية والمعنوية، واتسمت الدولة الصفوية في أواخر عهد والده الشاه محمد خدابنده بالضعف الشديد في الإدارة وتفكك السلطة المركزية للدولة وانتشار الفوضى داخل البلاد، وعجز الشاه خدابنده عن السيطرة بسبب ضعفه الشخصي وصراع القوى العسكرية لاسيما القزلباش كانوا القوة العسكرية الركيزة للدولة الصفوية، لكنهم غلب عليهم طابع التنافس على النفوذ والسلطة، وتدخلوا في تعيين وعزل الحكام، ذلك الصراع المحتدم أضعف هيكلية الدولة وتعدد مصادر صنع القرار السياسي الرئيس للدولة وضعف السلطة المركزية ذلك من جهة ومن جهة أخرى التهديدات الخارجية الخطيرة التي باتت تهدد كيان الدولة الصفوية إذ كانت مهددة من جهتين الغرب الدولة العثمانية والشرق الدولة الأوزبكية، وفي أبان عهد حكومة الشاه خدابنده فقدت الدولة الصفوية أراضٍ مهمة لها مما عزز الاطماع الخارجية بالدولة فقد فقدت جزء من أذربيجان وتبريز وطاجستان^(١)، مما أثار حفيظة قادة القزلباش وخلق الحاجة لقيادة قوية للدولة الصفوية، كان لدعم القادة العسكريين لعباس ميرزا دوراً كبيراً في فرض السيطرة ، فقد حظي بدعم مرشد قلي خان وهو قائد قوي وذا خبره، إذا تمكن ببسط السيطرة على خراسان والتوجه نحو العاصمة ولأعلان نفسه شاهاً، تولدت تلك التطورات نتيجة الدعم العسكري والسياسي من القزلباش بزعامة مرشد قلي والضرورة الملحة لحاجة الدولة إلى شاه قوي لإعادة ترتيب هيكلية الدولة والفوضى الداخلية وكبح جماح الاطماع الخارجية وتمخضت عن تلك التطورات باعتلاء شاه قوي أعاد هبة الدولة وحظي بلقب الكبير وأدى ذلك إلى أن يتوجه إلى قزوین عن طريق دامغان فدخلوها في عام (٩٩٦هـ / ١٥٨٨م) دون مقاومه تذكر، ثم دعا مرشد قلي خان الوصي على عباس ميرزا إلى قصر الشاه محمد خدابنده في قزوین، وتم عقد مجلس لاختيار الشاه الجديد في القصر بحضور زعماء طوائف القزلباش، وفي هذا المجلس خلع الشاه محمد خدابنده نفسه^(٢) من العرش الصفوي ووضع

(١) طاجستان: معناها الارض الجبلية، تقع شرق بلاد كرجستان محصورة بين بحر قزوین وجبال القوقاز

تنازلت عنها إيران إلى روسيا سنة ١٨١٦. مشعل مفرح ظاهر، المصدر السابق، ص ١٩.

(٢) الجدير بالذكر ان عملية تتحية الشاه محمد خدابنده وتسليم الامير عباس ميرزا مقاليد الحكم الصفوي من بعده والده مشابه تماماً لما حدث في الدولة العثمانية ابان عهد السلطان بايزيد الثاني وتخليه عن العرش لابنه سليم الأول حيث اشتدت الأزمة داخل البيت العثماني مع تصاعد الصراع بين أبناء السلطان بايزيد الثاني (١٤٤٧- ١٥١٢م)، لكن التفوق الحقيقي كان من نصيب سليم الذي أحسن تنظيم جيشه، وكسب دعم الانكشارية، واستفاد من اضطرابات الدولة وتمردات شاه قُلي ومن مقتل الوزير الأعظم المؤيد لأخيه أحمد، ومع تدهور الحالة الصحية لبایزید وتوقّف الفتوحات؛ ازداد سخط الجيش على حكمه، فوجد الانكشارية في سليم السلطان الشاب

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

التاج على رأس ابنه عباس ميرزا، لينتهي بذلك عهد حكمه في ظروف متأزمة بالحروب والتمردات، ليبدأ عهد جديد في تاريخ الدولة الصفوية بتولي الشاه عباس العرش الذي لقب بالكبير (٩٩٦-١٠٣٨هـ/١٥٨٨-١٦٢٩م) وهو من أشهر واعظم ملوك الدولة الصفوية^(١).

سابعاً : تنصيب الشاه عباس الملقب بالكبير وبداية نهضة الدولة الصفوية (١٥٨٨-١٦٢٩).

ولد الشاه عباس في غرة شهر رمضان سنة ٩٧٨هـ/ ٧ كانون الثاني ١٥٧١، في مدينة هرات مركز اقليم خراسان التي كانت تحت حكم والده الأمير في ظل حكم جده الشاه طهماسب، الذي سمّاه بهذا الاسم، وأصدر حينها فرماناً، تولى بموجبه والده محمد خدابنده حكم فارس ومقره شیراز، وفرمان بتفويض ولاية خراسان إلى حمزة ميرزا بن محمد خدابنده^(٢). ولكن نتيجة تعلق حمزة ميرزا بأمه وأبيه؛ فقد تم إسناد ولاية خراسان إلى عباس ميرزا الابن الثاني لمحمد خدابنده وذلك في عام ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م على أن يتولى شاه قولي سلطان استاجلو الوصاية عليه لصغر سنه^(٣). واستمرت ادارة الأمور على هذا المنوال بعد وفاة الشاه طهماسب الأول واعتلاء عمه الشاه إسماعيل الثاني العرش فأبقى على عباس ميرزا في منصبه في خراسان، كما أبقى على محمد خدابنده في شیراز، وقد نجا الأمير عباس ميرزا من محاولة اغتيال دبرت له، بعدما رزق الشاه اسماعيل الثاني بمولود ذكر، وخشية من ان يصبح عباس ميرزا منافساً له على العرش فيما بعد؛ أصدر أمراً باغتياله، عهد بتنفيذه الى علي قلي خان شاملو، على أن ينصبه ازاء ذلك على حكم هراة^(٤). لكن الاجل لم يمنح الشاه اسماعيل الثاني ووافاه الاجل قبل ذلك فحال موته دون تحقيق عملية

القادر على إعادة الزخم العسكري، وفي ٦ آذار ١٥١٢م نظم الانكشارية تجمعاً كبيراً في أسطنبول مطالبين فيه صراحة بتنحية بايزيد وتنصيب سليم. وتحت ضغط الجيش، ومع شعوره بالخيبة من عصيان أحمد؛ اضطر السلطان العجوز إلى القبول وتوقيع التنازل، فتم استدعاء سليم لتولية العرش ودخل أسطنبول وسط احتفال عسكري ضخم، وأعلن نفسه سلطاناً في (٧ صفر ٩١٨هـ/ ٢٤ نيسان ١٥١٢م). وقام بايزيد بتسليمه العمامة السلطانية مع وصايا الدولة، ثم غادر أسطنبول قائلاً (السياف لا يجتمعان في قراب واحد) وبعد أحد عشر يوماً من خروجه توفي في الطريق إلى مسقط رأسه، ليبدأ سليم الأول عهده بعد عملية انتقال للسلطة كانت من أكثر اللحظات حساسية في التاريخ العثماني. جاسم العدول، المصدر السابق، ص ٦٠-٧٠.

(١) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٢٠؛ بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٢) بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٣) محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٤) نصر الله فلسفي، بيشين، جلد اول ودوم، ص ٤٤-٤٦.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

الاغتيال، وبذلك نجا عباس ب وفاة عمه إسماعيل الثاني في (١٣ رمضان ٩٨٥هـ / ٢٣ تشرين الثاني ١٥٧٧م)^(١).

وبعدما جلس الشاه محمد خدابنده على العرش؛ حاول أن يستدعي ولده عباس ميرزا ليعيش معه في قزوین، لذا أرسل خاله الأمير عبد الله خان المازندراني المرعشي إلى هراة لإحضاره، لكن علي قلي خان عارض ذلك الامر متذرعاً بأن مساحة هراة تمتد إلى حدود خراسان وما وراء النهر والتركستان، وأن وجود أحد أمراء العائلة الصفوية في هراة يدعم الاستقرار في تلك المناطق ويحفظها من النزاعات والفتن الداخلية ويدفع خطر الأوزبك، ولكن خلف ذلك الامر تكمن نوايا خفية، هي استخدام عباس ميرزا عامل ضغط بيده على الشاه محمد خدابنده وعلى طوائف القزلباش المتواجدة في قزوین، ولإنجاز أهداف علي قلي خان الخفية؛ جمع أمراء خراسان حوله وأيّد زعماء طائفة شاملو وأمراء طائفة استاجلو بزعامة مرشد قلي خان، وتحالفوا مع بعضهم مكونين جبهة مضادة لقبائل القزلباش المستحوذة على قزوین، مختارين علي قلي خان قائداً لهم، فيما كان موقف حاكم مشهد مرتضى قلي خان معارضا لهذا التحالف الذي يقوده علي قلي خان شاملو، لأنه يرى بقاء عباس ميرزا تحت ظل وصاية علي قلي خان هدفها تحقيق نواياه الخفية لاستقلال خراسان عن الدولة متى ما توفرت الأجواء الملائمة لذلك^(٢).

في تلك التطورات تزايد قلق الشاه على ولده عباس ميرزا، مما دفعه إلى إرسال رسول آخر إلى هراة وتهديد علي قلي خان شاملو ومؤيديه الذين رفضوا أمره، كما أصدر فرمانا بعزل علي قلي خان عن حكم هراة وإسنادها إلى مرتضى قلي خان حاكم مشهد المؤيد لعودة عباس ميرزا إلى قزوین، إلا أن الأمر لم ينفذ أيضاً، ومحاولة أخيره ؛ استدعى الشاه سلطان حسين خان شاملو والد علي قلي خان، وطالبه بإحضار عباس ميرزا إلى قزوین، فطلب بدوره من الشاه منحه مهلة لتهيئة الظروف الملائمة لإنجاز هذه المهمة^(٣). فذهب سلطان حسين خان شاملو إلى هراة، وطلب فور وصوله من ابنه علي قلي خان ومؤيديه تسليم عباس ميرزا ليعود به إلى العاصمة قزوین، لكنه ابنه رفض ذلك، وسط ورود أنباء اغتيال مهد عليا زوجة الشاه محمد خدابنده، ووالدتها علي ايدي بعض من امراء القزلباش، فعاد سلطان حسين خان بمفرده إلى قزوین دون خشية الشاه محمد خدابنده^(٤).

(١) همان منبع، جلد اول ودوم، ص ٦٩.

(٢) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٣) احمد الخولي، المصدر السابق، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٤) عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٠٨.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

لقد انتج احتجاز عباس ميرزا في هراة؛ ظهور فريقين متناحرين، الأول بقيادة علي قلي خان زعيم شاملو، يؤيده مرشد قلي خان زعيم استاجلو، وأمراء طائفتي شاملو واستاجلو، والثاني بقيادة مرتضى قلي خان يؤيده الأمراء المحيطين بمشهد، فتطورت المنافسة إلى صدام مسلح، الموقف الذي دفع بقوات علي قلي خان بالتوجه نحو مشهد والمواجهة مع قوات مرتضى قلي خان وقد وقعت معارك طاحنه بين الطرفين اضطر على اثرها جيش مرتضى قلي خان إلى التراجع التدريجي والاحتماء بمشهد التي شهدت حصاراً من قبل قوات علي قلي خان ومرشد قلي لمدة ما يقارب أربعة أشهر ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها مما اجبرهم الموقف إلى إنهاء الحصار والتقدم نحو مدينة نيسابور^(١) للاستيلاء عليها بحكم كونها متحالفة مع مدينة مشهد غير أن محاولاتهم تكللت بالفشل بسبب المقاومة الشرسة التي لاقوها من نيسابور دفاعاً عن المدينة، وكانت تلك الاحداث قد دفعت أمراء القزلباش في قزوین على الانتقام من علي قلي وقهره نفسياً وشخصياً تمثل ذلك في والديه الذين قبضوا عليهما وقتلوهما مما جعل الامور تزداد سوءاً في خراسان^(٢). وعلى أثر هذه التطورات أعلن علي قلي خان ومرشد قلي خان تنصيب عباس ميرزا ملكاً على خراسان في ربيع الأول سنة (٩٨٩هـ / ١٥٨١م) عن عمر لم يتعد الحادية عشر، ومنذ ذلك اليوم أطلقوا عليه اسم الشاه عباس، وسكّت العملة باسمه، وقرئت الخطبة باسمه في خراسان، وصدرت أوامر وأحكام سلطانية بختمه^(٣). وخلف هذه الجراة التي أبداها علي قلي خان شاملو، بإقدامه على هكذا تصرفات؛ كان يكمن ضعف شديد في شخصية الشاه محمد خدابنده، وانغماس ولي عهده حمزة ميرزا باللهو والملذات وعدم الاكتراث لأمر الدولة، فضلاً عن أن النوايا الحقيقية لعلي قلي خان؛ كانت بسط سيطرته وفرض نفوذه^(٤). فنتج عن

(١) نيسابور: هي إحدى أهم مدن إقليم خراسان التاريخية، وتقع في الجزء الغربي من خراسان شمال شرقي إيران. يرجع اسمها إلى العهد الساساني، ويُعتقد أنه مشتق من عبارة فارسية قديمة تعني «موضع سابور الطيب»، نسبة إلى الملك الساساني سابور الثاني الذي جدد بناءها، بينما ينسب تأسيسها الأول إلى سابور الأول بن أردشير. وبعد الفتح الإسلامي عُرفت باسم «أبر شهر» أي «مدينة الغيم»، واشتهرت بمكانتها العلمية والحضارية حتى وصفها الجغرافيون المسلمون بأنها من أعظم مدن خراسان وأحسنها عمراناً وهواءً. وقد امتازت بكثرة قراها وأسواقها وخصوبة أراضيها، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي على طرق التجارة والمواصلات بين مدن خراسان الكبرى مثل مشهد وطوس، مما جعلها مركزاً مهماً للحياة السياسية والاقتصادية والثقافية في تاريخ إيران الإسلامي. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٣١-٣٣٥.

(٢) نصر الله فلسفي، بيشين، جلد اول ودوم، ص ٩٣-٩٤.

(٣) مريم نجاد أكبري مهربان، شاه عباس كبير، جاب اول، تهران، ١٣٨٧، ص ٣٢.

(٤) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٢٩.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

تلك الاحداث وجود شاهين للدولة الصفوية في الوقت ذاته، أحدهم مقره في قزوین وهو الحاكم الشرعي للبلاد، والثاني في خراسان ومقره هراة^(١).

لكن تحالف طوائف شاملو واستاجلو في خراسان لم يستمر طويلا لظهور خلاف بين علي قلي ومرشد قلي، إذ تقدّم مرشد قلي اتجاه مشهد في سنة (٩٩٢هـ / ١٥٨٤م)، وطرّد حاكمها سلمان خان الذي عينه الشاه محمد خدابنده وسيطر على بعض المناطق المجاورة لمنطقة نفوذه في خواف وباخرز وورّعها على أمراء طائفة استاجلو، وأخذ يخطط لنقل عباس ميرزا من هراة إلى مشهد، لتكون له الوصاية عليه، وقد وقف علي قلي خان على أهدافه المبيتة من خلال دعواته المتكررة له ولعباس ميرزا لزيارة مشهد محاولاً اغتياله، الأمر الذي أدى إلى تطور النزاع بينهما والذي أفضى إلى الحرب سنة (٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) حيث التقى جيش هراة ومشهد في معركة حاسمة^(٢).

شهد جيش علي قلي خان فيما بعد انشقاقا نتج عنه انضمام سلطان علي خليفة أحد قادته الاقوياء مع فرسانه الى مرشد قلي خان متذرعاً بذلك لتذمره من قيادة علي قلي خان في المعارك، وفي خضم هذه التطورات ظل عباس ميرزا مع عدد من الكتاب ورجال البلاط في معسكر علي قلي خان لوحدهم، وعند وصول مرشد قلي خان برفقة ألف فارس، أحاط بعباس ميرزا وأتباعه واشتبك معهم، ما نتج عنه إصابة فرس عباس ميرزا بسهم أسقطه ارضا، وتم أسره و اصطحابه مع الأسرى نحو مشهد ليكون في ظل وصاية خان استاجلو، وبعد حصار الاوزبك الطويل لهراة الذي انتهى بسقوطها نتيجة خيانة داخلية من أحد الحراس، وعلى اثر هذه الحادثة وتعرض علي قلي خان للإهانة بنزع تاج القزلباش عنه، فلقي حتفه هو ورفاقه على يد الأوزبك^(٣).

حصل بين أمراء القزلباش جدل حول التوافق على اختيار ولي عهد جديد يخلف الامير المقتول حمزة ميرزا، فاندفع مرشد قلي خان ليجسّ نبض العاصمة قزوین ومعرفة موقفها، فأرسل رسولا باسم عباس ميرزا لتقديم التعازي إلى الشاه محمد خدابنده بوفاة ابنه، و ليدعو زعماء طوائف القزلباش هناك إلى التحالف و اعلان عباس ميرزا ولياً للعهد خلفاً لأخيه، فرجع الرسول إلى مشهد بعد اتمام المهمة ومعه جواب رفض زعماء طوائف القزلباش اختيار عباس ميرزا وتنصيب أبي طالب ميرزا وليا للعهد، بناءً على تلك التطورات؛ أسرع مرشد قلي خان للتقدم نحو قزوین، يرافقه عباس ميرزا بقوة من المقاتلين

(١) بديع جمعة واحمد الخولي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧.

(٢) مريم نزاد أكبري مهربان، بيشن، ص ٤٣.

(٣) نصر الله فلسفي، بيشين، جلد اول ودوم، ص ١٦٩-١٧٥.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

تقدر بحوالي خمسمائة وستين جندي في عام (٩٩٦هـ / ١٥٨٧م)، وفي الطريق انضم اليهم عدد من المتطوعين، مما زاد اندفاعهم. وفي خضم هذه التطورات كتب مرشد قلي خان وعباس ميرزا رسالة إلى حاكم قزوین ملتجئين حسن الاستقبال لهم وتسليم العاصمة، فرد حاكم قزوین مرحباً بقدميهما، وفي الوقت ذاته أرسل رسالة إلى الشاه محمد خدابنده الذي يقاتل العثمانيين في أذربيجان، يدعوهُ للإسراع بالعودة إلى العاصمة قبل دخول عباس ميرزا ومرشد قلي خان، ولكن وصول جواب حاكم قزوین إلى عباس ميرزا ومرشد قلي خان، المرحب بقدميهما يسرعان بالتقدم اتجاه قزوین، فدخلوها قبل الشاه في العاشر من ذي القعدة ٩٩٦هـ / ٣١ تشرين الأول ١٥٨٨م من دون مقاومة تذكر. وبدخولهما العاصمة قام مرشد قلي خان بإعلان تنصيب عباس ميرزا شاهاً للدولة الصفوية وأعلن نفسه نائباً للسلطنة ووكيلاً للشاه عباس^(١).

لما سارع الشاه محمد خدابنده بالرجوع إلى قزوین؛ تباينت مقترحات قادة الجيش وأمراء القزلباش له بشأن الأحداث، إذ رأى قسم منهم تغيير وجهة جيش الشاه نحو همدان بدلاً من قزوین لاتخاذها عاصمة جديدة للدولة الصفوية تحت حكمه، ورأى قسم آخر ضرورة التقدم اتجاه العاصمة قزوین لمواجهة عباس ميرزا ومرشد قلي خان والقضاء عليهما، وهو الرأي الأكثر مقبولية لدى الشاه، فتوجه جيش الشاه خدابنده بالاستعداد لمهاجمة العاصمة قزوین. لكن هذه المواجهة أحبطت في مهدها بسبب تهديد مرشد قلي خان لجنود المرافقين للشاه بالاستيلاء على ممتلكاتهم وزوجاتهم في حال عدم خضوعهم وولائهم لعباس ميرزا^(٢)، وعلى اثر التهديد تفرق جيش الشاه محمد خدابنده وتخلّى جنوده عن مناصرته، فانخفض عدد قوات الشاه المخلوع تدريجياً، وعلى اثر هذه التطورات؛ أدرك أمراء القزلباش المؤيدون له خطورة موقفهم واقترحوا على خدابنده بضرورة التوجه إلى قزوین، والتنازل عن الحكم لعباس ميرزا، حينذاك رأى أن من مصلحة الدولة الصفوية وسلامتها الاستجابة للتنازل عن الحكم لعباس ميرزا كي يصبح الشاه الجديد بالذهاب إلى قزوین بدلاً من اندلاع الفتن، وعندما وصوله إلى مشارف قزوین ومعه ولي العهد أبو طالب والحريم الصفوي؛ استقبلهم الشاه عباس مرحباً بهم، فحظى والده بالاحترام وقبل يده^(٣).

ازاء هذه التطورات عقد مرشد قلي خان مجلساً في مقر الحكم في قزوین، اجتمع فيه أمراء القزلباش وأركان الدولة، فتوج بذلك الشاه عباس رسمياً، فتقدم ماسكا يد أبيه محمد

(١) مريم نژاد أكبري مهربان، بيشن، ص ٤٤.

(2) Sykes, Op. Cit., Vol. II, P. 173.

(٣) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٤٣.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

خدابنده، ولما وصلا إلى كرسي العرش؛ جلس عباس عليه، وبالمقابل أعلن ابوه محمد خدابنده أمام الحاضرين عزل نفسه عن الحكم، ووضع تاج السلطنة على رأس عباس، كما سلمه ودائع الأسرة الصفوية، وبهذه الآلية أصبح عباس شاهاً للدولة الصفوية متوجاً بطريقة شرعية وذلك في أواخر عام (٩٩٦هـ / ١٥٨٨م)، وهو لم يتعد الثامنة عشرة من عمره^(١).

تيقن الشاه عباس من خطورة نفوذ مرشد قلبي خان على حكمه، فحاول التخلص منه، وحين علم من أحد مؤيديه بنية الشاه عباس بالتخلص منه، وافادوه بضرورة التخلص من الشاه عباس، لذا اصدر مرشد قلبي خان امرا بإحضار الشاه المعزول محمد خدابنده وأولاده من قلعة الموت، التي احتجزوا فيها بعد تتويج الشاه عباس، بغية عزل الشاه عباس وتولي أي فرد من العائلة الصفوية العرش، متذرعاً بقرب القلعة من جيلان الثائرة، إذ ربما يستغل البعض فرصة انشغال الشاه عباس في معارك الأوزبك، ويطلق سراح الشاه المخلوع مع أولاده، ويقوم هو بتولية أحدهم عرش الدولة، لكن تدابير مرشد قلبي خان لم تنطل على الشاه عباس، وتيقن تماماً من أهدافه، وسط قدرته على عزل وتولية أي فرد من العائلة، فأصر على التخلص منه قبل أن يستفحل أمره أكثر من ذلك^(٢).

واثناء مسير الجيش الصفوي عام (٩٧٧هـ / ١٥٨٩م) صوب خراسان لصد خطر الأوزبك؛ اتاحت للشاه عباس فرصة صفية مرشد قلبي خان، فأثناء وصول الجيش إلى بسطام، عسكر جيشه بالقرب منها، فأسند الشاه إلى أربعة من مخلصي قاداته بمهمة اغتيال مرشد قلبي خان حينما كان يغط بنوم عميق داخل خيمة الشاه، بعدها أمرهم في الليلة ذاتها بشن عملية اغتيالات لكبار مؤيديه وهم كل من: أمت بيك، وقرا حسن قورجي، والله وردي بيك، ومحمد بيك ساروقجي، كما أمر بعزل إبراهيم خان أخي مرشد قلبي خان في مشهد ومن ثم اغتياله^(٣). هناك بدأ الشاه عباس إجراءات لتكريس حكمه، فعمل على القضاء من منافسيه، لاسيما أبيه محمد خدابنده، لذا أمر بإطلاق سراحه وإحضاره من قلعة ورامين إلى العاصمة قزوین، وإبقائه تحت الإقامة الجبرية في القصر الملكي، وعدم السماح له بالخروج أو اللقاء بأمراء القزلباش، وظلت الأمور على هذا المنوال حتى توفي خدابنده سنة (١٠٠٤هـ / ١٥٩٦م)، وبهذا تمكن من التخلص من أحد أبرز المنافسين، وبعملية التصفية

(١) مريم نژاد أكبري مهربان، بيشن، ص ٤٥.

(٢) الاسترآبادي، بيشين، ص ١٤٤.

(٣) همان منبع، ص ١٤٤.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

نفسها؛ قام الشاه عباس بسمل عيون الأمراء الأربعة ليمنعهم من الوصول للحكم^(١)، كانت هذه القساوة سمة سائدة في العصر ابان القرن السادس عشر في الدولة العثمانية في اسيا الصغرى والمغولية في الهند والصفوية في ايران ؛ كانت العاهة الجسدية تسقط أهلية الملك، وكانت هذه السياسة القاسية تنبع من منطق واحد وان اختلفت عملية ممارستها فقد كانت في الدولة العثمانية سياسة (قتل الاخوة)^(٢)؛ تهدف تلك السياسة لتأمين العرش ومنع الانقسام الداخلي مهما بلغت ذروة القسوة، كان يخشى ان يظهر احد افراد اسرته يفرض نفسه عليه وينتزع العرش منه كما فعل هو بوالده إن سياسة سمل عيون الأمراء كانت إجراءات احترازية للقضاء على أي حركة انفصالية تعيد دراما الفوضى للبلاد وتكريس الحكم وقوة الشاه وعدم ترك فرد من العائلة الصفوية قد يمثل ورقة ضغط على الشاه، وحينها عم الهدوء المصاحب بالحذر والترقب والخوف من الشاه القوي، وتمكن الشاه عباس من أن يتنفس الصعداء وأن يتجه إلى مصادر أخرى للتوتر داخل الدولة الصفوية^(٣). ومن المفيد ذكره أن سياسة سمل العيون^(٤)، ألقت بظلالها على الدولة الصفوية إذ كان لها آثار سيئة فقد تولى حكم الدولة الصفوية بعد وفاة الشاه عباس الاول شابات لم تكن لديهم الحنكة والقدرة والخبرة اللازمة في إدارة شؤون الحكم ، وإبعادهم إلى قلعة الموت وكانت مثواهم الأخير، فتوفي أبو طالب عام (١٠٢٩هـ / ١٦١٩م)، ولحق به طهماسب وإسماعيل ميرزا،

(١) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٢) قانون قتل الإخوة في الدولة العثمانية الذي أقره محمد الفاتح ضمن ما عُرف بـ«قانون نامه آل عثمان» سيفاً مُعلّقاً فوق رقاب الأمراء العثمانيين، سيفٌ يرتكز على شرعية قانونية صريحة وواضحة، يُستَلّ في حين اعتلاء السلطان الجديد للعرش العثماني ليحسم الصراع بقتل المنافسين درءاً للفتنة وحفاظاً على سلامة الدولة. فقد تحوّل هذا القانون إلى أداة رسمية لتثبيت الحكم، يستند إلى غطاء قانوني وسياسي واضح، ويُنفذ باسم حفظ نظام الدولة ومنع الانقسام، في المقابل، فإن سياسة سمل عيون الأمراء في الدولة الصفوية، كما وقعت في عهد عباس الأول الصفوي، يُشبه قيداً حديدياً يُغْلَف بالحرص، لا يقتل الجسد بل يُعطل الإرادة السياسية؛ إذ كان وسيلة لإقصاء الأبناء عن العرش دون سفك دمائهم. غير أن هذا الفعل، على شدته، لم يرتكز إلى نص قانوني مُقنّن أو تشريع رسمي أو فقهي مماثل، بل جاء أقرب إلى ممارسة سلطانية فردية فرضتها ضرورات الصراع الداخلي وهواجس السلطة؛ على الرغم من أن الدولة الصفوية ابان عهد الشاه عباس كانت تحظى بمجموعة من علماء الدين العظام في زمانه امثال الشيخ بهاء الدين محمد العاملي ومير محمد باقر داماد وملا عبدالمحسن كاشي وملا محسن فيض ومولانا عبدالله الشوشتري والشيخ لطف الله العاملي وغيرهم للمزيد ينظر: جعفر أصغر عباس محمد، مشكلة وراثته العرش في الدولة العثمانية(١٢٩٩-١٥٦٦م) دراسة في الجانبين الفكري والتطبيقي، اطروحة دكتوراه، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠١٣، ص ١٦٩؛ سلام خسرو جوامير، المصدر السابق، ص ١٦٢.

(٣) عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٢٩.

(٤) على الرغم من تنفيذ عملية سمل العيون بحق الأمراء الصفويين، فإن المصادر التاريخية قد أشارت إليها بإيجاز جداً، من دون التعرّض لتفاصيلها، أو بيان الأشخاص الضالعين فيها ومنفذيها، ولا الأسس التي استندت إليها وكيفية تنفيذها.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

أما حيدر ميرزا فقد أرسله الشاه عباس إلى الدولة العثمانية بمثابة رهينة في سنة (٩٩٨هـ/١٥٩٠م) وظل هناك حتى أصيب بالطاعون وتوفي في سنة (١٠٠٥هـ/١٥٩٧م)^(١).

كان الشاه عباس قاسياً مع عائلته خوفاً على عرشه، فلم تقتصر قسوته على هؤلاء؛ بل تعدى إلى أبنائه وهم: محمد باقر ميرزا المعروف بـ صفي ميرزا، حسن ميرزا، سلطان ميرزا، إسماعيل ميرزا، إمام قلي ميرزا، وقد توفي كل من حسن وإسماعيل في طفولتهما، فامر باغتيال ابنه الأكبر محمد باقر ميرزا في سنة (١٠٢٤هـ/١٦١٥م)، وقد أدرك الشاه عباس قيام ابنه الأكبر بالتآلب ضد أبيه محمد خدابنده ويؤدي الدور ذاته الذي عمله الشاه عباس مع أبيه خدابنده، لاسيما أن محمد باقر ميرزا اكتسب قاعدة شعبية جماهيرية كبيرة بوصفه ولي العهد المرتقب والوريث الشرعي لأبيه، أما سلطان ميرزا فقد اكتسب شعبية كبيرة أيضاً وحاز على مكانة مرموقة بين أفراد الحاشية والقرلباش الذين رأوا به الحاكم بعد أبيه، مما اغاض الشاه عباس كما اغتال مربيه وسمل عيون ابنه سلطان ميرزا الذي على أثره انتحر بشرب السم، وأما الابن الخامس إمام قلي؛ فقد أمر الشاه عباس بسمل عيونه في سنة (١٠٣٦هـ/١٦٢٧م) فحرم عليه ولاية العهد، ونتج عن تلك القسوة الوحشية مواجهة الشاه عباس في آخر حياته مشكلة اختيار ولي العهد، فلم يجد إلا سام ميرزا بن محمد باقر (صفي ميرزا) الذي استنقذته والدته من عمليات التصفية والاغتيالات التي شنها الشاه عباس فحافظت عليه باستبعاده عن الشاه ورجاله، فخلفه بعد وفاته وفرض الشاه عباس على ولي العهد أن يمكث في قصر الحريم ومنعه من اللقاء بالقادة، ولا يتحدث سوى مع الخدم والجواري ومربيه الخاص^(٢).

كان الشاه عباس يرى في ذلك أنه يجنب الدولة الصفوية التفرقة والانقسام واثارة الفتن، وأن أي أمير صفوي يمكن أن يكون مشروعاً لحركات استقلالية انفصالية تقود الدولة إلى الفوضى، لأنه عاش هذه التجربة سنوات عديدة عندما كان في خراسان ثم بعدها اختُطف إلى مشهد، ثم سيق إلى العرش في ظل حركات أشبه بالحركات الاستقلالية الانفصالية^(٣).

(١) بديع جمعة واحمد الخولي، المصدر السابق، ص ص ٢٣٠-٢٣١.

(٢) يارا: زان باتيست تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ترجمه: أبو تراب نوري، به تصحيح حميد شيراني، تهران، ١٣٣٦هـ/١٩١٩م، ص ٢٥١.

(3) Laurence Lockhart, Op. Cit., p. 25.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

تولى محمد باقر ميرزا والمعروف بصفي ميرزا وهو الابن البكر للشاه عباس الذي ولد يوم الأربعاء ١٢ شوال ٩٩٥هـ / ١٥ أيلول ١٥٨٧م في مشهد من أم ذات أصول شركسية، وبعد عام واحد من ولادته حكم خراسان اسماً بأمر الشاه عباس الذي كان في حينها برفقة مرشد قلي خان للسيطرة على العاصمة قزوین وخلع عن الحكم من والده الشاه محمد خدابنده، لذا عيّن مرشد قلي خان اخاه ابراهيم خان وصيا على صفي ميرزا في إدارة حكم خراسان، وفي سنة (١٠٠٠هـ / ١٥٩١م) نصب محمد باقر ميرزا، وهو لم يتعد الخامسة من عمره أميراً على حكومة همدان وأميراً على ولايات غربي إيران، ونصّب اغورلو سلطان بيات زعيم قبيلة بيات وكيلاً عنه بأمر الشاه عباس وأمره أن يذهب مع قبيلته إلى همدان برفقة الأمير، وفي (١٠١٠هـ / ١٦٠١م) بلغ صفي ميرزا الخامسة عشرة من عمره، فقرر الشاه عباس أن يزوجه من ابنة الخان احمد الكيلاني، التي كانت مخطوبة له سابقاً عندما كان في الرابعة من عمره لكن الأمير صفي ميرزا لم يقبل الزواج منها، لذلك قرر الشاه عباس عقد قران صفي ميرزا على ابنة الشاه إسماعيل الثاني الكبيرة^(١).

كان الشاه عباس يراقب عن كثب تصرفات كبار الدولة وامراء الجيش طوال مدة حكمه، لا سيما قادة القزلباش فهو يعلم أن الكثير من قادة القزلباش وكبار الدولة يسلكون طريق الطاعة خشية بطشه وقسوة سياسته، لهذا أبعد الشاه عباس أولاده عن الاختلاط بكبار رجال الدولة وقادة الجيش، وكان يعاقب كل من يخالف أوامره بأشد العقوبات، وكان امراء الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس يعيشون في قصر الحريم بين النساء ولم يسمح لأي شخص غير الذين يشرفون على تعليمهم وتربيتهم بمرافقتهم، فاتصف الأمير صفي ميرزا بحسن التصرف والشجاعة، كما كان معظم كبار الدولة الصفوية وسكان إيران يكتفون له المحبة والمودة، على عكس رغبة الشاه، لهذا كان الشاه عباس يراقبه، فمع انه كان يحب ابنه؛ لكنه كان يخشى من أن يأتي اليوم الذي يتحالف معارضي الشاه معه، فيتكرر صراع العرش، ويتكرر ما قام به الشاه عباس مع أبيه خدابنده، وهكذا كانت تراوده الافكار المشؤومة^(٢).

حينما زحف الشاه عباس بجيشه نحو كرجستان في عام (١٠٢٣هـ / ١٦١٤م)، ورد إليه خبر من مخبره السري الذي اختاره للتجسس ومراقبة تحركات وتصرفات ولده صفي ميرزا؛ مفاده أن صفي ميرزا تحالف سراً مع فرهاد بيك الجركسي ميرشكار وغلأمين

(١) جلال الدين المنجم، تاريخ عباسي يا روزنامه ملا جلال، به كوشش: سيف الله وحيدنيا، تهران، ١٣٦٦ ش / ١٩٨٧م، ص ١٣٣-١٣٥.

(٢) يارا: زان باتيست تاورنيه، بيشين، ص ٢٥٢-٢٥٤.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

جركسيان من جهة امه لقتل الشاه، وفي الوقت الذي توجه فيه صفي ميرزا إلى رحلة صيد يرافقه فرهاد بيك، فعّد الشاه عباس هذه السلوك الجريء بمثابة دليل على تحالف مشبوه بين فرهاد بيك والأمير، على أثر هذا السلوك؛ حكم الشاه بالموت على فرهاد بيك متهما إياه بالمصاحبة اليومية لصفى ميرزا، كما قتل الغلامين الجركسيين اللذين تعاونوا مع فرهاد بيك، كما أُلقيت سرّاً رسالة في غرفة صفى ميرزا تحثه على الاستعداد لاستلام عرش إيران بدلاً من والده الشاه عباس، مع التلميح بأن الاستعدادات قد أُنجزت. فارتعب صفى ميرزا من مفاد الرسالة، وبادر بتسليمها للشاه عباس موضحاً بصدق نواياه بأنه وجدها في غرفته. فأبدى الشاه ارتياحاً ظاهرياً لأمانة ابنه، لكن القلق تملّكه في الباطن، فأصبح يغيّر موضع نومه ليلاً مراراً^(١).

بعد مدّة محدودة من مقتل فرهاد بيك؛ أخبر ملا مظفر الكنابادي، وهو من منجمي كبار البلاط الشاه عباس بأن خطراً ما يحدق به ويجب عليه أن يكون في غاية الحذر، وكان الشاه عباس يعتقد بأحكام النجوم، لذا كان يعتقد بأن ابنه صفى يريد اغتياله ففكر بالقضاء على ابنه صفى، فأسند عملية الاغتيال الى قرجفاي خان، القائد العام لإيران، والذي أخرج بدوره سيفه ووضع أمام الشاه عباس، متوسلاً بالرحمة للأمير صفى، مصرحاً بعجزه عن سفك دم العائلة الصفوية، فتقبل الشاه اعتذاره، فكلف غلامه الخاص أوزون بهبود، ذا الأصول الجركسية، المعروف بضخامة جسده وقوته، بمهمة قتل الأمير، فاستعد بهبود لتنفيذها، فقتله في يوم الاثنين (٣ محرم ١٠٢٤ هـ / ١٥ كانون الثاني ١٦١٥ م) في زقاق من أزقة رشت^(٢).

على اثر عملية الاغتيال؛ أجهش الشاه عباس بالبكاء ودخل في حزن شديد، لاسيما بعد ان أدرك أن صفى ميرزا ليس له ذنب، فأصبح نادماً على قتل ابنه ومكث حزينا في غرفته الخاصة مدة عشرة أيام، بل امر ان يظلّ مجلس العزاء ما يقارب سنة كاملة، وكان لصفى ميرزا اثنان من الأولاد، منهم سليمان ميرزا من ابنة الشاه إسماعيل الثاني، والآخر سام ميرزا من فتاة كرجية، وبسبب حب صفى ميرزا لها؛ سمح له أبوه بالزواج منها، وكان الشاه عباس يحب سام ميرزا كثيراً، وحتى لا يقصد قادة القزلباش وكبار الدولة، أمر بأن يعطوه يومياً مقدار قليل من الترياق^(٣) كي يصبح ثملاً فاقداً لوعيه وكان حينما يأتي إلى

(١) مريم نزار أكبري مهربان، بيشن، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٢) همان منبع، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) برز الترياق في العصر الصفوي بوصفه مادة ذات تأثير مُخدّر بالدرجة الأساس، لاعتماده على الأفيون المستخرج من الخشخاش، إذ يستُخدم لإحداث حالة من التسكين والفتور الجسدي وتهذئة الأعصاب، وقد يتجاوز ذلك إلى إضعاف الإحساس العام وصولاً إلى فقدان جزئي وربما كلي للإدراك وضعف الوعي. وقد أسهمت هذه الخصائص في شيوع تعاطيه بين الأوساط الميسورة، لا لغايات علاجية فحسب، بل لما يوفره من حالة استرخاء

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

القصر، يكون أشبه بالمجنون، لكن أمّه الكرجية كانت تعطيه بدل الترياق أدوية مضادة للسم، حتى إذا قاموا بتسميمه سرّاً بأمر الشاه يقاوم السم^(١).

بعد حملة التصفية والاغتيالات التي شنها الشاه عباس ضد مناوئيه سواء على مستوى أفراد العائلة الصفوية أو على مستوى رجالات الدولة؛ وصل الدور الى طوائف القزلباش حيث بدأ بتقليل مخالبيهم، اذ كان لمقتل مهد عليا أم الشاه عباس، واخيه حمزة ميرزا، أثر كبير في نفس الشاه عباس الذي اصرّ على القضاء عليهم، وتعدى عدد طوائفهم اثنتين وثلاثين طائفة، فيما كان عدد أفرادهم يتجاوز الستين ألف فرد، كانوا يتقاضون رواتب من خزينة الدولة، وهم موزعون على أنحاء البلاد كافة، وتملكوا الأراضي، وحكموا الولايات حكماً مباشراً مستقلاً عن الحكومة المركزية، وكانوا يحيطون بالشاه عباس الذي رأى نفسه مقيداً وفاقد الحرية، فأدرك أنه لا يستطيع أن ينفرد بالحكم إلا بتقليل مخالبيهم، لذا أصدر أوامر بإلقاء القبض على أمراء القزلباش الذين شاركوا باغتيال أخيه حمزة ميرزا ومنهم علي قلي خان، وإسماعيل قلي خان ومن كان مشاركا معهم من بقية العناصر وقتلهم جميعاً، كما أمر الشاه بقتل كل من كانت له صلة أو مشاركة بعملية اغتيال ومن بينهم : قور خمس خان الذي قتله الشاه بيده ثاراً لأمه^(٢).

استثمر الشاه عباس تمرد بعض امراء القزلباش ضد وصيّيه مرشد قلي خان الذي خصص لنفسه منطقة أصفهان، فأمر بمصادرة قلنسوة القزلباش منهم وقتلهم، وصودرت ممتلكاتهم ووزعها على أنصاره، وبهذه الآلية؛ تخلص من وصيّيه مرشد قلي خان، وقتل عدداً كبيراً من أنصاره، وفي اعقاب تخلصه من سطوة القزلباش؛ أخذ يعمل لإنشاء جيشين جديدين، أحدهما من (الغلما) الأرمن^(٣) والشركس^(٤) والكرج^(٥) التابعين لسلطانه، والآخر

وانفصال مؤقت عن الواقع، الأمر الذي جعله أقرب إلى مادة للتخدير والاستعمال المزاجي ضمن بعض فئات المجتمع، ومظهرًا من مظاهر الترف في ذلك العصر. كريم حميد عباس الزبيدي، المصدر السابق، ص ٧٩-٨٠.
(١) آدام أولناريوس، سفرنامه اولناريوس، ترجمه: احمد بهبور، تهران، ١٣٦٣ش / ١٩٨٤م، ص ٤٠١-٤٠٢.
(٢) بديع جمعة، المصدر السابق، ص ٦٠.

(٣) ينحدر الشعب الأرمني من العرق الأري الهنـدو أوربي الذي استوطن أرمينيا التاريخية، تطور الوجود الأرمني في الدولة الصفوية عند اعتلاء الشاه عباس، واراد التقرب منهم مستغلاً سياسة الدولة العثمانية التعسفية تجاه قرى أرمينيا التي كان الشاه يطمع بالسيطرة عليها. يراجع لمزيد من التفاصيل: وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، الأرمن والحياة الاجتماعية والاقتصادية في إيران خلال العهد الصفوي ١٧٢٢-١٥٠١، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٥.

(٤) هو الاسم الذي يطلق على المنطقة الشمالية للقفقاس، ويحدها شمالاً البحر الأسود ونهر كوبان من جهة والقوقاز العظمى من جهة أخرى، ولبلاـد الشركس تاريخ في روسيا الأوروبية، وشعبها ينتمي لغويًا إلى المجموعة القوقازية الشمالية، تركوا المسيحية واعتنقوا الإسلام في القرن السابع عشر للميلاد، وقد وصف الشركس بأنهم

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

من خالص محبيه من مواطنيه بغض النظر عن انتمائهم لطوائفهم، فسمي هذا الجيش اسم (شاهي سيون) الذي أنشأه بوصفه قوة خاصة وتعني محبي الشاه أو أصدقاء الشاه، ويذكر المؤرخ إدوارد براون: "ان الشاه عباس شكل قوة باسم شاهي سيون وتعني محبي أو أصدقاء الشاه الذين تجتمعوا نتيجة المحبة والعلاقة الشخصية التي تربطهم بالشاه، واستخدمت لمساعدة الشاه، بناءً على دعوة الشاه عباس جاءت طائفة باسم شاهي سيون من آسيا الصغرى نحو أردبيل"^(١)، وقد شكل طوائف الشاهي سيون مركزاً للجيش وتذكر المصادر أن الشاه عباس قد نادى أصدقاءه بهذا الاسم الشاهي سيون، وكانت وجهة نظره بأن تشكيله الجديد وتقويته يقضي على قوة القزلباش، الذين أخذوا يشكلون تهديداً للشاه، على الرغم من ضخامة رواتبهم التي يتقاضونها من خزينة الدولة، وشاركت قوة الشاهي سيون في معارك الصفويين ضد العثمانيين، لاسيما عند محاصرة قلعة إيروان^(٢) سنة (١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)^(٣)، وأثناء تسخير قلعة قارص سنة (١٠١٥هـ/ ١٦٠٦م)؛ عين الشاه عباس عدداً من الأشخاص من الشاهي سيون المتواجدين هناك لخدمة الديوان، وكانت اعداد هذه القوة في تزايد مستمر منذ بداية تشكيلها حتى بلغ عددهم في أواخر عهد الشاه عباس إلى مائة ألف شخص^(٤)، وبهذه الطريقة تخلص من أشرف امراء القزلباش على النشاط العسكري، مما منحه حرية كبيرة في القضاء عليهم^(٥).

قوم فطريون وذو فصاحة ولسان وتتوفر في رجالهم صفات الزعامة كالرجولة والشهامة والكرم. محمد خير عندوقة، الشركس أصلهم تاريخهم عاداتهم تقاليدهم هجرتهم إلى الأردن، عمان، ١٩٨٢، ص ١٤-١٥.

(٥) وهم سكان كرجستان (جورجيا السوفيتية سابقاً) وتشمل القسم الغربي من جبال القوقاز وتفصل أوربا عن آسيا وتتمتع بحدود منيعة من الجبال واهم مدنها تفليس وشيروان، ويؤلف الكرجيون ثلثي سكان كرجستان وأما الباقيون فهم من الأرمن والروس والأبخاز والأذربيجانيين، ويأتي من سكانها الرقيق الأبيض. يراجع لمزيد من التفاصيل: فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.

(١) إدوارد بروان، المصدر السابق، ص ١٠١.

(٢) إيروان: ولاية تاريخية مهمة في منطقة القوقاز، وكانت تمثل إحدى الولايات الحدودية الشمالية الغربية للدولة الصفوية. امتدت أراضيها شمالاً وغرباً نحو نهر أرباجاي (أخوريان) المتاخمة لمنطقة قارص، وضمت جنوباً نواحي نخجوان وماكو وبايزيد. وقد اكتسبت أهمية استراتيجية كبيرة بسبب وقوعها على خط التماس بين الدولتين الصفوية والعثمانية، مما جعلها عرضة لهجمات عثمانية متكررة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر. إياد عبد الرحمن الركابي، المصدر السابق، ص ٩٣.

(٣) ملا جلال الدين منجم، تاريخ عباسي ياروزنامه ملا جلال، شامل وقايع دربارشاه عباس، به كوشش: سيف الله وحيد نيا، انتشارات وحيد، تهران، ١٣٦٦ش/ ١٩٨٧م، ص ٢٥٩.

(٤) حسن حسيني فسايي، فار سنامه ناصري، تصحيح وتحشيه: از منصور رستكار فسايي، أمير كبير، جلد ٢، تهران، ١٣٨٢هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٤٧٠.

(5) Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, PP.171, 175.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

أما بشأن المناصب الإدارية ذات الأهمية الكبيرة في الدولة مثل حكم الولايات، فقد أمر الشاه بتعيين قيادات شابة جديدة بدلاً من امراء القزلباش الذين اقالهم منها، وأخذ يطبق سياسة مركزية في الحكم لتكريس سيطرته على شؤون الحكم في ولايات الدولة، بعدما كان نظام الحكم لا مركزياً منذ عهد الشاه إسماعيل الأول، فأصبح يحكم حكماً مركزياً، وبيده مقاليد حكم الولايات، التي أصبحت رهن أوامره، ولا يحق لهم التسويف والمماطلة والامتناع عن تنفيذ أوامره، وأضحت أوامر العزل والتعيين بيد الشاه عباس حصراً، بعد أن كانت بيد امراء طوائف القزلباش، وبهذا الترتيب الإداري ربط الشاه حكم الولايات به، فأنتجت هذه السياسة السيطرة الحقيقية الفعلية التي خلقها الشاه عباس بالقضاء على نفوذ امراء طوائف القزلباش وسطوتهم، وتدخل رؤسائهم الدائم في شؤون الدولة الداخلية حتى تلك التي هي ليس من شأنهم، مما اضطر رجالهم للرضوخ رهبةً منه، وأعاد للدولة وحدتها السياسية والإدارية المتماسكة، تجدر الإشارة الى ان الشاه عباس الاول اختار مدينة أصفهان عاصمة جديده للدولة الصفوية، ويقف خلف ذلك الاختيار أسباب متنوعة منها: أسباب استراتيجية اذ مثلت أهمية موقع اصفهان الاستراتيجي بتكريس مساعي الشاه إلى بلوغ أهدافه العسكرية من جهة، ومن جهة أخرى الابتعاد عن الحدود العثمانية والكف عن هجماتهم المحتملة، والامكانية على تجهيز الجيوش والحملات نحو خراسان و شرقي إيران ضد الأوزبك والبرتغاليين في الجنوب، وأسباب سياسية تهدف بمعالجة الخطر الداخلي، اذ أن القزلباش تملكوا قوة جبارة ونفوذ كبير في أذربيجان ونواحيها فضلاً عن العاصمة قزوین، فما كان من الشاه الا التفكير ملياً بالسعي للحد تلك الحالة واختياره لمنطقة لا تنفرد باحتواء العنصر التركي مما يعزز الرصانة الامنية للحكم والعرش، وأسباب جغرافية تركزت في موقع أصفهان الجغرافي وأمنها المستقر من الزلازل والعواصف والسيول والفيضانات، فضلاً عن ذلك بتمتعها بمناخ مميز أفضل من قزوین في ظل وجود نهر زاینده و إسهامه في خصوبة أراضيها وطبيعتها الخلابه، وأسباب اقتصادية، فأصفهان كانت بمثابة عقدت مواصلات لطرق النقل توفر المصادر الاقتصادية للشاه وطموحاته السياسية من جهة، ومن جهة أخرى التقرب من سواحل ايران الجنوبية المطلّة على الخليج العربي مما تكون مركزاً لجميع السلع والبضائع والأنشطة التجارية، فضلاً عن الأسباب الشخصية التي تجسدت بحب السلالة الصفوية لتلك المدينة نتيجة حفاوة الاستقبال الذي تصل جذوره الى عهد الشاه اسماعيل الاول وتكرر مع الشاه عباس الاول، فضلاً عن جمالية المدينة وملائمتها لرغبته الشاه في التنزه والصيد والاستجمام لممارسة هواياته. وبذلك أصبحت

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

المدينة أكثر جهوزية لقبول دار الملك ثم غدت العاصمة الصفوية الجديدة منذ العام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م^(١)، وتوجه صوب الحكم المطلق للبلاد دون وجود منافس له^(٢).

وبالانتقال الى دور مؤسسة الغلمان في قضايا تداول العرش ومشكلاته، فعلى اثر المعارك المستمرة منذ عهد الشاه إسماعيل الأول مع الكرج والشركس، وامتدادا لعهد الشاه طهماسب الأول؛ تم الحصول على عدد كبير من أبناء المناطق من صغار السن الكرج إلى الدولة الصفوية كأسرى حرب، فضلا عن المواجهات العسكرية المستمرة لشاهات الدولة الصفوية الصفويين على كرجستان للتبرك بثواب الجهاد واستباق العثمانيين في بسط النفوذ على تلك المناطق التي غالبية قاطنيها من النصاري^(٣). فكانت تلك المناطق هدفا لشاهات الصفويين وقادة الفزلباش، فكان الشاه طهماسب مثلا حريصا عقيدياً على توسيع الدين الإسلامي، واستعراض قوة الدولة الصفوية كي لا تصبح فريسة سهلة للطامعين بأراضيها، والاستحواذ على قدر كبير من الغنائم والمكاسب وفي مقدمتها الفتيات الكرجيات الجميلات، فلذا شنّ هجمات مستمرة على كرجستان، وقتل وأسر آلاف الأشخاص، منها ما حصل في شتاء (٩٥٣هـ / ١٥٤٧م) حينما حصل على عدد كبير من الفتيات والغلمان الكرج، وفي عام (٩٦١هـ / ١٥٥٣م) شنّ طهماسب هجمة اخرى قتل فيها عدد كبير من الكرج، وأسر آلاف الفتيات والغلمان والشباب^(٤).

كما قام الشاه عباس بمهاجمة بلاد الكرج بحجة الجهاد، فأسر عدد كبير منهم لاسيما من الصبيان المسيحيين وصغار السن، والذين اعتنقوا الدين الإسلامي وتربوا في إيران على الآداب والعادات والتقاليد الإيرانية والفرائض الدينية، فأنشأ الشاه عباس منهم ومن امثالهم من الشركس والأرمن جيشاً سماه جيش الغلمان^(٥).

لقد استحضر الغلمان المولودون في اماكن مسيحية مختلفة كأسرى حروب من لدن الجيش الصفوي منذ طفولتهم، وكان معظمهم فاقدى الوالدين وتم جلبهم إلى الدولة الصفوية

(١) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة اصفهان في العهد الصفوي دراسة في اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ١٥٩٨-١٧٢٢م، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩، ص ٦٢.

(٢) رضا بازوكي، تاريخ إيران از مغول تا افشاريه، جاب أول، تهران، ١٣٣٤هـ.ش/ ١٩١٦م، ص ٣٣٩.

(٣) إسكندر بيك، بيشين، ص ٤٢-٤٤.

(٤) عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ٧٣-٧٤.

(36) J. Kelley Sowards, Makers of world history, st. Martin's Press, New York, Vol. II, p. 44.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

و تعليمهم أحكام وقواعد الدين الإسلامي وأصبحوا مسلمين وكان الشاه مطمئناً وهادئاً من جانب الغلمان الذين رأوا منه المحبة فقاموا بخدمته بصدق وتفاني^(١).

فأصبح منذئذ لهم مكانة متميزة في المؤسسة العسكرية للدولة الصفوية^(٢)، وكانت علاقة الشاه عباس مرنه متماسكة مع غلمانه، اذ كان يحبهم جداً واختارهم لمقامات عسكرية وإدارية عالية ذات أهمية حيوية وكانوا يفتخرون بكونهم غلماناً للشاه، كانت التسمية التي تطلق على هؤلاء الغلمان بـ **قوللر**، ورئيسهم الذي يعينه الشاه كانت تطلق عليه تسمية **قوللر اقا**سي، وكانوا يتقاضون رواتب من خزينة الدولة الصفوية وينفذون أوامر الشاه بكل طاعه وإخلاص، وكان الغلمان جميعهم فرسان يذهبون إلى ساحات المعارك مع خيولهم وتتكون أسلحتهم من الحربة والسهم والبندقية و الفأس و السيف؛ فيما كانت إدارة الولايات قبل عهد الشاه عباس الأول من حصة امراء القزلباش، الذين تلقبوا بلقب الخان، لكن في عهد الشاه عباس وبغية تحقيق غايته في إضعاف سطوة القزلباش؛ جردهم من حكم الولايات والألقاب وأسندها الى غلمانه ووضع على رؤوسهم تاج القزلباش (القلنسوة الحيدرية)، بعدما كان حكرا على القزلباش واختار الغلمان المميزين للمقامات العسكرية العليا التي كانت مخصصة لكبار قادة القزلباش، ومن الغلمان المتميزين القائد اللهوري خان وهو من الغلمان، ونتيجة للشخصية القوية التي يمتلكها؛ عيّنه الشاه عباس في بداية الامر لقيادة الغلمان (**قوللر آقاسي**)^(٣). ثم أسند اليه في سنة (١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) حكومة ولاية فارس ليكون أمير الامراء فيها^(٤)، كما أمر الشاه عباس القائد اللهوري خان مع اثني عشر ألف

(1) Jamil Quzanlu, Tarikh-i-Nizami-yi-Iran, Vol. I, P. 370 .

(٢) برزت فكرتان عسكريتان متشابهتان إلى حد كبير، في التاريخ الحديث تجسدتا في الإنكشارية العثمانية والغلمان الصفويين، فكلا الجيشين نشأ من الحاجة إلى قوة نظامية، موالية مباشرة للحاكم، ومستقلة عن الانتماءات القبلية والعشائرية، لضمان سيطرة الدولة واستمرارها في مواجهة التحديات والمخاطر الداخلية والخارجية حيث تأسست الإنكشارية في الدولة العثمانية منذ عهد أورخان الغازي (٧٣١هـ / ١٣٣٠م)، ثم اكتمل تنظيمهم في عهد السلطان محمد الفاتح وواصل السلطان سليمان القانوني تطويرهم. فاستُخدم في البداية الأطفال والشباب، وغالبيتهم من الأسرى المسيحيين أو مناطق خاضعة للدولة العثمانية، لتلقينهم التعليم العسكري والديني والصوفي، بحيث يكون ولاؤهم للسلطان وحده، وارتبطت الإنكشارية بالطريقة البكتاشية، ويمكن اعتبار الإنكشارية والغلمان نموذجين متقاربين في إدارة القوة العسكرية والولاء المطلق للحاكم، مع اختلافات زمنية، دينية، وتنظيمية، ما يعكس تطور الفكر العسكري والسياسي في الإمبراطوريات الإسلامية الحديثة. امانى بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة، جمهورية مصر العربية، ٢٠٠٧، ص ٤٧-٦٧.

(٣) بيترو دلاواله، بيشين، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٤) منوچهر بارسادوست، شاه عباس اول، جلد اول، جاب اول، تهران، ١٣٨٨ش / ٢٠٠٩م، ص ٤٥٨.

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

شخص من الكرج المسلمين للقضاء على تمرد الشاه عباس في خرم اباد فأمر الشاه عباس بإعدامه^(١).

كما منح الشاه إمارة أمراء الولاية لإمام قلي خان بن اللهوردي خان، كما أسند قيادة الجيش لغلام أرمني آخر، كما برز غلام آخر من غلمان الشاه، هو القائد قرجقاي خان، الذي أصبح في بداية مسيرته قائداً للمدفعية، ثم بعدها قوللر آقاسي لكفاءته الادارية ومهاراته البارزة، لهذا اسند اليه حكومة أذربيجان وإمارة أمراء تلك الولاية و بعدها اسندت اليه حكومة خراسان، فقد كان قرجقاي خان مقرباً جداً من الشاه عباس، وفي إحدى المرات أمر الشاه عباس القائد قرجقاي خان في سنة ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م بأن ينفذ عملية اغتيال ابن الشاه عباس صفي ميرزا وحين اعتذر قرجقاي أضحي ينتظر أمر الشاه عباس بقتله، لكن الشاه عفا عنه وأبقاه في منصبه، كما منحهم الشاه زعامة ورئاسة القبائل القزلباشية، فعين مثلاً داود خان الأرمني لرئاسة قبيلة القاجار فضلاً عن اسناد حكومة قراباغ اليه، بعدما اقال محمد قلي خان قاجار من حكومة قراباغ، وعين القائد منوچهر خان الأرمني ابن قرجقاي خان لحكومة مشهد، وعين فريدون خان ومن بعده خسرو خان الجركسي لحكومة استراباد، وعين قوزاق خان الجركسي لحكومة شروان ورئيساً لطوائف قرامانلو وخبوشلو، وعين جمشيد سلطان الكرجي على راس حكومة ابيورد خراسان ورئيساً لفرع من طائفة أفشار المسماة (ايدلو)^(٢)، واستناداً الى ما سبق أصبح القزلباش حاقدين على غلمان الشاه الذين لم يكونوا أتراكا مثلهم واصبحت الامتيازات حصراً بهم، فضلاً عن تفضيلهم على القزلباش، الذين كانوا يطلقون عليهم تسمية "قرا اوغلو" أي الأبناء السود، لكن الشاه عباس لم يعر أي اهتمام لوجهة نظر القزلباش حتى وفاته، إذ كان يعتمد عليهم فيما كان الغلمان أوفياء ومضحين له^(٣).

لقد تجذرت خلال عهد الشاه عباس الأول قضية التوريث واستمرت، فقد أجرى الشاه تغييرات على العرف التقليدي الذي أسسه الشاه إسماعيل الأول بتعيين أمراء السلالة الصفوية حكماً على الاقاليم، فأمر بوضع الامراء في (الحرمسرا)^(٤) مع الحريم، في وضع

(١) مريم نژاد أكبري مهربان، بيشين، ص ٦٣.

(٢) منوچهر بارسادوست، بيشين، ص ٤٥٨.

(٣) فاروق سومر، نقش ترکان اناتولي در تشكيل دولت صفوي، ترجمة إحسان اشراقي، نشر كسره، تهران، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ص ١٨١.

(٤) ويُقصد به «المكان المقدس» في اللغة الفارسية، أي الموضع المصون الحرمه، في حين أطلق عليه الأتراك لفظ «السراي» بمعنى القصر الكبير، والمقصود هنا ذلك القسم الخاص من القصر الذي تقيم فيه النساء، والذي لا يُسمح بدخوله لغير أفراد الأسرة الحاكمة أنفسهم. وقد كان الحريم عبارة عن مبنى مستقل تحيط به أسوار عالية،

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

يشبه الاقامه الجبرية، ويعود سبب ذلك الى خطورة ما يتعلمه الأمراء في تلك الأقاليم نتيجة تواصلهم مع حكام القزلباش متقلبي الولاء ورضوخهم لسلطة العسكر وامكانية تحوّلهم إلى خطر محتمل يهدد الحكومة المركزية، وكان لسياسة الشاه عباس الاول القاسية التي على أثرها قاد حملة تصفية واغتيال كل منافسيه على العرش على مستوى العائلة الصفوية، فخلقت هذه السياسة مشكلة عمقت وجذرت مشكلة وراثية العرش من بعده، فسمّل عيون الامراء، كما كان يأمر بالتشديد على ولي العهد بمكوته في قصر الحريم، ويمنع عليه الاجتماع بكبار الدولة، ليظل ساكناً في دائرة لا يتواجد بها سوى الخصيان والخدم والجواري ومربيه الخاص، فأنتجت هذه الآلية المشددة من التعامل مع شاهات ضعفاء جدا غير قادرين على توازن ميزان قوى الحكم وشؤون الدولة الصفوية^(١).

إن الغاية التي كان يهدف الشاه عباس من حبس الامراء في دار الحريم هو إدارة شؤون البلاد بأفضل طريقة ممكنة ومنع التمردات الداخلية ضد حكومته، ففضى حياته في تكريس حكمه، فواجه صراعاً شديداً مع العثمانيين والاوزبك، ولم يمنحه ذلك الصراع فرصة للراحة، فتأثرت صحته بسبب تلك التناحرات، وبدأ يتغلغل الضعف والمرض إلى جسده، فأصيب بمرض الصفراء، فتوجه نحو منطقة اشرف بـمازندران^(٢) لتلقي العلاج، وقبل رحلة السفر عمل على ايجاد ولي للعهد، حتى يظل وريثاً شرعياً يخلفه اذا ما وافته المنية لمصلحة الدولة وحفاظاً عليها من الفتن والمؤامرات، هنا واجه في أواخر حياته مشكلة اختيار ولي العهد، فلم يجد إلا سام ميرزا بن محمد باقر صفي ميرزا الذي بقي حياً وسالماً بجهود والدته التي حافظت عليه من القتل وأبعدته عن الشاه^(٣).

فاختار حفيده سام ميرزا بن صفي ميرزا وبعد ذلك سافر الى منطقة اشرف بـمازندران، وبقي هناك مدة لتلقي العلاج، لكن حالته الصحية ازدادت سوءاً، وعندما شعر بأن وفاته باتت قريبة استدعى أربعة من مستشاريه وأقاربه وهم: عيسى خان شيخاوند^(٤) قورجي

هدفها صون من في داخله عن أنظار الغرباء والمتطفلين. يراجع: عدي سامي فارس المالكي، المرأة الايرانية...، ص ٩٩-١١١.

(١) يارا: زان باتيست تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، بيشن، ص ٧٥٩.

(٢) تقع إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين، يحدها من الغرب اقليم كيلان ومن الشرق خراسان ومن الشمال الشرقي اقليم جرجان ومن الجنوب يحدها الصحراء المسماة صحراء لوط، ومن أهم مدنها امل وساري وبابل، وتمتاز بالجبال العالية. يارا: زان باتيست تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، بيشن، ص ٧٣٤.

(٣) مريم نژاد أكبري مهربان، بيشن، ص ٢٠٢.

(٤) عيسى خان: أحد أبرز سادات أصفهان وأكثرهم جاهة واحتراماً في المجتمع الصفوي، وقد تمتع بمكانة اجتماعية وسياسية مرموقة جعلته محل تقدير من مختلف طبقات الدولة. الأمر الذي أسهم في توطيد علاقته المبكرة بالشاه عباس الأول، إذ اضطلع بدور مهم في رعايته وخدمته، ما أكسبه ثقة البلاط واعتماده ضمن

الفصل الثاني : صراع النخب وأزمة التأسيس (١٥٢٤-١٦٢٩)

باشي أحد قادة الجيش والمسؤول عن حماية الشاه عباس، وزينل خان شاملو^(١) أحد زعماء القزلباش وكان القائد العام للقوات الصفوية وخليفة سلطان^(٢) وزير الديوان الأعلى وعمه الشاه زينب بيكم، ولما اجتمعوا عنده بدأ الشاه عباس بالكلام وقال انه لم يتمكن من تجاوز المرض ولديه وصايا يجب أن تنفذ بعد وفاته ووضح لهم أولاً خطورة الوضع الأمني للبلاد بعد وفاته، وطلب منهم أن يكون سام ميرزا بن محمد باقر ميرزا على العرش باسم والده صفي، و قال الشاه عباس أيضاً: "كم من الوقت سيحكم سام ميرزا ليس مهم حتى لو أستمر ثلاثة أيام فإنه سيأخذ التاج الذي كان من حق أبيه"^(٣). فقضى نحبه في (يوم الخميس الرابع والعشرين من جمادي الأولى عام ١٠٣٨هـ / ٩ كانون الثاني عام ١٦٢٩م)^(٤)، فنقل جثمانه الى مقبرة امام زاده موسى في مدينة كاشان كي يدفن مؤقتاً^(٥)، ثم دفن في قم عن عمر ناهز التسعة وخمسون عاماً^(٦).

الدائرة المقربة للشاه وتقلد منصب قورجي باشي، للتفاصيل يراجع : رضا احمد سالم الشاوي ، ايران في عهد الشاه صفي الصفوي ١٦٢٩-١٦٤٢، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٤، ص ٤٢.

(١) هو أحد أبرز جنرالات الشاه عباس الأول، استمر نفوذه ومكانته العسكرية في عهد الشاه صفي من بعده. وقد حظي بثقة كبيرة لدى الشاه عباس تجلّت في إسناد ولاية الري إليه، وهو ما يعكس مكانته الرفيعة ضمن النخبة الحاكمة . مريم نزار أكبري مهربان، بيشين، ص ١٨٨.

(٢) يُعدّ خليفة سلطان من أبرز رجال الدولة والدين في العصر الصفوي، وقد اشتهر بلقب «سلطان العلماء» لما تمتع به من مكانة علمية ونفوذ سياسي. شغل منصب الصدر الأعظم ابتداءً من سنة ١٦٢٣م، واستمر فيه حتى سنة ١٦٣٢م . يارا: زان باتيست تاورنيه، بيشين، ص ٤٧٥.

(٣) يارا: آدم اولناريوس، بيشين، ص ٣٥٩.

(٤) رضا قلي خان، بيشين، جلد هشتم، ص ٤٣٦.

(٥) كمال السيد، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٦) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٦٧.

الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم وانكفاء السلطة
(١٦٢٩-١٦٩٤م).

أولاً : ضعف السلطة وصعود نفوذ الحريم والخصيان خلال عهد صفي الأول (١٠٣٨-
١٠٥٢هـ / ١٦٢٩-١٦٤٢م).

ثانياً : تغول قيادات القزلباش في مؤسسات الدولة، وتنامي الصراع خلال عهد الشاه عباس
الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧هـ / ١٦٤٢-١٦٦٦م).

ثالثاً : تنصيب الشاه صفي الثاني (سليمان) (١٠٧٧-١١٠٥هـ / ١٦٦٦-١٦٩٤م) ودور آغا
مبارك وسطوة حاشية القصر .



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

اولاً : ضعف السلطة وصعود نفوذ الحريم والخصيان خلال عهد صفي الأول (١٠٣٨-١٠٥٢هـ / ١٦٢٩-١٦٤٢م).

وصلت الدولة الصفوية في عهد الشاه عباس الاول الكبير الى مصاف الدول المتطورة والمزدهرة، وفي الاطار نفسه رجّح اغلب المؤرخين بأن العامل الرئيس للانحدار نحو الهاوية والضعف للدولة بعد وفاته؛ كانت شخصيته المتفردة بالحكم وقيامه باغتيال أمراء السلالة الصفوية، ليتولى من بعده شاهات غير اكفاء كانوا السبب الرئيس في وقوع البلاد في حالة الانحلال والتدهور، وبالتالي ضعف السلطة المركزية والذي كان العامل الجوهري لإنهيارها^(١)، إذ أن الثبات السياسي والاقتصادي الذي أرسى أسسه الشاه عباس الأول أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً بعد موته^(٢) ليخلفه ابنه سام .

وُلدَ الأمير سام ميرزا عام (١٠١٩هـ / ١٦١١م) في مدينة رشت وهو أبو النصر سام ميرزا بن محمد باقر ميرزا بن الشاه عباس الأول، أما والدته فهي دل آرام خانم الجركسية^(٣) وهي الزوجة الثانية لمحمد باقر، إذ كان متزوجاً سابقاً من الأميرة فخر جهان بيجوم بنت إسماعيل الثاني، تعلم سام ميرزا في صغر سنه القراءة والكتابة وتدريب على الرماية وركوب الخيل، ولم تتوفر تفاصيل كافية عن طفولته، ربما بسبب سياسة الشاه عباس الأول المتشددة بحبس الامراء الصفويين في الحرمسرا، اذ لم يسمح لهم بالخروج منه أو التحدث مع الامراء والقادة، وكان هذا السلوك ينبع من مخاوف الشاه عباس من أية

(١) عبد الحسين نوائي، اسناد ومكاتبات سياسي ايران از سال (١٠٣٨ تا ١١٠٥هـ.ق) بمراه باياد داشتهاى تفصيلي، انتشارات بنياد وفرهنگ ايران، تهران، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م، ص ٢٧.

(٢) دونالد ولبر، المصدر السابق، ص ٩٠.

(٣) جارية جركسية الأصل، أُهديت إلى الشاه عباس الأول من أحد أمراء كرجستان، فقام بدوره بتقديمها إلى ابنه محمد باقر ميرزا، فأضحت زوجته، وأنجبت سام ميرزا. وحينما اعتلى الشاه صفي العرش عام ١٦٢٩م، كانت زينب بيگم، عمّة الشاه عباس الأول، تُعدّ أقوى نساء الحريم وأكثرهن نفوذاً. لكن مكانتها أخذت بالتراجع بعد سنة ١٦٣٢م، إثر اصطدامها بوالدة الشاه صفي التي غدت الشخصية الأبرز داخل الحريم الملكي، لما اتّسمت به من وداعة ورصانة وقدرة على التأثير في الشاه صفي، واستمر نفوذها في البلاط الصفوي حتى نهاية عهده سنة ١٦٤٧م. عدي المالكي، المصدر السابق، ص ٢٥١-٢٥٧.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

محاولة انقلاب على السلطنة، وعاش سام ميرزا في مدينة رشت مع والده محمد باقر ميرزا^(١).

لقد كان لسياسة حبس الأمراء في الحريم الاثر في انحلال الدولة الصفوية، إذ وصل الى العرش بعد الشاه عباس الاول شخصية لم تتطلع الى العمل السياسي، مما ادى الى تقاعس إدارة الحكم، فضلا عن ما تعلمه الامراء من الأمور غير الحميدة في قصور الحريم مثل الادمان على تعاطي الأفيون والجنس المحرم والأمور الأخرى التي أثرت بصحتهم، ومن زاوية أخرى كان في قصور الحريم تحالف بين الغلمان والخصيان والجواري، أسهم بدور مؤثر في رسم سياسة العرش الصفوي، الامر الذي لم يكن لهذه العناصر سابقاً دور مؤثر في تاريخ الدولة الصفوية، وفي الاطار نفسه أسهم حبس الأمراء في تقوية علاقة أم الأمير التي سيكون لها دور في التأثير على سياسة الشاه، ومن ثم اسهمت زيادة نفوذ الملكة الأم في تغييب تأثير بنات الملوك الصفويين في السياسة الصفوية كما كان سابقا ذلك جراء المنافسه الشديده بين الطرفين^(٢).

كان عادة عندما يموت شاه مقتدر وقوي وينتشر خبر وفاته؛ تنشأ حركات تمرد بسبب وجود مدة شغور في منصب الشاه ومن ثم هشاشة السلطة والتحرر من الخوف. وفي خضم هذه التطورات يستحيل إبقاء وفاة الشاه عباس الاول سرا مدة طويلة، ريثما تجهز الترتيبات اللازمة لاستلام الشاه الجديد، لذا قرر الصدر الأعظم خليفة سلطان وعيسى خان شيخاوند، اتخاذ إجراءات سريعه لإخماد أية محاولة خشية أن تستغلها الفصائل المختلفة في العاصمة نتيجة فراغ السلطة الناجم عن وفاة الشاه، ويتبين أن فصيلا غالبيتهم من النساء في القصر قد رشح إمام قلي خان، الابن الذي سملت عيناه و حرمه الشاه عباس الأول من بصره، بحجة

(١) محمد حسين الحسيني التفرشي، تاريخ شاه صفي (تاريخ تحولات ايران در سالهای ١٠٣٨-١٠٥٢ هـ.ق)،

تهران، ١٣٨٨ هـ.ق/ ١٩٦٨ م، ص ٢٧؛ رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٢) سعيد موليانى، چاپگاه گرجيه در تاريخ وفرهنگ وتمدن ايران، انتشارات يكتا، اصفهان، ١٣٧٩ / ١٩٦٠ م، ص ١٥٧-١٥٨.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

أنه لم يفقد بصره تماماً، وكانت زبيدة بيكم^(١) هي صاحبة هذا الرأي، والتي كانت رافضة بشدة لفكرة تولي سام ميرزا العرش الصفوي، حتى انها أتهمت بمحاولة اغتيال سام ميرزا عن طريق تسميمه، والرأي الثاني نجف قلي ميرزا الطفل الذي لم يبلغ من العمر سوى خمس سنوات^(٢).

قامت زينب بيكم بأرسال رسالة إلى خسرو ميرزا^(٣) حاكم أصفهان بيد محب علي بك^(٤) ليعلن وفاة الشاه عباس، وتأمّره بتجهيز التحضيرات لتولي الشاه الجديد، وفي ظلّ الفراغ السياسي الذي نتج عن وفاة الشاه عباس الاول الكبير، اضطلعت زينب بيكم بدور

(١) زبيدة بيگم: ابنة الشاه عباس الكبير وزوجة عيسى خان، مارست دوراً مهماً في البلاط الصفوي بعد وفاة والدها، واجهت الدولة أزمة سياسية وعسكرية، إذ كانت السلطة في مرحلة انتقالية، وتعرضت بعض الشخصيات القوية للاغتيال أو السجن لضمان استقرار الحكم الجديد. فقتل زوجها عيسى خان الذي كان من أبرز قادة الجيش الصفوي وذوي النفوذ، خلال هذه الاضطرابات مع أولاده، ما ترك زبيدة بيگم في موقف هش ومعرض للتهديد. فاستهدفت بشكل مباشر بعد فقدان الحماية العائلية، فسُجنت مدة، وتم دس السم لها لاحقاً، لتلقى حتفها في ظل ظروف مأساوية. وعند وفاتها، دُفنت في مقبرة الأمراء الصفويين إلى جانب أحد أبنائها، ما يعكس مكانتها داخل الأسرة الحاكمة على الرغم من المآسي التي أحاطت بها. نصر الله فلسفي، بيشن، ص ١٩٩؛ عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ٢٠٢.

(٢) محمد حسين الحسيني التفرشي، بيشن، ص ٢٨-٣٠.

(٣) خسرو ميرزا: يُعدّ من الغلمان الجورجيين المنحدرين من أصول ملكية، إذ كان ابن الملك داود الحادي عشر، ملك كارتلي، وقد أُدخل إلى البلاط الصفوي حيث خضع للتدريب والتنشئة السياسية والعسكرية على يد الخصيان، إلى جانب المجنّدين الشباب من فئة العبيد (الغلمان). ومع اعتلاء الشاه صفي العرش، تبنّى خسرو ميرزا منصب حاكم أصفهان (داروغا)، في دلالة واضحة على المكانة التي بلغها داخل الجهاز الإداري للدولة. وفي هذه المرحلة، منحه الشاه صفي اسم «رستم خان» وعيّنه في منصب «فلار أفاقي»، الأمر الذي جعله على رأس تنظيم الغلمان، ومنحه نفوذاً واسعاً في البلاط الصفوي، وأسهم في تعزيز دور العناصر الجورجية والغلمانية في موازين السلطة خلال السنوات الأولى من حكم الشاه صفي. محمود پاينده، قيام غريب شاه گیلانی مشهور به عادلشاه، بی چاپ، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م، ص ٦٧.

(٤) محبّ علي بك: يُعدّ من الشخصيات الجورجية البارزة التي حظيت بثقة البلاط الصفوي، إذ كان من شيوخ البلاط المقربين ومن العناصر الفاعلة في إدارة شؤون الحكم خلال أواخر عهد الشاه عباس الكبير وكان محب علي بك شخصية ذات اصول جورجية وكان مريباً للعبيد وشريك خسرو ميرزا الجورجي من حيث الاهداف والطموحات التي تهدف الى سيطرة العبيد الجورجين والخصيان والجاريات على الشاه الجديد والحصول على مناصب مهمة في الدولة الصفوية وأبعاد النخب القديمة من القزلباش، مستثمرين تواجد الشاه الجديد الذي كان معهم في بلاط الحريم وأن ام الشاه صفي هي من الجاريات الجورجيات. محمود پاينده، بيشن، ص ٥٧.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

بارز بوصفها إحدى الشخصيات النسوية صاحبة النفوذ داخل البيت الصفوي، إذ كلفت محبّ علي بك، أثناء إقامتها في مازندران، بالتوجّه إلى أصفهان والعمل على تهيئة الظروف السياسية المناسبة لتنصيب الشاه صفي على العرش، وقد اضطلع محبّ علي بك بتلك المهمة عبر التواصل مع عدد من أعيان الدولة وكبار رجال البلاط المتواجدين في العاصمة، مرتكزاً إلى مكانته السياسية وعلاقاته داخل الجهاز الإداري والعسكري، الأمر الذي أسهم في حسم مسألة الخلافة وتثبيت الشاه صفي حاكماً للدولة الصفوية، احتوت الرسالة التي أرسلتها زينب بيكم على اسمين بعنوان شاه مرجح تنصيبه الأول سام ميرزا ابن محمد باقر والآخر نجف قلي ميرزا ابن امام قلي ميرزا، وطلبت منه التكتّم عن ذكر الاثنين، هذا على الرغم من توصية الشاه عباس بخلافة سام ميرزا ومساعي أربعة هم: (عيسى خان و زينل خان شاملو و وخليفة سلطان و عمّة الشاه زينب بيكم)، في احتمالية نجاحهم في تنصيب الاسم الآخر وهو (نجف قلي ميرزا ابن امام قلي ميرزا) فضلاً عن تواجد المسؤولين الكرج الذين يسيطرون على أصفهان وهم محيطون بسام ميرزا، وقد دفعت تلك التطورات التاجيك والترك بالتراجع عن مخططهم والقبول بالأمر الواقع، وفي الحريم الملكي كانت السلطة بدون منافس لزينب بيكم عمّة الشاه عباس الأول الكبير وهي من مؤيدي التحالف الثنائي (الترك والتاجيك)، لهذا عمل الكرجيون بجهود مضاعفة لبسط نفوذهم في البلاط الملكي^(١).

بعد وفاة الشاه عباس مباشرة انطلق زينل خان بسرعة إلى أصفهان، وحال وصوله أخبر خسرو ميرزا حاكم أصفهان بوفاة الشاه عباس، موصياً بأن يخلفه على العرش الصفوي حفيده سام ميرزا بن محمد باقر ميرزا شاهها للدولة الصفوية، اتجه الاثنان مباشرة إلى حيث يقيم سام ميرزا ووالدته في احد القصور لأخبارهما بوفاة الشاه ووصيته بتتويج سام ميرزا شاهها، وحينما سمعت والدته بقدوم هذين الشخصين إلى القصر لأخذ سام ميرزا معهم؛ اضحت في حالة من القلق والرعب على ابنها خشيةً قتله، فأخذت ابنها إلى إحدى غرف القصر وأغلقت الباب، إلى ان تاكدت من نواياهم الحقيقية القاضية بتنفيذ وصية جده

(١) رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الشاه عباس لتسليمه العرش، وبما أنه لا ينبغي عليهم تأخير تنفيذ الوصية أكثر من ذلك؛ أعربوا عن أملهم وتمنياتهم ان يحكم حكماً مديداً هنيئاً. وعلى أثر تلك التطورات؛ تحول خوف والدته وقلقها إلى بهجة وسرور. لا سيما وقد تيقنت أنهما لم ينويا اغتياله، ورافق زينل خان سام ميرزا إلى قصر ديفانخان وأجلسه على العرش، وأخبر أفراد العائلة الملكية ورجال الحاشية ووضع التاج على رأس سام ميرزا بحضورهم وأطلق عليه لقب الشاه صفي و نقش على النقود أسم (ولایت بنده شاه صفي)، وتعني (عهد عبد الولي الشاه صفي)، وتعني ايضاً عبد الإمام علي^(١). ولأجل اتمام مراسيم التتويج بشكل سليم وبدون احلال الفوضى والتمرد؛ أمر خسرو ميرزا بنشر كافة الفصائل الجورجية بكافة ارجاء العاصمة اصفهان لفرض السيطرة الأمنية وعدم استغلال شغور منصب الشاه لأحلال الفوضى، وكانت هذه الترتيبات قد اتخذت يوم (٩ جمادي الاخرة ١٠٣٨هـ / ٢٩ كانون الثاني ١٦٢٩)^(٢)، لحين انتهاء مراسيم تتويج سام ميرزا في مسجد قابو في العاصمة اصفهان وبحضور جمع من رجال الدين، وفي مقدمتهم آيه محمد باقر الميرداماد^(٣) وميرزا حبيب الله ابن السيد حسين مجتهد العاملي وميرزا غازي بن حكيم كاشفي يزدي وجمع كبير من اهالي اصفهان، واثناء التتويج سلم سيف الشاه إسماعيل الأول الى الشاه صفي،

(١) عباس محمود هميم الزبيدي، النقوش على النقود الذهبية والفضية في ايران خلال العصر الصفوي، جامعة واسط، كلية التربية، المجلد ١٧، العدد ١، ٢٠٢٥م، ص ٣٨٣.

(٢) ابو الحسن قزويني، فوايد الصفويه تاريخ سلاطين وامراى صفوى پس از سقوط دولت صفويه، تصحيح مقدمه وحواشي: مريم مير احمدى، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، تهران، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ٤٤؛ رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ٤٧.

(٣) مير برهان الدين محمد باقر الأسترآبادي: ينحدر مير برهان الدين من أسرة علمية عريقة، فوالده مير شمس الدين محمد الأسترآبادي من السادة الحسينيين، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام)، الأمر الذي منحه مكانة اجتماعية ودينية مرموقة في البلاط الصفوي. وُلد سنة ١٥٦١م، ونشأ في بيئة علمية أسهمت في تكوينه المبكر، وتتلذذ وارتبط بعلاقة علمية وفكرية وثيقة مع الشيخ بهاء الدين العاملي (العلامة البهائي)، وكان بينهما تبادل معرفي أثر في مسار الفكر الاسلامي. خُلف مير برهان الدين عددًا كبيرًا من المؤلفات في الفقه، والفلسفة، والمنطق، والكلام، أسهمت في ترسيخ المنهج العقلي داخل المؤسسة الدينية الصفوية. تُوفي سنة ١٦٣١م، ونُقلت جنازته إلى العراق حيث دُفن في صحن الإمام علي (عليه السلام) في النجف الأشرف، في دلالة رمزية على مكانته العلمية والمذهبية في العالم الشيعي. منوچهر ستوده، بنياد فرهنگ ايران، تهران، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م، ص ٥٤-٥٥.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وانتشرت الاحتفالات في الساحة الملكية المضيفة لمدة ثلاثة ايام بعد اتمام التتويج، ورافق طريقة تسنم العرش الصفوي للشاه صفي حظر استهلاك الخمر وإغلاق الحانات لتعزيز الشرعية الدينية للحاكم الجديد^(١).

لا يمكن فهم ذلك الإجراء بوصفه تطبيقاً لأحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بتحريم الخمر، بل يستلزم النظر إليه من زاوية الظروف السياسية والدينية التي كانت محيطة ببداية حكمه، وما استوجب ذلك من بذل جهود حثيثة إلى لتكريس شرعيته وإضفاء المشروعية على حكومته الجديدة، فقد تولّى الشاه صفي الحكم في مرحلة حساسة من تاريخ الدولة الصفوية، إذ ورث عن جده الشاه عباس الأول دولة واسعة النفوذ، لكنها في الوقت نفسه كانت تعاني من حالة تنافس داخل البلاط وتداخل نفوذ القوى العسكرية والإدارية، لا سيما القزلباش والحاشية الملكية وفي ظل حداثة سنّه وقلة خبرته السياسية، كان يستوجب عليه أن يقدم نفسه إلى الناس والنخب الحاكمة بوصفه شاهاً متمكناً من إدارة وضبط شؤون الدولة وإعادة تكريس النظام العام ومن تلك الخلفية، جاء قرار حظر استهلاك الخمر وغلق الحانات ليؤدي وظيفة رمزية وسياسية، تفيد بأن العهد الجديد هو عهد إصلاح وانضباط أخلاقي كما ارتبط ذلك القرار ببعد ديني واضح، إذ قامت الدولة الصفوية منذ نشأتها على توظيف المذهب الشيعي الإمامي بوصفه أحد أهم مرتكزات شرعيتها السياسية لذلك بات من الضروري اتخاذ إجراءات تتسجم مع الأحكام الشرعية، مثل منع استهلاك الخمر الذي أسهم في ترسيخ علاقة الشاه بالمؤسسة الدينية وكسب تأييد العلماء، وأظهر الشاه بمظهر الملتزم بتعاليم الدين والمدافع عن القيم الإسلامية في المجتمع الإيراني ومن جهة أخرى، كان القرار يحمل في طياته دلالة اجتماعية تجاوزت اطار الجانب الديني، لأن الحانات لم تكن مجرد أماكن لبيع الخمر، بل كانت بمثابة فضاءات للتجمع والترفيه ومناقلة الأخبار والعلاقات الاجتماعية، مما جعلها خارج اطار السيطرة المباشرة للدولة بعض الاحيان^(٢).

(١) منوچهر دانش پژوه، بررسی سفرنامه های دوره صفوی، فرهنگستان اصفهان، ۱۳۸۵ هـ/ ۱۹۶۶ م،

ص ۲۱۴؛ رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ۴۷.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، المرأة...، ص ۲۹۵-۳۰۰.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

عليه، فإن غلقها يمكن فهمه أيضاً من زاوية أخرى في إطار إحكام فرض الرقابة على المجال الحضري وتنظيم الحياة العامة بما ينسجم مع مركزية السلطة ومع ذلك، فإن مثل تلك الإجراءات قد تكون أثرت اقتصادياً على بعض الفئات، سيما الجماعات المسيحية والأرمنية التي ارتبطت بتجارة الخمر وإنتاجه، ولا سيما في مدن مثل أصفهان ومع أن ذلك القرار يعكس رغبة الشاه صفي في الظهور بمظهر الحاكم المصلح فإن قراءة التاريخ الصفوي تشير إلى أن مثل تلك التدابير تمارس في بدايات العهود الملكية لصنع صورة إيجابية عن الشاه الجديد، ثم ما تلبث أن تخف حدتها أو تتراجع فعاليتها تدريجياً مع مرور الزمن لذلك، فإن قرار منع استهلاك الخمر وإغلاق الحانات في بداية حكم الشاه صفي يكشف عن مدى تداخل الدين بالسياسة في الدولة الصفوية، ويعبر عن استخدام الإصلاح الأخلاقي عنصراً لتكريس الشرعية السياسية وتدعيم شخصية الشاه أمام المجتمع الإيراني والنخب الدينية والإدارية^(١).

يُعد الشاه صفي أول شاه صفوي عاش طفولته معزولاً عن العالم الخارجي قبل تسنمه السلطة، لذا لم يكتسب حنكة سياسية وخبرة عسكرية، وهذا ما يؤكد الضعف والانحدار نحو الهاوية، وكانت عملة انتقال السلطة من الشاه عباس (الجد) إلى الشاه صفي (الحفيد) سلمية هادئة، ما يؤكد سرعة الطريقة التي نقلت بها السلطة وسريتها، فمدة صعود شاه جديد إلى العرش، كانت تمثل بطبيعته الحال أيام ضعف في النظام الحاكم من شأنه أن يمنح فرصة يستثمرها الطامعون من المتنفيين والقادة في البلاط الصفوي لتكريس نفوذهم وممتلكاتهم، فضلاً عن الحكام الإقليميين الطامعين بتوسيع نفوذهم، وكان على الشاه الجديد أن يؤسس شرعيته الخاصة بما يتجاوز الحالة التي اكتسبها بمجرد كونه شرعياً صفوياً كاملاً^(٢).

بعد اعتلاء سام ميرزا بن محمد باقر ميرزا شاهاً للدولة الصفوية (صفى) العرش أضحت البلاد ضحية الفساد العام في البلاط الصفوي، وأدت تربيته مع الحريم إلى عدم اكترائه بشؤون الدولة والحكومة، مع ذلك استمر تعاطيه للأفيون ومعاشرته النساء، حتى

(١) المصدر نفسه، ص ٢٩٩-٣٠٠.

(٢) رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ٤٨.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

تدنت قيمته إلى الحد الذي اضحى فيه الموظفون والعاملون في البلاط الملكي يتخاصمون علنا أمامه غير مبالين بوجوده، وعليه واجه في أوائل حكمه صعوبات وأخطارا كبيرة تجسدت بالمنافسة بين الفصائل والشخصيات الجورجية والتاجيك والتركماني، فدفعت هذه المخاطر الشاه إلى القيام بحملة تصفية واغتيالات شاملة لتكريس نفوذه على العرش الصفوي^(١). كما أضحت أحوال البلاد مضطربة بصورة ظاهرة للعيان، وبدأت الدولة تفقد هيبتها السياسية والعسكرية في عهده، كان لتولي الشاه صفى بمثابة صدع كبير في كيان الدولة الصفوية، وكان لطبيعة شخصيته المضطربة، وعدم خبرته في شؤون الحكم دورا أسهم بانحلال الدولة، فبعد مدة وجيزة من توليه العرش بدأ بتصفية اقاربه والقضاء على الكثير من الأمراء الصفويين، ويروى بأن الشاه صفى قد دبّرت له عملية اغتيال تجسدت بدس السم له، إلا أن كمية السم لم تكن كافية لقتله، فظلّ مريضاً وطريح الفراش مدة شهرين، وبعد أن شفي من مرضه؛ قرر أن يحقق للتعرف على من كان مدبرا لتلك العملية، فرصد مبلغاً من المال لمن يدلي بمعلومات عن ذلك الأمر، فطمعت إحدى الجوارى بالمبلغ، وأخبرت الشاه باتفاق نساء القصر على دس السم له، فقرر استنادا لتلك المعلومات؛ معاقبة النساء، فأصدر أمرا بحفر أخدود كبير داخل بستان القصر، دفن فيه ما يقارب أربعين امرأة بمن فيهن امه^(٢).

كان من نصيب حملة التصفية والاغتيالات شمولها عدد من كبار القادة والمستشارين من الذين كانوا يعملون في خدمة جده الشاه عباس الأول وأسهموا بأعادة حيوية الدولة ومجدها، حتى أضحت الدولة خاوية من القادة الأكفاء، فتم في عام (١٤٠١هـ / ١٦٣٢م) اغتيال أبرز خان في شیراز وهو إمام قلي خان^(٣)، الذي يُعد من أفضل القادة، وكان من

(١) عبد الفتاح فومنى كيلانى، تاريخ كيلان (در وقایع سالهای ٩٢٣-١٠٣٨ هجرى قمرى)، به تصحيح وتحشیه: منوچهر ستوده، بنیاد فرهنگ ایران، تهران، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م، ص ٥٤-٥٥.

(٢) منوچهر دانش پڑوه، بیسن، ص ٢١٤؛ یارا: آدام اولناریوس، سفرنامه اولناریوس اصفهان خونین شاه

صفی، ترجمه: مهندس حسین کرد بچه، جلد دوم، مطبعة بهمن، ١٣٦٩هـ ش / ١٩٥٠م، ص ٧٣٤.

(٣) هو ابن الله وردي خان، أحد أبرز القادة العسكريين في الدولة الصفوية، وينتمي إلى أسرة عُرفت بولائها المباشر للسلطة المركزية، حصل على لقب أمير أمراء الجيش، وهو من أعلى الألقاب العسكرية في الدولة



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

حيث الثروة المادية والممتلكات تقريباً مساوٍ لما يملكه الشاه، فضلاً عن انه كان سخيّاً، فأسس مدرسة في شیراز لتعليم الصبيان والكبار، كما أسهم ببناء اماكن لترويح المسافرين، فكان محط الاحترام والتقدير حتى من الأجانب^(١)، عليه فأن تربية الشاه صفي بين الحريم، كان لها أثر في تكوين شخصيته، فأن سطوة هؤلاء وانشغالهم بالمكائد ضد بعضهم لأجل الاستحواذ على السلطة بحكم قربهم من الشاه وعلاقتهم الوطيدة به، ويروى بعض المؤرخين أن أمه، وكذلك زوجته الأميرة ذات الاصول الجورجية من أسرة باگراتيون الحاكمة في كارتلي، ابنة الملك طهمورث، تمّت مراسيم زواجها من الشاه صفي في إطار سياسة المصاهرة السياسية التي اتخذها الصفويون مع بيوتات القوقاز لترسيخ النفوذ وتأمين الولاء وبعدما دخلت البلاط الصفوي اعتنقت الدين الإسلامي وألحقت بالحرم الملكي وهي والددة ولي عهده الوحيد الأمير عباس ميرزا؛ لم يكتب لها النجاة من الاغتيال، حيث تورد الروايات أنه كان في حالة سُكره حينما أقدم على طعن زوجته بخنجر في بطنها عدة مرات، كما قام بدفن امه (كما تقدم) مع بعض نساء الحرم، وهنّ على قيد الحياة، فضلاً عن قتله أعمامه محمد ميرزا وأمام قلبي السجيين في قلعة ألموت على الرغم من انه قد سملت عيونهم سابقاً^(٢).

عن حادثة مقتل الملكة الأم والددة الشاه صفي ودفن أربعين فتاة من حريم القصر وهنّ على قيد الحياة؛ ورد في كتابات الرحالة الأوربي تاورنيه: "كان شاه صفي، ذات يوم وهو في طريق عودته من منزل العمدة الأرمني في جلفا، حيث ذهب للاستمتاع وشرب النبيذ، وعند دخوله القصر؛ استدعى زوجته، لكنها لم تسرع في القدوم، وفي هذه الأثناء نام الشاه، واستيقظ بعد ذلك بقليل وبما أنه لم يرى زوجته، فقد استدعاها مرة أخرى، فركض الغلمان مسرعين، وقالوا لها إن الشاه غاضب وعليها أن تأتي بأسرع وقت ممكن، فذهبت إليه ووجدته نائماً وانتظرت حتى يستيقظ وبعد أن تأخر بالاستيقاظ رجعت إلى

الصفوية، ما يعكس مكانته الرفيعة وثقة البلاط به. للتفاصيل ينظر: محمد ميرك بن مسعود الحسيني المنشي، رياض الفردوس خاني، تهران، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ص ٤٣١.

(١) يارا: ژان باتيست تاورنيه، بيشن، ص ٥١٧.

(٢) همان منبع، ص ٥١٧.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

غرفتها، وعندما أفاق من نومه ثانية ولم ير زوجته مرة أخرى، سأل بغضب لماذا لم تأتي، ولما كانت والدته الشاه التي كانت خادمة جورجية، تكره زوجته الشابة التي كانت ابنة ثامورت ملك جورجيا، لأنها لم تحترمها كثيرا، ولأنها كانت في الغرفة في تلك اللحظة، كانت لديه فرصة لتغيير رأيه، فأشارت بيدها إلى أن زوجته مختبئة خلف الستائر، فنهض الشاه بغضب شديد وذهب إلى هناك وطعنها خمسة أو ستة خناجر في بطنها دون أن يتأثر بهذه الحركة الهمجية، ومن ثم عاد الشاه ونام مرة أخرى، وفي الصباح تذكر ما فعله في الليل، وسأل عن زوجته وعندما أخبروه القصة حزن للغاية، وأمر بمنع شرب الخمر^(١).

في تلك التطورات تمكن عدد من الخواجات^(٢) اشغال مناصب مهمة عليا في حكومة الشاه فتحكموا بقرارات الشاه^(٣)، وبالتالي حجبت شخصية الشاه واضحى البيت الصفوي معزولا بالكامل عن العالم الخارجي^(٤). فكان لتولي الشاه صفى العرش؛ ازدياد واسع لنفوذ

(١) نقلا عن: عدي سامي فارس المالكي، المرأة...، ص ٢٥٣.

(٢) الخواجة: لفظ فارسي الأصل، أطلق في المصادر الشرقية على الرجل الأجنبي، وغالبًا ما كان يُقصد به أصحاب البشرة البيضاء أو السوداء من غير أبناء البلاد، وارتبط استعماله في البلاطات الإسلامية لا سيما في الدولة الصفوية، بفئة الخصيان الذين جرى اختيارهم للخدمة في قصور الشاه، لما كان يُنظر إليهم بوصفهم أكثر ولاءً وأبعد عن الطموحات الأسرية والسياسية. عبد المجيد شجاع، زن سياست وحرمسوا در عصر صفوية، مطبعة دفت، ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٥ م، ص ١٥٣.

(٣) يوسف آقاي: شغل منصب مسؤول الصيد في بلاط الشاه صفى، كان من بين أكثر الخواجات نفوذًا داخل الدولة الصفوية وقوة، ولم يقتصر دوره على تنظيم شؤون الصيد فقط؛ بل تولّى بعض الخواجات الذين كانوا تحت إشرافه أيضًا المسؤوليات المالية والإدارية، ما منحهم قدرة كبيرة على التحكم في موارد الدولة وإدارة بعض الأموال العامة وقد أتاح هذا الجمع بين السلطة الإدارية والموارد المالية ليوسف آقاي ورفاقه فرصة للتأثير على مراكز القرار في البلاط، وأدى في الوقت نفسه إلى قيام بعضهم باختلاس مبالغ كبيرة من خزينة الدولة، الأمر الذي كشف هشاشة الرقابة على الموارد المالية في القصر، وبيّن مدى نفوذ الخواجات في عهد الشاه صفى، سواء في الجانب العسكري أو المالي أو البروتوكولي ويعكس هذا الوضع طبيعة الاعتماد الكبير للسلطة الصفوية على الخواجات، الذين غالبًا ما كانوا من أصول غير فارسية ويشكلون طبقة وسيطة بين الشاه والدواوين، وهو ما منحهم امتيازات واسعة لكنها كانت أحيانًا سببًا للتجاوزات المالية وسوء الإدارة. عبد المجيد شجاع، بيشن، ١٥٣-١٥٥.

(٤) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ٥٠٥.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وزيره سارو تقي^(١) داخل البلاط الصفوي، في سياق صراعه على النفوذ سعى سارو تقي على إزاحة الصدر الأعظم ميرزا طالب خان الأردوبادي، الذي كان ينافسه على المنصب، فأخذ يحرض على فتح تحقيق في الشؤون المالية للديوان لأجل تشويه سمعته، ثم سعى إلى النيل من اعتباره الاجتماعي، وانتهى الأمر بالتحريض على اغتياله سنة (١٠٤٣هـ/ ١٦٣٣م)، ليتمكن بعدها من تسنم منصب الصدر الأعظم، وقد تمت عملية الاغتيال للصدر الأعظم بتنسيق بين سارو تقي والحاشية المقربة من الشاه صفي، لا سيما إحدى نساء الحريم التي اكتسبت مكانة مرموقة بعد إنجابها أول وريث ذكر للشاه وهو عباس ميرزا، الأمر الذي خلق لها نفوذاً واسعاً داخل القصر، ويكشف ذلك الارتباط الوثيق لسارو تقي بالحريم الملكي عن الدور السياسي المؤثر الذي اضطلعت به نساء القصر في هذا المنعطف من التاريخ الصفوي، إذ شكّل نفوذهن أحد المفاتيح الأساسية لصعود بعض الشخصيات إلى المناصب العليا، وفي مقدمتها منصب الصدر الأعظم بالتدخل في أغلب الشؤون السياسية والإدارية للدولة، مستغلاً حالة تدهور صحة الشاه وادمانه على الخمر فضلاً عن صغر سنه وانعدام تجربته السياسية، الأمر الذي جعله يفقد القدرة على إدارة الحكم، مما أدى ذلك الأمر وقد أسفرت هذه الأوضاع عن ارتكابه أعمالاً بالغة القسوة، حتى غدا الحرم الملكي مسرحاً لسفك الدماء وتصفية الخصوم^(٢).

نتيجة ذلك؛ أتم عهد الشاه صفي بحدوث تمردات داخلية ضد غطرسته في الحكم وسوء أدارته لسياسة الدولة، فقد اتخذ سياسة اقطاعية بفرض سيطرته على الأراضي بعد سحبها من الولاة وتحويلها إلى ملكية البلاط الصفوي تحت ذريعة عدم وجود حاجة لدعم الجيش لعدم خوضه معارك، وتعزيز واردات الشاه حتى بلغت ما يقارب مائة وخمسون ألف تومان سنوياً، مما أسهم بتعزيز الاقتصاد وتعزيز موارد الدولة من جهة ومن زاوية

(١) سارو تقي: شغل منصب الوزارة في عهد الشاه عباس الأول، غير أنّه غُزل وتعرّض للإخضاء وصودرت ممتلكاته سنة ١٦١٦م، على خلفية اتهامه بممارسة اللواط مع أحد الخصيان البيض. إلا أنّ الشاه عباس الأول أعاده بعد عام واحد إلى الحياة السياسية، وولّاه حكم إقليم كيلان. عدي سامي المالكي، المرأة الإيرانية....، ص ٢٥٤.

(٢) عدي سامي المالكي، المرأة الإيرانية....، ص ٢٥٤-٢٥٥.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

أخرى نجد انه في الوقت نفسه خلق صراعا طبقيًا محتدما بين الفلاحين والحكام الذين فرضوا سياسة تعسفية بالضرائب^(١)، وكانت من أوائل الفتن التي هددت حكم الشاه صفي؛ حادثة تمرد غريب شاه، أحد أهالي كيلان، عام ١٠٣٩هـ / ١٦٢٩م، الذي كان يدعي بأن نسبة يعود الى جمشيد خان^(٢)، فتجمع حوله ثلاثين ألفاً من أهالي كيلان^(٣)، لتندلع إنتفاضة كبيرة عام ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م، وعلى أثر هذه التطورات؛ أمر الشاه صفي بأرسل قواته للقضاء على التمرد، وتمكنت قوات الشاه من القاء القبض عليه واعدامه^(٤).

قام حاكم قرة باغ داوود خان^(٥) بتمرد آخر سنة ١٠٤١هـ / ١٦٣١م، وهو شقيق امام قلي خان الذي تحالف مع حاكم كاختمورث خان الكرجي^(٦)، فكان يخطط

(١) علي حسن علي المكصوسي، تطورات إيران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني ١٧٢٢-١٧٢٩، دار تموز، دمشق، ٢٠١٦، ص ٢١.

(٢) جمشيد خان: كان حاكماً محلياً في إقليم كيلان ضمن الدولة الصفوية، ينتمي إلى نخبة القادة الذين تمتعوا بالسلطة الإدارية والعسكرية المحلية تميّز نفوذه بقدرته على إدارة شؤون الإقليم ومراقبة الموارد والأمن، ما جعله أحد عناصر استقرار الدولة في المناطق الحدودية، وقد ارتبطت علاقاته السياسية بالأسرة الصفوية مباشرة من خلال زواجه من خديجة بيكم، وهي شاهدة صفوية ابنة الشاه طهماسب الأول، ما منح جمشيد خان مكانة مرموقة داخل البلاط الصفوي وعزز روابطه بالنخبة الحاكمة، فأتاح له هذا الزواج النفوذ السياسي والاجتماعي، إذ أصبح جسراً بين الإدارة المركزية في العاصمة وإقليم كيلان، كما منح ابنه وذريته مزايا نسبية ضمن السلم الاجتماعي والسياسي للدولة الصفوية، ويظهر من هذا الزواج أن السياسة الصفوية اعتمدت على المصاهرات مع الأسر المحلية والنخبة الإقليمية لتقوية السلطة المركزية وضمان الولاء، وهو ما يعكس طبيعة التنظيم السياسي والاجتماعي في عهد الشاه طهماسب الأول. عبد الفتاح فومني كيلاني، تاريخ كيلان (در وقایع سالهای ٩٢٣-١٠٣٨ هجری قمری)، به تصحيح وتحشیه: منوچهر ستوده، بنياد فرهنگ ایران، تهران، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م، ص ٥٤-٥٥.

(٣) محمد حسين الحسيني التفرشي، بيشن، ص ٢٧.

(٤) محمود پاينده، بيشن، ص ٧١.

(٥) هو ابن الله وردي خان وشقيق امام قلي خان، يُعدّ من الشخصيات الصفوية البارزة في أوائل القرن السابع عشر، إذ تمتع بعلاقات وثيقة مع السلطة المركزية. عيّنه الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٧م بمنصب بيكلر بيكي، وهو لقب عسكري وإداري رفيع المستوى يعكس الثقة الكبيرة التي كان يكتّنها له البلاط، ويخول صاحبه قيادة القوات المحلية والإشراف على شؤون الإقليم مثل شقيقه ووالده، كان مهتماً بالأنشطة العمرانية والتجارية، فأسهم في تطوير البنى التحتية، ومن أبرز أعماله بناء سوق في شيراز أطلق عليه اسم "بازار داوودخان"، الذي أصبح مركزاً حيويًا للتجارة والاقتصاد المحلي، ما يعكس اهتمامه بالنهضة العمرانية والاقتصادية في الإقليم. غير



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

للقضاء على حكم الشاه صفي بدعم أخيه، وعلى اثر ذلك؛ أرسل الشاه صفي القائد رستم خان^(١) للقضاء على التمرد، وتمكن من قمع التمرد، وكان ذلك التمرد أحد الأسباب التي دفعت الشاه صفي للتخلص من امام قلي خان^(٢).

أضحت حكومة اصفهان تفقد السيطرة على الأقاليم الشرقية، بما فيها ولاية قندهار^(٣)، حينما أعلن علي مردان حاكمها تمرده سنة ١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م ويكمن سبب التمرد في أن الأخير

أن دوره السياسي لم يكن خاليًا من التحديات، إذ قام بتمرد ضد السلطة المركزية، وعقب فشل هذه المحاولة، لجأ إلى الدولة العثمانية، وهو ما يعكس الطبيعة المعقدة للعلاقات بين النخبة الصفوية والطموحات الفردية التي غالبًا ما كانت تتصادم مع سلطة الشاه. وتعكس هذه القصة تداخل النفوذ العسكري، الثروة، والأنشطة العمرانية مع الصراعات السياسية في البلاط الصفوي، وموقع النخب الإقليمية في تحقيق أو عرقلة السياسات المركزية. جهانبخش ثواقب، بررسی زمنیه ها وعلل شکل گیری شورش داوود خان در قریباغ وپیپامد های آن (١٤٢٠ هـ.ق)، پژوهش دانشگده ادبیات وعلوم انسانی دانشگاه اصفهان دوره دوم، مجله علمی، شماره سی چهارم و سی وپینجم، پاییزوزمستان، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م، ص ١٢٩.

(١) تزوج الشاه صفي من ابنة طهمورث ماماجله يوليه حكم كاخت، لكنه قتلها عندما كان ثملا، فكان ذلك أحد اسباب تمرده ضد الشاه صفي. سعيد مولیانی، بیشتن، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) رستم بك: أحد كبار قادة فصیل الغلمان في الدولة الصفوية، برز نفوذه في البلاط بوصفه شخصية محورية جمعت بين السلطة العسكرية والنفوذ الإداري داخل القصر. استطاع بحكم سيطرته على شؤون الجيش وإشرافه على إدارة الحريم السلطاني؛ أن يكون أحد الدعائم الأساسية لتعزيز مكانة الشاه وترسيخ سلطته، لا سيما في الأوقات التي شهدت صراعات داخلية بين الفصائل المتنافسة. وقد مكّن هذا الموقع رستم بك وفصیل الغلمان من اكتساب قوة سياسية وعسكرية كبيرة، جعلتهم قادرين على إقصاء خصومهم سواء داخل البلاط الصفوي أو خارجه، وأسهموا بذلك في إعادة رسم موازين القوى داخل الدولة. ويُعد رستم بك نموذجًا بارزًا للدور المتنامي الذي أداه الغلمان في النظام الصفوي، إذ انتقلوا من مجرد قوة عسكرية مساندة إلى فاعل سياسي مؤثر في إدارة شؤون الحكم وصنع القرار. عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية ...، ص ٢٥٢.

(٣) سعيد مولیانی، بیشتن، ص ١٥٨.

(٣) قندهار: مدينة ذات أهمية سياسية وعسكرية وتجارية بارزة، ارتبط اسمها عبر العصور بالصراع على النفوذ في مناطق شرقي إيران وغربي الهند، عُدت في المصادر القديمة من مدن بلاد الهند الكبرى، وكانت مركزًا لإقليم واسع شكّل حلقة وصل بين إيران والهند وآسيا الوسطى. وقد أصبحت قندهار موضع تنازع مستمر بين الدولة الصفوية والقبائل الأفغانية، لما تمثله من موقع استراتيجي يتحكم بطرق التجارة والحملات العسكرية. تقع مدينة قندهار حاليًا في غرب جمهورية أفغانستان، قرب الحدود مع إيران، وتتميز بطبيعتها الجبلية الوعرة ومناخها القاسي، الأمر الذي أكسبها أهمية دفاعية كبيرة وجعل السيطرة عليها هدفًا رئيسًا للقوى الإقليمية. كما شكّلت قندهار عقدة تجارية مهمة تربط بين المراكز الحضرية في إيران وبلاد الهند، وأسهم موقعها الجغرافي في



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

طلب من الشاه صفي بأن يدعمه بقوات إضافية لمواجهة هجمات المغول على قندهار، ولكن بسبب غطرسة الشاه وظنونه السيئة، بعد ان فسر ذلك بأنه ينوي التمرد؛ طلب الشاه حضور علي مردان، لكن الاخير أمتنع عن الحضور، لأنه كان يعلم بأنه ينوي اغتياله، وفي خضم تلك التطورات ارسل علي مردان الى حاكم الهند شاه جهان^(١)، يحثه على دخول قندهار، فأستجاب الأخير لدعوته واحتلها^(٢). وهكذا فعلى الرغم من أن الشاه صفي ورث عن جده دولة مستقرة تماماً وذات مؤسسات حكومية متطورة؛ إلا انه لم يكثرث للدولة في ظل ادارته، ولم تشهد أي انجاز عمراني أو إستقرار سياسي، بل وحتى الأمني، ولم تهتم بالجوانب الثقافية، والمظاهر العمرانية والثقافية التي كانت قد حظيت باهتمام جده^(٣).

سارت أوضاع البلاد نحو الانحلال والضعف والتراجع، وقد شكل ذلك عاملاً استغله السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) لتحقيق هدفه الذي كان ينتظره وهو استعادة بغداد الى اطار الدولة العثمانية وطرقها التجارية التي تُعد في الوقت نفسه أهدافاً

ازدهارها الاقتصادي ودورها السياسي وبذلك مثلت قندهار عبر تاريخها مركزاً استراتيجياً محورياً في التوازنات الإقليمية بين الشرق والغرب الإسلامي. ايداد عبد الرحمن الركابي، المصدر السابق، ص ٩٣-٩٤.

(١) شاه جهان محمد شهاب الدين (١٦٢٨-١٦٥٨م)، هو إمبراطور الدولة المغولية في الهند وخلف والده نور الدين جهانكير على عرش الإمبراطورية، ليصبح أحد أعظم حكام المغول وأكثرهم تأثيراً في تاريخ شبه القارة الهندية. يُعرف عهده بأنه العصر الذهبي لفن العمارة الإسلامية في الهند، فقد شهدت الإمبراطورية توسعاً عمرانياً هائلاً، وتميزت المدن والبنائيات التي شُيّدت تحت إشرافه بالفخامة والدقة والزخرفة الإسلامية الرائعة. من أبرز أعماله المعمارية قصر تاج محل في أغرا، الذي شُيّد كمدفن لزوجته المحبوبة أرجمند بانوا (المعروفة أيضاً باسم ممتاز محل)، وقد أصبح تاج محل رمزاً خالداً للحب والفن الإسلامي وواحدًا من أعظم الإنجازات المعمارية في العالم. كما اهتم شاه جهان بتطوير القصور، الجسور، المساجد، والأسواق، بما يعكس سعيه لتجسيد السلطة الإمبراطورية في المظهر العمراني للمدن. ويعد حكمه فترة ذروة الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي للفنون والثقافة في الهند المغولية، غير أنّ عهده لم يخل من التحديات العسكرية والصراعات الداخلية على السلطة، التي ظهرت بوضوح بعد نهاية عهده. وقد جمع شاه جهان بين القوة العسكرية، الفاعلية الإدارية، والرؤية الفنية، ما جعل عهده علامة فارقة في تاريخ الإمبراطورية المغولية. احمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها شبه القارة الهندية الباكستانية وبنجلادش- ايران – بلاد ماوراء النهر (بخارى الكبرى او التركستان – افغانستان- تركيا)، دار نهضة الشرق، القاهرة، دت، ص ٩٠-٩١.

(٢) عبد الحسين نوائي وعباسقلي غفاري فرد، تاريخ تحولات سياسي، اجتماعي، اقتصادي وفرهنگي ايران در دوران صفويه، دفتر نشر فرهنگ اسلامي، تهران، ١٣٨١هـ ش/ ١٩٦١م، ص ٢٣٢.

(٣) علي حسن علي المكصوسي، تطورات ايران...، ص ١٣.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الدولة العثمانية ففي عام (١٠٤٨ هـ / ١٦٣٨ م) أعد السلطان مراد الرابع جيشاً ضخماً بهدف تحقيق مشروعه في استرجاع بغداد الى اطار السيادة العثمانية، وكان يرافقه شيخ الإسلام يحيى أفندي^(١)، وقد سلك طريق بغداد - إستانبول عبر حلب وديار بكر والموصل وصولاً إلى بغداد، فوصل إليها في (٨ رجب ١٠٤٨ هـ / ١٥ تشرين الثاني ١٦٣٨ م) وفرض حصاراً قاسياً عليها. وقاومت حامية المدينة المؤلفة من حوالي أربعين ألف جندي بقيادة بكتاش خان^(٢) الحصار المفروض عليها بشجاعة وكان الشاه صفي يراقب تطورات تلك الاحداث عن كثب يوماً بيوم من دون أن يجرؤ على اصدار امر الى قواته بالاصطدام مع الجيش العثماني ويدخل في حرب مفتوحة مع العثمانيين، وقد أمل أن تصمد قوة الحامية الصفوية وتحصينات المدينة، فيكف العثمانيين عن الحصار ويعودون أدراجهم، لكن السلطان وقد اصر على اقتحام المدينة، اشتبك مع حاميتها الضخمة، وكان قد استولى على بعض أبراجها ما سهل السيطرة عليها بعد ذلك، ونفدت المؤن من المدينة في غضون ذلك، اضطرت حاميتها إلى الاستسلام في (١٧ شعبان ١٠٤٨ هـ / ٢٤ كانون الأول ١٦٣٨) بعد مرور تسعة وثلاثين يوماً من الحصار القاسي، وقد تكبد الطرفان خلالها كثيراً من القتلى حوالي خمسة آلاف جندي عثماني مقابل حوالي عشرة آلاف جندي صفوي فضلاً عن

(١) يحيى أفندي: أحد أهم رجال المؤسسة الدينية في عهد السلطان مراد الرابع، إذ تولى منصب شيخ الإسلام في مرحلة اتسمت بالاضطرابات العسكرية والسياسية داخل الدولة العثمانية وقد كان مقرباً من السلطان وأسهم في دعم هبة السلطة المركزية ومواجهة تمردات الانكشارية والعسكر، كما اسهم بدوراً مهماً في إضفاء الشرعية الدينية على سياسات مراد الرابع الإصلاحية والعسكرية وشارك يحيى أفندي في عدد من الحملات العسكرية العثمانية، وكان حضوره يعكس أهمية المؤسسة الدينية في تعبئة الجند ورفع الروح المعنوية وإضفاء المشروعية الشرعية على الحروب العثمانية ضد الصفويين كما ارتبط اسمه بمرحلة سعى فيها مراد الرابع إلى إعادة الانضباط للدولة بعد سنوات من الفوضى، فكان يحيى أفندي من الشخصيات التي دعمت هذا التوجه دينياً وسياسياً حتى وفاته سنة ١٦٤٤ م. يراجع للمزيد: عبير احمد عبد الرحيم محمد، منصب شيخ الاسلام في الدولة العثمانية (١٤٢٥-١٩٢٤ م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة النيلين، ٢٠١٨ م، ص ٤٨-٤٩.

(٢) بكتاش خان: من أصل جورجي، برز في المناصب الإدارية والعسكرية خلال عهد الشاه عباس الأول، حتى أصبح من الشخصيات المقربة في البلاط الصفوي. تولى حكم بغداد في عهد الشاه صفي عقب وفاة صفي قلي خان، وتزامن حكمه مع الحصار العثماني لبغداد سنة ١٦٣٨ م، حيث انتهى الأمر بتسليم المدينة إلى العثمانيين بعد مقاومة شديدة. ولم يلبث بكتاش خان بعد ذلك طويلاً، إذ توفي سنة ١٦٣٩ م في ظروف وصفت بالغامضة. احمد الشاوي، المصدر السابق، ص ١٢٩.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الجرحي، واشترط السلطان مراد الرابع أن يتم إخلاء بغداد من القوات الايرانية فوراً، ويُمنح المحاصرون الحرية في الالتحاق بجيش الشاه أو بجيش السلطان، وعلى اثر تلك التطورات حدثت مذبحة داخل بغداد راح ضحيتها الكثير من الإيرانيين^(١).

نتيجة لتلك الاحداث أُطلق على السلطان مراد الرابع فاتح بغداد، واقام فيها لعدة ايام اعاد فيها ترتيب شؤونها الإدارية، وعيّن حسين باشا والياً عليها وترك تحت إمرته حوالي اثني عشر ألف جندي من بينهم ثمانية آلاف من الانكشارية، ورمم أسوارها وقلعتها، ثم غادرها عائداً إلى إستنبول، وأبقى فيها الصدر الأعظم مصطفى باشا مخولاً لإجراء مفاوضات الصلح الذي بدأت تطورات تلوح في الأفق، ان مبادرة الطرفان نحو التوجه بانعقاد معاهدة صلح بينهما هو مايعزز الاعتراف من قبل الطرفان بقوة كل منهما والاعتراف الاقليمي بشرعية حكم كل منهما، فبادر الطرفان بعقد معاهدة زهاب^(٢) بين الجانبين ووضحت الدولة الصفوية تسير نحو تراجع ظاهر بفعل سياسة الشاه صفي التي ارتكزت على تصفية مراكز القوى، ما جعله يرضخ لعقد الصلح، وأثناء إقامة الصدر الأعظم مصطفى باشا في بغداد قدم إليه سفير الشاه صفي محمد قولي خان وطرح عليه مقترح عقد الصلح، فاشترط الصدر الأعظم حتى يتم الدخول في أمر الصلح انسحاب القوات الصفوية من درنة و درتلك اللتين غدتا مركزاً لتجمع القوات الصفوية المهاجمة لبغداد^(٣).

كان اعتراف الشاه بتبعية قلعة قارص تابعه للدولة العثمانية شرطاً اساسياً للدخول في مفاوضات الصلح، فعاد السفير الصفوي محمد قولي خان إلى أصفهان وعرض شروط الصدر الأعظم على الشاه الذي وافق عليها وأمر بانسحاب قواته من المنطقتين المذكورتين. وحينما تأكد الباشا من انسحاب القوات الصفوية الذي تزامن مع وصول وفد الشاه ساروخان في (١٤ ايار ١٦٣٨م) فكان رئيس الوفد الصفوي المفاوض مع الجانب العثماني الذي كان

(١) حسين محمد القهواتي، المصدر السابق، ص ٢٧٢.

(٢) رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص ٢٣٥.

(٣) ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨، بغداد، ٢٠١٤، ص ٢٧٦.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

برئاسة الصدر الاعظم مصطفى باشا^(١)، إذ تداول الطرفان في تفاهمات الصلح في منطقة زهاب قصر شيرين على الحدود العراقية – الإيرانية وبعد مناقشات عميقة بين الطرفين وانتهاء مشكلة نزاع الحدود بين الدولتين وتطابق طلبات الطرفين وقع محضر الجلسات في (١٧ ايار ١٦٣٩م) وباللغتين الفارسية والعثمانية ثم تمت المصادقة على المعاهدة من لدن الحكومتين اذ صدق عليها الشاه صفي في ٢١ ايار ١٦٣٩م ثم وقع عليها السلطان مراد الرابع في (٣ حزيران من العام نفسه) وعدت نافذة المفعول من تاريخ توقيعها واستمرت سارية المفعول لمدة طويلة من الزمن من قبل الطرفين دون الاعتراض على بنودها^(٢).

وتقرر في نهايتها أن يتبع حكم كل من بغداد وجصان، بدرة، مندلي درنة والأراضي الواقعة غربي قلعة زنجير للدولة العثمانية^(٣) إلى طريق شهرزور، وقلعة قزلجة، وتوابعها، وجميع القلاع في آخجة، وقارص، ووان وشهرزور والبصرة، كما ويتبع للدولة العثمانية حكم قبيلتي ضياء الدين وهاروني الكرديتين^(٤). وان يتبع للدولة الصفوية القلاع الواقعة شرق مندلي، ودرتنك، والغابات الواقعة شرق قلعة زنجير ومهربان. كذلك يتعهد الطرفان بهدم قلعة زنجير والقلاع الواقعة في أعالي جبل وان والقلعة الواقعة في منطقة قارص، فضلا

(١) مصطفى باشا: هو أحد أبرز رجال الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، تولّى منصب الصدر الأعظم بتعيين من السلطان مراد الرابع أثناء الحملة العثمانية على بغداد سنة ١٦٣٨م، وذلك عقب مقتل محمد باشا الطيار خلال المعارك مع الصفويين. وقد أسهم مصطفى باشا بدور وضع حداً للحرب الطويلة بين الدولتين العثمانية والصفوية ورسخت حدود النفوذ بينهما. عباس العزاوي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧-٢٢.

(٢) عمر عبد الستار السامرائي، العراق تحت الاحتلال الصفوي (٩١٤-٩٤١هـ) (١٠٣٣-١٠٤٨هـ)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة واصول الدين، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ٢٠١٦، ص ٣١٠.

(٣) تُعد قلعة زنجير، المعروفة في المصادر الفارسية باسم «عش النسر» أو «عش العقاب»، من أبرز القلاع الجبلية التاريخية في إيران. تقع في منطقة وعرة جنوب محافظة قزوین، وعلى مسافة تقارب ١٠٠ كم من طهران. ويرجع تاريخ بنائها إلى نحو سنة ٨٤٠م، إذ شُيّدت على ارتفاع يقارب ٢١٠٠ متر فوق سطح البحر، مستفيدة من الطبيعة الجبلية الحادة التي أحاطت بها من جميع الجهات. وقد صُممت القلعة بأسلوب دفاعي بالغ التحصين، فلم يكن الوصول إليها ممكناً إلا عبر ممر واحد ضيق يلتف حول منحدر شديد الوعورة والخطورة، الأمر الذي جعل مهاجمتها أو اقتحامها مهمة شاقة ومحفوفة بالمخاطر، وأسهم في منحها مكانة استراتيجية وعسكرية مهمة عبر التاريخ. احمد الشاوي، المصدر السابق، ص ١٤١.

(٤) ايمان عليوي سلومي، انهيار وسقوط الدولة الصفوية في إيران، مجلة الدراسات المستدامة، المجلد الثالث، العدد الرابع، كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢١، ص ٢٧١.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

عن أن تمتنع الدولة الصفوية عن استخدام الهتافات غير اللائقة بحق الخلفاء الراشدين و، يتعهد الطرفان بسلامة التجار والمسافرين وعدم التدخل بالشؤون الداخلية لكلا الطرفين^(١).

لقد اضحت معاهدة زهاب من الركائز الاساسية التي ارتكزت عليها معاهدات الحدود بين الجانبين الصفوي والعثماني بعد ذلك وعززت الاعتراف بشرعية حكم الدولتين، وجعلت الدولة الصفوية والدولة العثمانية تدخل في طور جديد من الصراع من شرعية السيف والعقيدة الى شرعية الدولة والحدود لأنها من أوائل المعاهدات الواضحة التي وقعت بينهما والتي حددت الحدود بشكل دقيق نسبياً مع مراعاة طبيعة البلاد والأرض^(٢).

تكاد تتفق اغلب المصادر ان الشاه صفي بعد عقود من الزمن التي شهدت ويلات الصراع العسكري والحروب سيما مع العثمانيين اتجه في ايامه الاخيرة الى اللهو وفرط الشرب واتخاذ سياسة الود والمسامحة سيما مع الخصم العثماني وتكاد تتفق أغلب المصادر على أن وفاة الشاه جاءت نتيجة ادمانه الشديد في شرب الخمر وما رافقه من انهيار صحي متواصل، إذ عُرف الشاه صفي بأسرافه الكثير على الخمر ومجالس اللهو في ايامه الاخيرة، وقد أصيب الشاه صفي بوعكة صحية شديدة أثناء وجوده في منطقة كاشان، ويروى أنه اضحى يعاني من الحمى والضعف الجسدي الحاد، حتى انتهى الأمر بوفاته بصورة مفاجئة نسبياً وتكاد معظم المصادر تربط نهايته بحالته الصحية المتدهورة نتيجة الإدمان والإفراط في الخمر واللهو، وجاءت وفاة الشاه صفي في مرحلة حساسة في الدولة الصفوية، لاسيما وان الامير عباس ميرزا كان ولي العهد الوحيد للشاه صفي الاول^(٣)، على الرغم من نجاح الشاه في ترسيخ بعض جوانب السلطة بعد سنوات الاضطراب، ولا سيما عقب معاهدة زهاب مع الدولة العثمانية، فإن حكمه شهد أيضاً اغتياالات واسعة داخل الأسرة الصفوية والنخبة السياسية بدوافع الشك والخوف من المنافسة على العرش فنتج عن تلك السياسة

(١) فلاح شاكر اسود، الحدود العراقية الايرانية دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين، بغداد، ١٩٧٠، ص ٦-٧؛

ايناس سعدي عبد الله، المصدر السابق، ص ٢٧٨-٢٨٠.

(٢) ايناس سعدي عبد الله، المصدر السابق، ص ٢٧٨؛ عمر عبد الستار السامرائي، المصدر السابق، ص ٣١١-

٣١٢.

(٣) عدي سامي المالكي، المرأة....، ص ٢٥٣.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

إضعاف البيت الصفوي وهكذا مثّلت وفاة الشاه صفي نهاية مرحلة اتسمت بمحاولة الحفاظ على هيبة الدولة الصفوية بالقوة والقسوة، فكانت وفاته في (١٢ صفر ١٠٥٢هـ/ ١٣ أيار ١٦٤٢م)، بعد حكم دام ثلاثة عشر عاماً، عن عمر لم يتجاوز الواحد والثلاثين عاماً ونقل الى قم^(١) ليُدفن فيها^(٢).

ثانياً : تغول قيادات القزلباش في مؤسسات الدولة، وتنامي الصراع خلال عهد الشاه عباس الثاني (١٠٥٢-١٠٧٧هـ/ ١٦٤٢-١٦٦٦م).

لقد اضحت الدولة عقب وفاة الشاه صفي في حالة وضع قريب من الهاوية، لولا ما رافق تلك التطورات من وجود شخصية متنفذة على المسرح السياسي تمكنت من إدارة شؤون الدولة وإتمام سيطرتها الإدارية داخل الدولة، لحين اتمام مسألة تداول العرش للشاه الجديد (عباس ميرزا- المعروف بعباس الثاني) (١٠٥٢-١٠٧٧هـ/ ١٦٤٢-١٦٦٦م) وتولي الأمور بنفسه، وتكاد تتفق اغلب المصادر على عدم وجود وصية، كما لم تكن هناك بدائل عن ولي العهد عباس ميرزا اثناء تسمنه العرش خلفاً لابيه وكانت والدته قد تمكنت بترتيب مع رجال الدولة من جعل ابنها يعتلي عرش الدولة. وهذه الشخصية هو الوزير ميرزا محمد تقي والمعروف بـ (ساروتقي)^(٣)، فضلاً عن وجود ام الشاه (آنا خانم)^(٤)، التي عرف عنها الذكاء وحسن التدبير، إذ تمكنت بمعاونة الوزير من إدارة امور الدولة لحين تسلم عباس الثاني مقاليد الحكم، لكن طموحات الوزير ميرزا ساروتقي وتطلعاته، اتجهت نحو الهيمنة على اكبر قدر من السلطة والنفوذ في إدارة شؤون الدولة، مما تجسد بظهور تنافس واضح

(١) قم: إحدى المدن الايرانية المهمة الواقعة في وسط ايران، يحدها من الشمال مدينة ساوه وقزوین ومن الشمال الشرقي طهران، ومن الجنوب كاشان وأصفهان ومن الغرب همدان ويوجد فيها قبر السيدة فاطمة المعصومة اخت الامام الرضا (ع)، وتعد من المراكز الدينية لدى اتباع المذهب الاثني عشري. محمد جواد الشمري، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٢) منصور صفت گل، فرازوفروود صفويان، بی چاپ، ١٣٨٨هـ ش/ ١٩٦٨م، ص ٧٣.

(٣) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٧٩.

(٤) تصمت المصادر صمّتا مريباً عن نسب وحياة والدة الشاه عباس الثاني. عدي سامي المالكي، المرأة الايرانية، ٢٥٨.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

للعيان بين الوزير ميرزا ساروتقي وبين القائد العام للجيش رستم خان^(١)، فمهد الصراع والتنافس الى ظهور موجة خلافات داخلية وفوضى كللت مرحلة مابعد وفاة الشاه صفي، ففي خضم تلك التطورات اعتلى الأمير عباس ميرز ابن الشاه صفي الاول البالغ من العمر حينها عشر سنوات، العرش في قزوین بالمراسيم المتعارف عليها، وذلك في نهاية عام (١٠٥٢هـ / ١٦٤٢م)، ودخل إلى أصفهان في بداية عام (١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م) فتوافد جموع الناس ورجال الدولة والمتنفذين للترحيب به وتهنئته، ولكن عند دخوله المدينة؛ أعلن المنجمون أن وقت السعد لم يحن بعد، فتوقف عن دخول المدينة مدة ثلاثة أيام في حديقة مساحتها ألف فدان، ليدخل بعدها إلى المدينة، ما أعطى انعكاسا منذ بداية حكمه أن الشاه يؤمن بالمعتقدات الغيبية، بل ربما أضحى ذلك الأمر شائعاً في نظر الناس حينذاك، فحينما كان الشاه يرغب في القراءة والكتابة، كان يستأذن ملك المنجمين محمد شفيع^(٢) في وقتها، وقد مثل عهده أنموذجاً مشابهاً لعهد والده من حيث النشأة والتربية والتكوين، فكان شخصية ذات طموح وحيوية، اذ تمكن بعد مدة وجيزة من أن يحكم قبضته على الحكم ويكون شخصية تنعم بالاستقلال عن سياسة الحريم والخواجات، فقد حاول جاهداً منذ اوائل حكمه تبني سياسة إدارية صارمة، سعى من خلالها الى محاولة الحفاظ على كيان الدولة، التي كانت في طريقها نحو الانحلال وكانت تعاني من التدهور نتيجة سياسة حكم ابيه^(٣). وحينما

(١) كان رستم خان جورجي الأصل، وقع في الأسر مع إخوته وهو في سن مبكرة، وهم علي قلي خان وعيسى خان. وقد قام الشاه عباس الأول بشراء الإخوة الثلاثة وإلحاقهم بخدمته، فبرزوا في البلاط الصفوي وترقوا في المناصب بمرور الوقت. إذ تولى علي قلي خان منصب الديوان بيك، وهو منصب قضائي رفيع يتولى الإشراف على تنفيذ الأحكام الصادرة عن الشاه، لا سيما أحكام الإعدام. أما عيسى خان فقد عُيّن يوزباشي (قائد مئة) في أصفهان، في حين أُسند إلى رستم خان حكم تبريز بلقب "خان". وبعد اعتلاء الشاه صفي العرش، عُيّن رستم خان سبه سالار (القائد العام للجيش)، وظل في منصبه إلى أن قُتل بأمر من الشاه عباس الثاني سنة ١٦٤٢م.

Roger Savory, Op. Cit., p. 608.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، أثر المعتقدات الغيبية والتنجيم على القرار السياسي في العهد الصفوي (١٥٠١-١٧٢٢)، مجلة دراسات تاريخية، المجلد ٢٢، العدد ١، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ٢٠٢٦، ص ٥٨٣-٥٨٤.

(٣) احمد فاضل، شاه عباس دوم صفوي وزمان او، مؤسسة فرهنگي هنري ضريح، بی چاپ، ١٣٧٦ش/ ١٩٥٧م، ص ١٠٢.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

ارتأى سارو تقي أن الوقت اضحى مناسباً لتحقيق تطلعاته الشخصية، اخذ يعمل لإيغال قلب الشاه ضد رستم خان القائد العام للجيش للتخلص منه بذريعة تقصيره بالتحرك نحو قندهار عندما امره الشاه بذلك، لذا اضحى رستم خان اول ضحية لعملية اغتيال يأمر بها الشاه عباس الثاني (١٠٥٦هـ / ١٦٤٦م)^(١).

هكذا تهيأت الأوضاع العامة في الدولة لصالح سارو تقي واخذ يكرس نفوذه في منصب الصدر الأعظم، وفي خضم هذه التطورات انتهج سياسة متشددة في الإدارة والمال، وسعى إلى تفويض نفوذ بعض القادة العسكريين والوجهاء أدت سياسة المتشددة، وكثرة عدد الخصوم المتراكم داخل البلاط، إلى تبلور تجمعات من خصومه بين الأمراء والقادة، الذين ارتأوا فيه خطراً على مواقعهم ونفوذهم، فدبرت له عملية اغتيال سنة (١٠٥٦هـ / ١٦٤٦م)، في بادره عكست حدة الصراعات داخل النخبة الحاكمة الصفوية، وتداخل نفوذ الحريم مع شؤون الحكم، وكانت عملية الاغتيال داخل أجواء البلاط نفسه، على أيدي متآمرين من خاصته أو ممن سهّلوا عملية اغتياله، مستثمرين حالة العداوة ضده وضعف الحماية في لحظة ما، ويجسد اغتيال سارو تقي أنّ الصدارة العظمى لم تكن منصباً إدارياً^(٢)؛ بل منصباً محاطاً بالمخاطر، تتحكم به توازنات دقيقة بين البلاط والحريم والقوى العسكرية، كما يكشف عن حالة فتور الأمن السياسي في مراحل انتقال النفوذ داخل الدولة الصفوية، اذ كانت التصفية الجسدية إحدى أدوات حسم الصراع على السلطة، لتبدأ مرحلة جديدة من حكم الشاه، فبعد مقتل سارو تقي ارتأى الشاه عباس الثاني ان المرحلة الجديدة تستوجب اختيار قادة اكفاء لتولي منصب الصدر الأعظم كونه من المناصب القيادية المهمة في الدولة^(٣).

(١) سيد عباس ازمودة، رجال سياسی گیلان در دوره صفویه، انتشارات بلور، رشت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م، ص ١٧.

(٢) احمد فاضل، بيشين، ص ١١٧.

(٣) علي الغنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) الشاه عباس الثاني ١٦٤٢-١٦٦٦، مجلد ٢٠، العدد ٢، ١٩٨٨، ص ١٩.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وقع اختياره على خليفة سلطان هو حسين بن محمد بن محمود الحسيني الأصفهاني، الملقب بسلطان العلماء والمعروف أيضاً بخليفة سلطان الذي يُعدّ من الشخصيات الدينية والإدارية البارزة في الدولة الصفوية ينتسب إلى أسرة علمية عريقة في أصفهان، عُرفت بتسليمها المناصب الدينية والإدارية العليا في الدولة الصفوية، وكان لعائلته الأثر الواضح في تكوينه العلمي ومسيرته الوظيفية، تلقى العلوم الدينية على أيدي كبار العلماء. تولّى خليفة سلطان منصب الوزارة مدة تقارب سبعة عشر عاماً في مراحل مختلفة من حياته، وعُرف بالكفاءة والنزاهة وحسن التدبير والادارة، كما تمكن من جمع المكانة الدينية والوظيفة السياسية، وهو ما منح منصبه بعداً شرعياً في نظر البلاط الصفوي والرعية، وقد رَوّجَه الشاه عباس الأول من ابنته خانم آغا بيكم، فكسب بذلك مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة داخل العائلة الصفوية، ومنح لقباً سلطانياً وكل ذلك يعزز قربه من البلاط حين اختير لتولي منصب الوزارة، فمثّل في تلك المرحلة نموذجاً للوزير الكفوء والمدير الذي سعى إلى إصلاح الجهاز الإداري ومحاربة مظاهر الفساد، الأمر الذي جعله موضع ثقة الشاه، توفي خليفة سلطان سنة (١٠٦٣هـ/١٦٥٣م) في ولاية مازندران أثناء عودته من قندهار، ونُقل جثمانه إلى النجف الأشرف ليدفن هناك، وهو ما يكرس مكانته الدينية ورمزيته العلمية لدى الأوساط العلمية الشيعية. بالرغم من تقلّده أعلى المناصب السياسية، إلا أن شخصيته غلب عليها الطابع الديني والعلمي أكثر من كونها سياسية مرموقة، فقد ظل يُنظر إليه أساساً بوصفه رجل دين وفكر، دخل العمل السياسي بحكم الضرورة والوظيفة لا بدافع الطموح السياسي الخالص^(١)، وشهدت الدولة الصفوية أثناء مدة وزارته تنامي التطور للحد الذي عرف عنه من كفاءة وإخلاص في إدارة أمور الدولة^(٢).

في الإطار نفسه أن الشاه عباس الثاني الذي استمر حكمه مدة بع قرن من الزمن، يُعد من شاهات الدولة الجديرين في العهد الصفوي المتأخر بل وفضلهم، لا يقل شأناً عن أهمية

(١) محمد رضا قنادي، سرگزشت شاه صفي، چاپ دوم، مؤسسه فرهنگي اهل قلم، پی تا، ۱۳۸۲ هـ ش/ ۱۹۶۴م، ص ۴۷.

(٢) رسول جعفریان، پیشین، ص ۲۹۷.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الشاه عباس الأول، فقد استحدث الشاه عباس الثاني فرقة عسكرية كانت تسمى الجزائري مكونه من ستمائة مقاتل ماهرين الذين تم اختيارهم من بين افضل الشباب واستحدث لهم زيا رسميا خاصا بهم وهو عبارة عن طاقية مخروطية مطرزة بالاشرطة الحمراء وخيوط فضية اللون واسلحتهم عبارة عن بنادق عيارها اكبر من البنادق القديمة^(١)، وما يميز عهده الصراع بين الصفويين ومغول الهند على ولاية قندهار الفاصلة بين الدولتين حيث لم يقف الشاه عباس الثاني مكتوف الايدي على ضياع قندهار في عهد آبيه واخذ يتجهز لاستعادتها للسيادة الصفوية، فأوكل قيادة قوات الدولة الصفوية إلى مرتضى قولي خان قاجار وأمره باستعادتها من مغول الهند^(٢).

خرج مرتضى قولي خان قاجار في شتاء (١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م)، وتمكن من ان يفرض حصاراً على قندهار لعلمه ان ثلوج جبال هندوكوش^(٣) سوف تعيق اية عملية امدادات من لدن السلطان المغولي وأن دولت خان نائب شاه جهان، حينما شعر بتردد سيده في إرسال دعم إليه خلال فصل الشتاء للدفاع عن المدينة لصد الخطر الصفوي، لذلك لم يتمكن من الصمود طويلاً أمام الحصار الصفوي، فاستسلم للصفويين، وهو لا يعلم أنهم كانوا على وشك انهاء الحملة والتراجع بفعل قساوة فصل الشتاء، ونقص المؤن، وعندما علم شاه جهان بسقوط قندهار تحت سيطرة الدولة الصفوية، أرسل جيشاً بلغ تعداده حوالي

(١) اياد عبد الرحمن شيحان الركابي، المصدر السابق، ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٨١.

(٣) أسهمت سلسلة جبال هندوكوش دوراً مهماً في الصراع الصفوي-المغولي الهندي حول قندهار، إذ شكّلت السلسلة الجبلية ممراً وحاجزاً استراتيجياً بين إيران وأفغانستان وشبه القارة الهندية وكانت الطرق العابرة لهندوكوش تربط قندهار بكابل ثم بالهند المغولية، لذلك أصبحت السيطرة على هذه الممرات ضرورية لحركة الجيوش والتجارة والاتصالات وقد أدرك الصفويون والمغول الهنود أن قندهار تمثل بوابة العبور بين الهضبة الإيرانية والهند، بينما كانت ممرات هندوكوش تتحكم بخطوط الإمداد العسكرية القادمة من كابل وآسيا الوسطى. ولهذا ارتبط الصراع على قندهار بالسيطرة على الطرق الجبلية والتوازن الاستراتيجي في المنطقة، لأن من يسيطر على قندهار وممرات هندوكوش يستطيع التأثير في التجارة والحملة العسكرية بين إيران والهند المغولية. فاتحة بوقلقولة وفاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جهان (١٠٠٠-١٠٧٧هـ/ ١٥٩٢-١٦٦٦م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة احمد دراية ادرا، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ص ٦٧.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

ستين ألف فارس بقيادة ابنه أورنجزيب لاستعادتها، وتمكن الأمير المغولي من ان يحاصر المدينة واشتبك مع حاميتها في معارك جانبية، وبعد حصار دام ثلاثة أشهر وعشرين يوماً، تلقى أورنجزيب أمراً من والده بفك الحصار والعودة إلى أكرّا بسبب اقتراب فصل الشتاء جسد حصار قندهار الفاشل سمعة المغول كقوة عظمى في الهند، فتوجس شاه جهان أن يؤثر ذلك على حكام الأطراف فيتمردوا على الحكم المغولي، لذلك سارع بإرسال حملة ثانية إلى قندهار بلغ تعدادها حوالي خمسين ألف فارس وجهازها بالمدافع وبعض الفيلة والجمال، واسند قيادتها إلى ابنه أورنجزيب أيضاً وبرفقة قادة كبار أمثال سعد الله خان ورستم خان وحاصر الجيش المغولي المدينة في (جمادى الأولى ١٠٦٢ هـ / ٢ أيار ١٦٥٢ م)^(١).

استمر الحصار المغولي مدة شهرين وثمانية أيام من دون أن يتمكن الجيش المغولي خلالها من اقتحام المدينة، وأثبتت المدفعية الصفوية تفوقها وقوتها أمام مدفعية المغول التقليدية، فكبدت القوات المغولية خسائر كبيرة، مما اضطر السلطان المغولي إلى اتخاذ قرار برفع الحصار وإشعار ابنه بفك الحصار عن المدينة والعودة إلى أكرّا. ثم بعدها أرسل السلطان المغولي في عام (١٠٦٣ هـ / ١٦٥٣ م) حملة ثالثة إلى قندهار بقيادة ابنه داراشكو، وبالغ في تجهيزها، فقد تألفت من حوالي سبعين ألف فارس، وفرقة مدفعية مكونة من عشرة آلاف جندي، وستة آلاف لحفر الخنادق وخمسمائة جندي لقطع الحجارة، وزودها بكثير من الذخائر والأسلحة، وحاصرت تلك القوة العسكرية الضخمة المدينة، وأمل داراشكو أن تسقط خلال مدة قصيرة، وجرت مناوشات مع حاميتها، غير أن هذه الحملة، على الرغم من ضخامتها، لم تتمكن من اقتحام المدينة، وأثبتت القوات الصفوية تفوقها العسكري على القوات المغولية، فاضطر داراشكو إلى رفع الحصار عنها بعد سبعة أشهر، وعاد من حيث أتى، أدت تلك الحملات الثلاث الفاشلة ضد قندهار إلى فكرة التخلي نهائياً من استعادتها من الصفويين^(٢).

(١) احمد محمود السادتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهند وباكستانية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م، ص ٣٢٦.

(٢) فاتحة بوقلقولة وفاطمة ليشتي، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٧.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

واتبع الشاه سياسة اسلافة (الشاه عباس الكبير والشاه صفي) بحبس الامراء الصفويين داخل قصر الحريم وابعادهم عن شؤون السياسة وامور الدولة، وكان على اطلاع على احوال الناس ومشاكلهم^(١)، فكان اول شاه منذ تأسيس الدولة الصفوية يقوم بالاستماع الى شكاوي الطبقة العامة وخصص ثلاث ايام في الأسبوع لمقابلة الناس والتواصل معهم فكان هناك يوم واحد للجنود وقادة الجيش ويوم لعامة الناس اما اليوم الثالث فقد خصص لأستلام الهدايا من الملوك والسلاطين والولاة واعتاد الناس في اصفهان ان يتجمعوا على ابواب قصر الشاه لمقابلته وعرض مشكلاتهم عليه وهذا ما كان يميزه عن بقية الشاهات، واجه الشاه عباس الثاني في اوائل عهده بعض الصعوبات المتمثلة بالتمردات ومنها محاولة تمرد طهمورث خان الذي بدأ يطمح بالعودة الى حكم كرجستان في عام (١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م)، وتمكن الشاه من القضاء على التمرد واعادة الأمن والاستقرار الى المنطقة^(٢).

على الرغم من تربيته في قصر الحريم؛ الا انه حافظ على الهدوء والاستقرار في الدولة، واجهض اية محاولة انفصال عن الدولة وقطع الطريق على اية شخصية تفكر في التمرد او تحاول القيام بحركة انفصالية، وشهد عهده نوعاً من التطور والازدهار وقيام معالم^(٣) تاريخية^(٤)، وخلال عهد حكم الشاه لم نلاحظ من خلال ما كتبه المؤرخون عن اي دور سياسي للمرأة في عهده، إذ لم يسمح لأي منهن الاقتراب من شؤون الحكم والدولة، وأتبع سياسة متشددة اتجاههن، وكان لا يتسامح معهن على الإطلاق، فكان مصير كل من

(١) عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٢) محمد طاهر وحيد قزويني، عباسنامه. شرح زندگانی ٢٢ ساله شاه عباس ثاني ١٠٥٢-١٠٧٣)، راراك، تهران، ١٣٢٩هـ / ١٩١٢م، ص ٤.

(٣) يُعد جسر بل خاجو من الأبنية التاريخية المهمة في اصفهان واشتهر بـ (بل شاهي) بدأ بناؤه الشاه عباس الثاني عام (١٠٥٢هـ / ١٦٤٢م) وانتهى عام (١٠٥٤هـ / ١٦٦٦م)، بلغ طوله ١٣٢ متراً وعرضه بحدود ١٢ متراً وهو الجسر الوحيد المزين بالكاشي الملون بسبعة ألوان، محمد باقر بوراميني، صفويان نماد اقتدار ايران (عصر شاه عباس اول تا اخيرين زمام دار)، دفتر دوم، چاپخانه اعتماد، قم، ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢م، ص ٢٧٧.

(٤) حسن بيرنا وعباس اقبال اشتياني، تاريخ ايران از آغاز تا انقراض سلسله قاجارية، جلد اول، چاپ، نهمين، تهران، ١٤٢٢هـ.ق / ٢٠٠١م، ص ٦٩٨.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

تتخطى تعليماته القتل حتى لو كانت مقربة منه، واقتصر دورهن على إشباع رغباته الشخصية^(١).

وفي عام (١٠٧٦هـ / ١٦٦٥م) تعرض الشاه عباس الثاني الى مرض الم به، ونصحه الأطباء بالإستجمام في مازندران، ولكنه فضّل دامغان^(٢) شمال غربي ايران فتحرك نحوها ثم توفي بالقرب من اردبيل فيما بعد وكان ذلك في (٢٤ ربيع الاول ١٠٧٧هـ / ٢٣ ايلول ١٦٦٦م) ونُقل جثمانه إلى مدينة قم المدينة ذات الرمزية الدينية الشيعية، الأمر الذي حرصت عليه الدولة الصفوية على ربط شخصية الشاه بالمقدسات والمراكز الدينية لأجل ترسيخ الشرعية المذهبية للأسرة الحاكمة^(٣)، حول سبب وفاة الشاه عباس الثاني، يروي شاردن الذي جاء الى إيران في بداية عام ١٦٦٦م: "أن سبب مرض الشاه عباس هو اقترابه من راقصة كانت مصابة بمرض جنسي، وبعد شهور ظهرت اعراض المرض عليه فأصيب جسده بحالة غريبة من التآكل والتعفن، فتآكلت لثته وجزء من انفه وحتى بلعومه وأصبح يتنفس بصعوبة، وكان اشبه بمرض الجذام"^(٤).

(١) عدي سامي فارس المالكي، المرأة...، ص ٢٥٨.

(٢) تميّزت دامغان بوفرة مواردها الطبيعية، إذ أشارت المصادر إلى وجود معادن متعددة في نواحيها، من بينها الذهب وغيره من الفلزّات، ما أسهم في ازدهارها الاقتصادي واستقطاب السكان والتجّار والحرفيين. وهي من كبريات مدن الشمال الإيراني، ذات عمران واسع وأسواق عامرة ومرافق خدمية تخدم القوافل والمسافرين على طريق خراسان التجاري والعسكري. ومن معالمها اللافتة التي ذكرتها كتب الجغرافيا والرحلات وجود «مقسم ماء كروي» عجيب البناء، يخرج مأؤه من مغارة في الجبل، في صورة نظام مائي يدل على تقدّم الهندسة المائية المحلية وحسن استثمار الموارد الطبيعية. وقد أسهم هذا النظام في تأمين المياه للمدينة وضواحيها، مما ساعد على استقرار السكان وازدهار الزراعة في محيطها. وبفضل موقعها ومواردها، احتفظت دامغان بمكانة معتبرة في الشبكة الحضرية لإيران الإسلامية، وظل اسمها حاضراً في المصادر الجغرافية والتاريخية بوصفها مدينة ذات وزن اقتصادي وعمراني، وإن كانت قد تراجعت مكانتها نسبياً في عصور لاحقة مع تحوّل طرق التجارة وصعود مدن أخرى في الإقليم. احمد كاظم محسن البياتي ومحمد جواد عبد الكاظم، الصراع الصفوي – الازبكي ١٥٢٤-١٥٧٥، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد ٢٣، العدد ٩٩، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧، ص ٤٦٨.

(٣) عباس اقبال، المصدر السابق، ص ٦٨٢؛ محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

(٤) نقلا عن نهله نعيم عبد العالي ال بطي، إيران في عهد الشاه سلطان حسين ١٦٩٤-١٧٢٢، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٦م، ص ٢٨.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

عرف عهد الشاه عباس الثاني باستعادة مدينة قندهار من المغول واهتمامه بالعمارة والفنون، ويُعد من أقوى حكام السلالة الصفوية بعد جده الشاه عباس الكبير، فشهد عهده استقرارًا سياسيًا وتطورًا اقتصاديًا وثقافيًا ملحوظًا، واستطاع أن يستعيد قوة الدولة وهيبتها ومواجهة القوى الإقليمية المحيطة و جسد انتصاره في استعادة قندهار من المغول الهند، وهو انتصار كرس النفوذ الصفوي في الشرق وأعاد للدولة مكانتها العسكرية ولا سيما أن استقرار السلطة كان يجسد عنصرًا أساسيًا في ترسيخ شرعية الحكم الصفوي داخليًا وخارجيًا كما عمل بتقوية الإدارة المركزية وفرض الاستقرار الداخلي، مما ساعد على انتعاش التجارة وازدهار الأسواق وشهدت أصفهان خلال عهده تطورًا عمرانيًا وثقافيًا واضحًا، انتعشت ديمومة المدينة مركزًا حضاريًا مهمًا في العالم الإسلامي، وارتبط عصره بازدهار الفنون والعمارة الصفوية، لاسيما القصور والحدائق الملكية مثل قصر چهل ستون، بالرغم من بعض التحديات الداخلية والخارجية والاهتمام ببناء المساجد بما يعكس توظيف العمارة الدينية في دعم الشرعية المذهبية للدولة ومن خلال هذه المشاريع سعت الدولة الصفوية إلى الدمج بين السلطة السياسية والرمزية الدينية، بما يرسخ صورة الشاه بوصفه راعيًا للدين والعمران معًا وشهد عهد الشاه عباس الثاني بروز عدد من العلماء الذين أسهموا في ترسيخ الأساس العقائدي للدولة الصفوية، ومن أبرزهم الملا محمد تقي المجلسي^(١)، والملا فيض الكاشاني^(٢)، وآغا حسين الخوانساري، والملا خليل القزويني،

(١) يُعدّ الملا محمد تقي المجلسي من أبرز علماء الشيعة في العهد الصفوي، وقد عُرف بتشدده في الدفاع عن المذهب الشيعي الإمامي، وقد ارتبط نشاطه العلمي بصعود المؤسسة الدينية الشيعية في الدولة الصفوية، إذ أسهم العلماء في تلك المرحلة في تعزيز الأساس المذهبي الذي استندت إليه شرعية الحكم الصفوي، التي دعمت انتشار التشيع الإمامي ورسخت الحضور الديني للمؤسسة الصفوية داخل المجتمع الإيراني. عباس اقبال ، المصدر السابق، ص ٦٨١.

(٢) يُعدّ فيض الكاشاني من أبرز فقهاء ومفكري العصر الصفوي، وقد أسهم بدور مهم في ترسيخ البنية الفكرية والمذهبية للدولة الصفوية من خلال مؤلفاته الكثيرة في الفقه والحديث والتفسير والحكمة. ومن أشهر آثاره العربية: أصول المعارف، والكلمات المكنونة في الحكمة والتفسير، والصابي، والوافي في الحديث والتفسير، وهي مؤلفات عكست توجه الدولة الصفوية نحو تعزيز الهوية الشيعية الإمامية وإسناد شرعية الحكم بالمرجعية الدينية والعلمية، بما يشير إلى اهتمامه بتوجيه الحياة الدينية والاجتماعية للعامة ضمن الإطار المذهبي الرسمي



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وقد كان هؤلاء العلماء المرتكز الرئيس في ترسيخ الهوية الشيعية للدولة، إذ دعت الدولة نشاطهم العلمي والفقهي لأجل تكريس الانتماء المذهبي وربط شرعية الحكم الصفوي بالدفاع عن التشيع الإمامي، وهكذا أضحت المؤسسة الدينية شريكاً أساسياً للسلطة السياسية في تكريس استقرار الدولة الصفوية واستمرارها^(١)، إذ لم تكن المنشآت العمرانية التي أقامها مجرد مشاريع خدمية، بل أدوات سياسية ورمزية لترسيخ سلطة الدولة الصفوية وإبراز قدرتها على الرعاية والتنظيم الذي كان تعبيراً عن رمزية الهيئة للسلطة المركزية، تمكن الشاه عباس الثاني من الحفاظ على توازن الدولة الصفوية، لذلك يُنظر إلى عهده بوصفه من مراحل الاستقرار والقوة للدولة قبل بداية التراجع الصفوي في العقود اللاحقة^(٢).

ثالثاً : تنصيب الشاه صفى الثاني (سليمان) (١٠٧٧-١١٠٥ هـ / ١٦٦٦-١٦٩٤ م) ودور آغا مبارك وسطوة حاشية القصر .

بالرغم من، الحالة الصحية التي لازمت الشاه عباس الثاني مدة ليست بالقصيرة؛ إلا أنه لم يفكر بولاية العهد ومصير تداول العرش من بعده، ولم يكن أحد يعلم من رجال البلاط إن كان للشاه اولاد يخلفونه؛ أم لا، فلم يعطي اهتماماً لهذه لمسألة وراثته العرش من بعده، ولعل ذلك سببه عدم إدراك أهمية هذه المسألة وضرورتها، كان مجتمع حريم الشاه بيئة مغلقة شديدة السرية داخل البلاط الصفوي، لا تخرج منه أخبار إلا القليل لا سيما من الخدم والخصيان، وتُفرض عليه رقابة مشددة تمنع تسرب ما يحدث في داخله؛ لذلك فإن ما كان يبيت إلى الخارج من أخبار لا يعدو أن يكون عرضياً أو وليد مصادفات نادرة وشائيات، وغالباً ما يكون عبر قنوات تواصل غير رسمية ببعض الافراد أو وشائيات متأخرة. وقد منحت تلك سرية الحريم قدرة على التحكم في العمل بوصفها مركز تأثير خفي في التوازنات السياسية، حيث تُدار شبكات الولاء والوساطة بعيداً عن مرأى كبار رجال الدولة، ما جعل تلك القرارات والاصطفافات والتحالفات داخل البلاط تتشكل أحياناً في اجواء غير

الدولة. وقد توفي سنة (١٠٩١ هـ)، بعد أن ترك أثراً واضحاً في الحياة العلمية والفكرية للعهد الصفوي. المصدر نفسه، ص ٦٨٢.

(١) المصدر نفسه، ص ٦٨٣.

(٢) وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، المصدر السابق، ص ١٥٠-١٨٠.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

مرئية، يصعب على المؤرخين تتبعها الا ان تبين لدى الشاه عباس الثاني ولدين الأكبر صفي ميرزا وهو يبلغ من العمر عشرين عاما وهو من ام جركسية تدعى (نكيهات خانم)، وكان قد حبس في قصر الحريم بأمر من والده، والثاني حمزة ميرزا من ام كرجية هي (نور النسا خانم)^(١)، وكان يبلغ من العمر سبعة أعوام، وكان الاقرب لقلب أبيه، ولأجل حسم مسألة وراثة العرش ومن سيكون شاهاً جديداً وبغية عدم احلال الفوضى عقب وفاة الشاه، فقد تم اخفاء خبر وفاة الشاه من لدن الحاشية وكبار رجال الدولة، إلى أن اجتمعوا في دامغان برئاسة الصدر الاعظم ميرزا محمد مهدي هو آخر صدر أعظم في عهد الشاه عباس الثاني، الذي تولّى منصب الصدارة العظمى في (١٠٦٣هـ / ١٦٥٣م). وكان يشغل قبل تقلده هذا المنصب وظيفة «صدر الممالك»، وهي من المناصب الدينية-الإدارية العليا المهمة في الدولة الصفوية، ما يثبت على انخراطه المبكر في ادارة الدولة واكتسابه خبرة في إدارة شؤون الأوقاف والمؤسسات الدينية والادارية المرتبطة بالسلطة المركزية. ومع وفاة الشاه عباس الثاني واعتلاء الشاه سليمان العرش، ظل محمد مهدي في منصبه خلال السنوات الأولى من حكم الشاه الجديد، غير أنّ تأثيره السياسي ظل محدوداً، إذ رافقة فترة صدارته مع اضطرابات داخلية وأزمات مالية حادة، واتّسمت الإدارة العامة للدولة بحالة من الترهل والضعف^(٢).

تمخض عن ذلك الاجتماع مناقشة مصير وراثة العرش فكان الاختيار العام يوحى باختيار حمزة ميرزا لأجل استغلال نفوذ الوصاية لصغر سنه وقرب هؤلاء منه، وخشية من صفي الذي كان حبيب القصر مع الحريم، الذي قد يصبح اسير امتعاضة من تلك المعاملة ويصب غضبه على الذين شاطروا امر حبسه فضلا عن العرق فأن ام صفي شركسية^(٣) لا سيّما بعدما اشيع خبر مفاده أن صفي ميرزا قد سملت عيناه بأمر من والده، او ربما تعرض الى

(١) عدي سامي فارس المالكي، المرأة الايرانية...، ص ٢٥٩.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، الشيخ علي خان زنكنه واصلاحياته في ايران ١٦٦٩-١٦٨٩م، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٩، ص ٢٤.

(٣) عبد الحسين الحسيني الخاتون آبادي، وقايح السنين والأعوام (كزار شهای سالیانه از ابتدای خلقت تا سال ١١٩٥ هجری)، انتشارات کتابفروشی اسلامیه، تهران، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٤م، ص ٥٢٨.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

عملية تصفية واغتيال، وذلك لأن كبار رجال الدولة والحاشية لم يروا صفى ميرزا طوال مدة حكم ابيه الشاه عباس الثاني، وفي الاطار نفسه لم يوفق ذلك الاختيار الذي كان يؤيد حمزه ميرزا لظهور معارضة من لدن كبير الخواجات آغا مبارك، على الرغم من أنه المسؤول المباشر عن تربية الامير حمزة ميرزا والمستفيد الاول في حال تولي الاخير عرش الدولة، إلا أنه عرض تتويجه شاهاً للدولة الصفوية، لكون الأبن الأكبر(صفى ميرزا) أحق بالعرش من حمزه ميرزا، فهدد بقتل حمزة ميرزا اذا لم يتم تتويج صفى ميرزا، اذ أعلن ان الامير صفى ميرزا يتمتع بصحة جيدة، وهو سليم من العاهات، كما هددهم بانهم قد يرتكبوا خطأ باختيارهم الاخ الاصغر لصفى، لأنه ذلك سيؤدي الى صراع بين الاخوة حول العرش الصفوي، إذ خطب بهم خطبة بليغة وأهم ماجاء بالخطبة: "اعتقد جازماً ان القرار الذي اتخذه معظم السادة النبلاء كان حسيلة دافع مباحة لا حسيلة تفكير ملي ناضج، ولو انكم فكرتم ملياً لما استطعتم ان تقترفوا عملاً معرضاً جداً للعدالة وسنة نبينا، كهذا الذي عزمتم عليه، ولكنكم لم تصغوا حتى الآن الا لاسباب خادعه، فلماذا أخفي الدافع الحقيقي؟ أو ليس هو الاستحواذ على حكومة هذه المملكة، هذا هو سر رغبتكم في رفع طفل إلى العرش تقولون: إن اخاه الأكبر ربما هو ميت. أو ضرير على كل حال؟ كلا.. انه حي يبصر.. أو لا تدركون أنكم ستلقون المملكة في دوامة من الفوضى؟ وهل تتوقعون إن اعتبارات العدالة والقانون لدى أشرف فارس الآخرين على درجة من الضعف كما هو الحال معكم؟ وهل الشعب عموماً يقبل مشاطرتكم هذه الجريمة الكبرى التي تقترفونها.. الكل سيشمئز منكم، وحمزة نفسه سيعدكم ذات يوم اناساً لم تنصبوه الا لخدمة اغراض طموحاتكم الخاصة، ومما يعزز ذلك انكم كنتم افاكون على ربكم ونبىكم ومليككم" وتوقف لحظة، ثم اشتد هياجه وصرخ فيهم: حمزة ميرزا؟ هل يرغب السادة العظام لهذه الامبراطورية ان اخنق ذاك الأمير البريء بهاتين اليدين اللتين ريتاه؟ إن الأمر متروك لكم، أو تريدون إن أتيكم بجثته في اجتماعكم هذا؟ أننى أمتلك القوة لاقتراف هذا العمل المرعب، ويبدو إنها الوسيلة الوحيدة التي يمكنني بها إن أجبركم على الأخذ بالانصاف،



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وعندها ستضطرون عنوة إلى حمل التاج لمن يخصه، ولكم إن تقدروا ما سيحل بكم عندما يعلم بفعالكم الفظيعة هذه"^(١).

ومن ثم انسحب من الاجتماع، فلم يكن بمقدور كبار رجال الدولة الا الموافقة على رأيه باعتقادهم بان اقتراح آغا مبارك^(٢) برفع صفي ميرزا للعرش تأكيداً على حرصه على مصلحة الدولة^(٣)، فكان اكثر الخواجات تأثيراً في شخصية الشاه سليمان، آغا مبارك وآغا كافور، فالأول كان له دور كبير في ترشيح الشاه سليمان، اما آغا كافور كان المسؤول عن

(١) نقلا عن: علي الغنام، المصدر السابق ص ١٢.

(٢) الجدير بالذكر ان الدور السياسي الذي مارسه آغا مبارك في الدولة الصفوية، يشبه الدور السياسي الذي قام به بشير آغا في الدولة العثمانية، فكان نموذجاً بارزاً لتحوّل الخصيان في دار السعادة من مجرد خادم للحرم السلطاني العثماني إلى فاعل سياسي مؤثر في بنية الحكم العثماني. فقد أتاح له موقعه القريب من مركز القرار داخل القصر الوصول إلى دوائر النفوذ المرتبطة بالسلطان وحاشيته، الأمر الذي مكّنه من أداء دور الوسيط بين السلطان من جهة، وكبار رجال الدولة من جهة أخرى. ومن خلال إشرافه على شبكات الخدم والموارد المالية الخاصة بالحرم، فامتلك أدوات ضغط سياسية غير مباشرة، تمثلت في التأثير على مسارات التعيين والعزل داخل البلاط العثماني، وفي ترجيح كفة بعض الشخصيات على حساب أخرى تبعاً لمعادلات الولاء والتحالف، كما أسهمت طبيعة منصبه في جعله جزءاً من آليات صناعة القرار داخل القصر، لا سيما في القضايا التي تتصل بتوازن القوى بين الحاشية السلطانية والبيروقراطية المركزية. وقد أضفى قربه من السلطان أحمد الثالث على نفوذه بعداً سياسياً واضحاً، إذ كان الخصيان الكبار في هذه المرحلة قناة أساسية لتداول الأخبار والمعلومات داخل القصر، وممرّاً غير معّلن لعرض المطالب والوساطات. وعلى هذا الأساس، لم يكن نفوذ بشير آغا قائماً على سلطة رسمية محدّدة بقدر ما كان نتاجاً لموقعه داخل شبكة العلاقات السلطانية، وهو ما يفسّر هشاشة مكانته وتقلبها تبعاً لتحوّلات ميزان القوى في البلاط العثماني، ويكشف مسار بشير آغا أن الدور السياسي للخصيان في الدولة العثمانية لم يكن دوراً مؤسسياً ثابتاً، بل نفوذاً شخصياً يتغذى من القرب المكاني والوظيفي من السلطان والحرم، ومن القدرة على إدارة شبكات الولاء داخل القصر. وبذلك أسهم بشير آغا في تكريس نمط من "السلطة غير الرسمية" داخل الدولة العثمانية، حيث تتقاطع السلطة السياسية مع فضاء الحرم السلطاني بوصفه مجالاً خفياً لصناعة القرار والتأثير فيه. يراجع للمزيد: محمد شكر محمود سعدالله، عبيد البلاط وأثرهم في الدولة العثمانية (١٥٢٠م-١٨٠٨م)، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، ٢٠٢٢م، ص ٧٨-٩٠.

(٣) علي غفوري، تاريخ جنكهای ایران از ماها تا به امروز، انتشارات اطلاعات، تهران، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٣٥٣.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

خزانة الشاه فقد كان من كبار الخواجات، واكثرهم نفوذاً وتأثيراً، وكان بمثابة نائب الشاه، ويهابه الجميع في العاصمة وكلامه مقدم على كلام الوزراء^(١).

في تلك التطورات انتهى الصراع حول اختيار الشاه الجديد لصالح صفى ميرزا، وبعد انتهاء اجتماع دامغان اقترح الصدر الاعظم ميرزا محمد مهدي بضرورة إرسال مبعوثين الى اصفهان لإحضار صفى ميرزا من مقر اقامته في قصر الحريم، فذهب التفكجي باشي^(٢) بوداق سلطان وكان رجلاً صالحاً ومعروفاً بصفاته الحميدة وذكائه في مثل تلك المهام. وبعدما وصل التفكجي باشي الى قصر الحريم حتى التقى بأغا ناظر المسؤول عن تربية صفى ميرزا، وحينما سمعت والدته نكهات خانم ساورها شعور الهاجس المقلق وخافت على مصير ابنها صفى ميرزا، وظنّت في بادئ الأمر ان زوجها بعثهم لقتله، لأنه قد بلغ السن المؤهل لتولي العرش، لا سيّما انها شهدت حوادث اغتيالات جرت في البلاط ورأت مصير الأمراء الذين سبقوه بعينها، فلم تكن تستبعد ان يسلك الشاه عباس الثاني سير جده وأبيه في اغتيال امراء العائلة الصفوية، لكن التفكجي باشي وآغا ناظر أكدا لها بأنهم جاءوا لتتويج ابنها شاهاً للدولة الصفوية، وأعلموها بوفاة الشاه عباس الثاني الذي هجرها منذ سنتين، فهددت التفكجي باشي وآغا ناظر بأنه لو تعرض ابنها لأي مكروه فأنها سوف تقتلهم^(٣).

كان صفى ميرزا قد قضى معظم سني حياته محتجزاً داخل القصور مع النساء والخواجات، فتركت هذه الحياة أثرها على شخصيته، فاكسب الكثير من صفات النساء، فقد كان يرتدي

(١) يارا: كلبرت كمپفر، سفرنامه كمپفر، ترجمة: كيكاووس جهاندارى، چاپ دوم، خوارزمي است، تهران، ١٣٦٠ هـ ش/ ١٩٤١ م، ص ٢٢٩.

(٢) التفكجي: فرق مشاة نظامية مسلحة بالبنادق في الدولة الصفوية، ارتبط تنظيمها مباشرة بالبلاط في عهد الشاه عباس الثاني، ودُمجت مع غلمان السلطنة لتعزيز الولاء المركزي والحدّ من نفوذ الحكّام المحليين؛ وكان يتولى شؤونها الإدارية وزير التفكجية من حيث تسجيل المراتب والرواتب وضبط سجلات الخدمة، كما نُشرت في الولايات زمن السلم بوصفها أداة سياسية لمراقبة الأقاليم وترسيخ هيبة الشاه. يراجع للمزيد: اياد عبد الرحمن شيحان الركابي، المصدر السابق، ص ١٨٠.

(٣) عباس رمضاني، چنگهای تاریخ ایران در عصر صفویان، انتشارات کتاب تارا، تهران، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ م، ص ٢١٤.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الملابس الفاخرة والحلي والزينة كالنساء وملابسه من الأقمشة ذات الحرير الفاخر، وعندما جاء التفكجي باشي^(١) ليخبرهم بوفاة والده الشاه، اشتط غضباً عندما وجده على هذا الحالة وبهذه الملابس، وكانت قد جرت مراسيم تتويج صفي ميرزا بحضور الأمراء والخوارجات فأطلق على نفسه صفي الثاني في الأول من ربيع الآخرة ١٠٧٧هـ/ ٣ تشرين الأول ١٦٦٦م^(٢). وكان لحدائثة عهد الشاه سليمان بالحكم، وسيطرة بعض رجال البلاط وكبار القادة على صنع القرار السياسي، الاثر الكبير في تقويض قدرة الصدر الأعظم على توجيه دفة الدولة أو تنفيذ إصلاحات إدارية ومالية جذرية وفي ظل تزايد المشكلات الاقتصادية وتدهور الأوضاع المالية، وما رافق ذلك من تراجع في أداء الجهاز الإداري؛ وُجّهت الانتقادات إلى محمد مهدي بوصفه رأس السلطة التنفيذية في الدولة، فتم عزله من منصبه، وتعيين الشيخ علي خان زنكنة صدرًا أعظم بدلاً منه، وهو ما يدل على تحوُّلات في توازن القوى السياسية داخل البلاط الصفوي وصعود نخبة إدارية-عسكرية جديدة سعت إلى إعادة ضبط شؤون الدولة^(٣).

(١) هو أحد أفراد سلاح المشاة المسلّحين بالبنادق في الدولة، وقد شكّل هذا الصنف العسكري جزءاً مهماً من التنظيم الحربي الصفوي. ولفظ "تفكجي" مشتق من كلمة "تفك" (البندقية)، أي حامل السلاح الناري، وقد ظهر هذا التشكيل متأثراً بالتطورات العسكرية في العالم الإسلامي، لا سيما في الدولة العثمانية التي عُرفت بقوات الإنكشارية في الدولة العثمانية. برز دور التفكجية بوضوح في عهد الشاه عباس الأول، الذي عمل على إعادة تنظيم الجيش وتقليص نفوذ القبائل القزلباش، فاعتمد على عناصر جديدة أكثر ارتباطاً بالسلطة المركزية، ومن بينهم التفكجية والغلمان. وكان التفكجية يُختارون غالباً من الأهالي وسكان القرى والأرياف، مما جعلهم أقل ارتباطاً بالبنى القبلية وأكثر خضوعاً للسلطة المباشرة للشاه. كان لهم إدارياً، وزير خاص يُسمّى "وزير التفكجية"، يتولى تسجيل أسمائهم ورتبهم لدى الديوان الأعلى، وتثبيت التعيينات والرواتب والمخصصات، وتنظيم سجلاتهم. ويُعرفون أحياناً بأسماء المدن التي يُرسلون إليها، ليكونوا تحت إمرة الحكام المحليين، مع بقائهم تابعين للسلطة المركزية. وقد أسهم هذا الانتشار في تعزيز هيبة الشاه والحدّ من احتمالات تمرّد الولاة، إذ شكّلوا أداة عسكرية مركزية لضبط الأطراف وربطها بالعاصمة. وبذلك مثّل التفكجية أحد أعمدة الإصلاح العسكري الصفوي، وجسّدوا تحوّل الدولة من الاعتماد على العصبية القبلية إلى بناء جهاز عسكري نظامي أكثر انضباطاً وارتباطاً بالمركز. اياد عبد الرحمن شيحان الركابي، المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢) فخر الدين الموسوي، تاريخ علوي در عصر ال بويه و صفوي، چاپخانه اسوة، بی چاپ، ١٣٨٦هـ ش/ ١٩٦٦م، ص ١٢٩.

(٣) عدي سامي فارس المالكي، الشيخ علي خان...، ص ٢٤.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

قدّر لصفي الثاني حينما اعتلى العرش، ان يصاب بمرض استمر معه طيلة العامين اللتان حكم بهما، فضلاً عن الأزمات التي احاطت بالدولة الصفوية، ففي أوائل عهده انتشرت المجاعة في كافة انحاء البلاد، واضحت البلاد في حالة من التدهور، فارتفعت أسعار القمح في اصفهان الى اضعاف ثمنها السابق، ما ادى الى ضجر السكان بسبب غلاء أسعار المواد، فضلاً عن نزوح البعض منهم الى خارج اصفهان، إلى جانب الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها شماخي وشيروان، بعد ان ضربها زلزال قوي أدى إلى انهيار الكثير من المنازل، ووقوع وفيات قاربت الثلاثين شخصاً وانتشر مرض الطاعون في بعض المدن^(١).

وهكذا فقد شهد تتويجه الكثير من المصائب والحوادث، وهو الامر الذي فسره المنجمون أن تتويجه تم في ساعة نحس، ولكي تنتهي هذه المصائب وصور النحس؛ ينبغي اعادة تتويجه، لذلك انشغل الفلكيون(التنجيم)، بذلك العمل المهم، فصعد الفلكيون إلى سطوح القصر لقياس المسافات بين النجوم باستخدام أدواتهم وحساب تأثيرها المحتمل، إذ يصر العلماء الإيرانيين في مثل تلك الحالات على أنه فضلاً عن النجوم السبع الثابتة، هناك أيضاً ثمان نجوم غير ثابتة، ولا تحمل تلك النجوم فאלأ حسناً للبشرية، فتناظرها يجلب النحس والمصائب [على حد زعمهم]. ويحتاج كل مدار من مداراتها غالباً يوماً واحداً، بينما تحتاج مدارات بعضها وقتاً أطول بكثير. وفي هذه الظروف تكتشف احتمالات مختلفة تماماً لمواقع النجوم بالنسبة لبعضها البعض، وبعد إجراء الحسابات الفلكية وتحديد الساعة المناسبة وفقاً للأبراج، حينذاك عاد المنجمون إلى القاعة الملكية معلنين الموعد المحدد لمراسيم التتويج^(٢).

لكن مرض الشاه كان خطيراً، حتى أضحت حالته تسوء يوماً بعد يوم، وبدلاً من التحقق العلمي والطبي في اسباب المرض ومن ثم ايجاد علاجاً بالطرق الطبية والعلمية؛ شاعت وتحكمت الحكايات والقصص المرتكزة على الأوهام والخرافات، التي كان يتداولها

(١) رضا قلي خان هدايت، تاريخ روضة الصفا ناصري، تصحيح جمشيد كيان فر، جلد هشتم، انتشارات اساطير، تهران، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، ص ٦٩٢٨.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، اثر المعتقدات.....، ص ٥٨٤.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

المنجمون، وهو ما ذكره الرحالة سانسون (Sansoon)^(١) أنه بحسب ما سمعه فإن الشاه عانى من السحر اليهودي الذي سبّب ضعفه ومرضه، وجاء أيضاً في رواية الرحالة كرونيسكي أنه خلال مدة الحكم رأى الشاه حلمًا مأساوياً وأصبح خائفاً وقلقا لذلك عانى بعد مدة من الحكم من المرض وكان امتناعه عن تناول الطعام علامة على تدهور صحته، وكان الحكيم عاجزا عن علاجه^(٢). بعد ان استخدم كل حكمته ومهاراته في علاجه، لذلك ظل قلقاً على حياته بسبب ارتباطها بحياة الشاه كما هو السياق السائد، فإذا ما مات الشاه بسبب هذا المرض؛ فسيفقتلون الحكيم لقلة مهارته في ايجاد العلاج، أو على الأقل تتم مصادرة جميع ما يملك، وعندما أصبح الحكيم عاجزا ويائسا من علاج الشاه، فكر في طريقة ما للخلاص من المسؤولية، فألقى باللوم على الفلكي باشي وقال: "إن الفلكي باشي هو الجاني الحقيقي لعدم اختيار ساعة السعد للتتويج"^(٣).

(١) يُعرف الرحالة سانسون (Sanson) بأنه رجل دين ومبشر فرنسي زار إيران في أواخر العصر الصفوي، وتحديداً في عهد الشاه سليمان الصفوي الذي كان يُلقب بـ الشاه صفي الثاني في بداية حكمه. وكان هو الأب سانسون ينتمي إلى سلك الكهنوت الكاثوليكي (يرتبط أحياناً ببعثات التبشير الفرنسية). وقد وصل إلى إيران عام ١٦٨٣م ومكث فيها عدة سنوات، وعاصر المدة التي شهدت تحول لقب الملك من "صفي الثاني" إلى "سليمان". ألف سانسون كتاباً قيماً بعنوان: "Status praesens Imperii Persici" أو "الوضع الراهن للإمبراطورية الفارسية"، نُشر في باريس عام ١٦٩٥م. ويُعد هذا الكتاب من أهم المصادر الغربية التي وصفت الدولة الصفوية في مرحلة تراجعها. اشتهر سانسون بدقته في وصف جوانب لم يركز عليها الرحالة الآخرون، ومنها: البيروقراطية الإدارية: قدم تفاصيل دقيقة حول هيكلية الحكومة الصفوية، والوظائف الرسمية، وكيفية إدارة الدواوين. والحياة في البلاط التي وصف بدقة التشريفات الملكية في أصفهان، وطقوس الاستقبالات، والحياة اليومية داخل القصر. إضافة إلى الجيش والاقتصاد، إذ دوّن ملاحظات حول القوة العسكرية الإيرانية في ذلك الوقت والعملات المتداولة والتجارة. وعلى عكس الرحالة "شاردن" الذي ركز على الجوانب الثقافية والاجتماعية الواسعة، تميزت مذكرات سانسون بأنها كانت "تقريرية" ومركزة على نظام الحكم والإدارة، مما جعلها مرجعاً أساسياً للمؤرخين لفهم كيف كانت تُدار الدولة الصفوية من الداخل في عهد الشاه صفي الثاني (سليمان). مقدمة كتاب: تذكرة الملوك، چاپ عكسی با ترجمه انگلیسی توسط ولادیمیر مینورسکی، لندن، ١٩٤٣، ص ٥؛ "تذكرة الملوك"، چاپ حروفی، بکوشش: محمد دبیر سیاقی، تهران، ١٣٣٢، ص ٦.

(٢) نقلا عن: عدي سامي فارس المالكي، أثر المعتقدات...، ص ٥٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٨٥.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

اكتسب هذا الوهم شهرة وقوة لدرجة أن جميع الحاشية والنبلاء اعتقدوا به، وعندما رأى المنجمون أن صحة الملك في خطر، أخبروا المقربين أن حياة الشاه ستنتهي بعد ست سنوات من التتويج، وستكون بقية حياته مملة، لذلك عقد اجتماع في القصر الملكي لمناقشة إعادة التتويج في وقت مناسب يحدده المنجمون، وتوصلوا في ذلك الاجتماع أيضا إلى أن اسم صفي ليس لم يكن مناسباً للشاه والدولة، ويجب تغييره، ولأجل إيجاد حل لتلك المسألة كلف المنجمين ميرزا باقر ومحمد صالح بإبلاغ جميع المسؤولين الحكوميين ورؤساء الدولة، تجديد مراسم التتويج وتغيير الاسم، وبعد أن درس المنجمون في البلاط لمدة طويلة نسبياً حركة النجوم، وترابطها وفصلها، ودوران القمر والشمس؛ تقرر بناء على أقوالهم أنه عند إجراء هذا الاحتفال، ستنتقل الشمس إلى كوكب برج الحمل، وذلك الوقت كان يعادل الساعة التاسعة صباحاً من يوم السبت في شهر النوروز^(١) المصادف يوم ١٩ شوال ١٠٧٩ هـ/ ٢١ آذار ١٦٦٨ م، ليعرف الشاه بعد ذلك بالشاه سليمان، كما يجب مسح اسم الشاه صفي من أي مكان لأنه اسم مشؤوم ولا يبشر بالخير للشاه، وفعلاً فقد أعيدت مراسيم تتويج الشاه من جديد في العاصمة اصفهان، في قصر جهل ستون^(٢) وكانت في الساعة التاسعة صباحاً يوم السبت من شهر النوروز المصادف (١٩ شوال ١٠٧٩ هـ/ ٢١ آذار ١٦٦٨ م)، بعدما كانت مراسيم تتويجه قد أجريت سابقاً في مازندران في محل إقامة الشاه، وقام بتغيير اسمه من الشاه صفي الثاني إلى الشاه سليمان، فشاء القدر أن تتعافى صحته، وتنتهي الأزمة الاقتصادية وتعود الحياة إلى طبيعتها في الدولة، فبدأت إعادة التتويج في البداية جزءاً من الخرافات، إلا أن النجاح تحقق في نهاية الأمر، وكانت النتيجة مناسبة، لذلك اعتمد الشاه

(١) هو أول أيام السنة الشمسية الإيرانية، وأول يوم من شهر فرودين، وبداية فصل الربيع، ويوافق عادةً يوم ٢١ آذار/ مارس من كل سنة ميلادية. ويُعدّ عيداً وطنياً للإيرانيين، بل هو العيد الأهم لديهم، إذ يجمع بين الطابع القومي والاجتماعي. ويتكوّن من عيدين: عام وخاص، يمتدّ كلّ منهما ستة أيام. علي الغنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) سليمان الاول (صفى الثاني) ١٦٦٦-١٦٩٤، ص ١٣.

(٢) جهل ستون: تعني الأربعين عموداً، ويعد هذا القصر من العجائب في اصفهان، وتم بناءه في عام ١٦٤٨ م، وأطلق عليه شمس العالم. وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، مدينة اصفهان في العهد الصفوي. دراسة في اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ١٥٩٨-١٧٢٢، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩، ص ٧٣.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

سليمان بعد تلك الحادثة على المنجمين بصورة كبيرة، فكان لا يخرج من القصر؛ الا ومعه بعضاً منهم كي يقوموا بتحذيره بأية لحظة من الاخطار غير المرئية التي تأتي بسبب حركة الكواكب، وعلى الرغم من أنه ورث دولة مستقرة اقتصادياً وسياسياً نسبياً في بداية عهده؛ إلا أن عهده شهد تدهوراً اقتصادياً وامنياً واضحاً للعيان، فتعرضت شواطئ بحر قزوين لهجمات القوزاق خلال عهده^(١)، وبدأوا بحملة قتل ونهب السكان وممتلكاتهم سنة ١٦٦٧م، فقرر الشاه سليمان إرسال سفينة حربية لقمعهم، لكنه أجل إرسالها مدة شهر^(٢).

وحسب شاردان فإن سبب ذلك التأخير وقوع حادثة مشؤومة ومروعة في تلك المناطق. موضحاً أن مجموعة من القوزاق تراوح عددهم بين ألف ومائتان شخص دخلت إيران، ولأن الجنود المنتشرين هناك لم يكونوا مستعدين للقتال؛ فنهب الغزاة مدن كبيرة خلال يومين أو ثلاثة أيام، وكانت عدة سفن في بحر قزوين مجهزة وجاهزة للتعامل مع الغزاة المهاجمين الذين ساروا إلى شواطئ البحر وقاموا بأعمال النهب والسلب. الا ان المنجمين قالوا إن القمر في برج العقرب ولا يمكن التحرك، وعلى السفن ان لاتبرح مكانها، على الرغم من استغاثة السكان الذين عانوا من تعذيب القوزاق وابتزازهم؛ الا ان المسؤولين الصفويين لم ينجدوهم واخبروهم أن القمر في برج العقرب، وطلبوا منهم ان يصبروا حتى يختفي النحس. بل أمرهم الشاه بالتخلي عن أي عمل خطير في مثل تلك المواقف. كما يضيف شاردن إن من الأسباب المهمة لانهايار أساس تنظيم الجنود الإيرانيين؛ الإيمان العميق والمتجذر لدى رجال البلاط الملكي بخرافات التنجيم وأوهامه، وأن المنجمين والفلكيين لا يهمهم إلا راحتهم وحصولهم على الكثير من الثروة، لذلك كانوا يعارضون خطوات الحكومة والشعب في مواجهة هجمات الأعداء، كما يقوم الخصيان وسكان الحرملك بتكريس هذه الفكرة الكارثية، ونشرها بين رجال البلاط، على أساس أنهم يخشون

(١) القوزاق: مجموعة من القبائل الروسية تسكن المناطق المحاذية لسواحل بحر قزوين قامت بعدة غارات واعمال تخريبية سنة ١٦٦٧م على سواحل بحر قزوين في المناطق التابعة للدولة الصفوية عن طريق استراخان وبتحريض من الروس، فاستولوا على مدينة اياتسكي، وفي سنة ١٦٦٨م اجتاحت السواحل الإيرانية من دربند إلى باكو. عدي سامي المالكي، الشيخ علي...، ص ٨٧.

(٢) عدي سامي فارس المالكي، أثر المعتقدات الغيبية...، ص ٥٩٠.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

أن يحدث خلال أية حرب حدث مؤسف للشاه، الامر الذي سيحرمهم من رغد العيش الذي يتمتعون به والثروة خلال الباقي من حياتهم^(١).

لقد تمتعت حاشية البلاط الصفوي في عهده بحالة من الإسراف والبذخ، فانصرفوا عن شؤون الدولة إلى ملذاتهم ومعاشرة النساء وادمان الخمر والرحلات التي كان يقوموا بها، والتي على أثرها صرفت الكثير من الأموال، ففي إحدى هذه الرحلات خرج الشاه بمجموعة كبيرة من الحريم والغلمان مدة شهر عام (١٠٩٤هـ / ١٦٨٣م) فصرف خلالها ما يقارب مائتي الف تومان^(٢)، على الرغم من أحوال البلاد الاقتصادية المتدهورة، فلم يكثر بما تمر به البلاد من تحديات وصعوبات وكوارث طبيعية منها قلة المحاصيل الزراعية وارتفاع الاسعار والجوع والامراض كالطاعون الذي بدأ بالظهور سنة (١٠٨١هـ / ١٦٧٠م) فأخذ بالانتشار في مناطق مختلفة من إيران وأدى إلى موت آلاف الأشخاص، فضلا عن الزلازل التي ضربت إيران خلال سنة (١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م)، والتي أدت إلى موت الآلاف، ومن ثم عودة مرض الطاعون للظهور مرة أخرى سنة (١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) في مدينة شیراز، كما أضحت علاقة الشاه سليمان بالنساء قوية بتدخلهم بشؤون الحكم، فقد سمح لهم بالتدخل حتى في صنع قراراته المصيرية وتحقيق مطالبهم أيا كانت^(٣).

كان الشاه سليمان قد طبق نظام عمل القرق اوائل السنة الاولى من عهده، وهو نظام اتبع في عهده ففي أثناء خروج موكبه مع نسائه من القصر؛ يمنع جميع الصبيان والرجال من الخروج في العاصمة واخلاء الشوارع، وفي احد مواكب الشاه، تسببت الألعاب النارية التي كان يطلقها موكبه لتسلية نسائه في خارج اصفهان بأحراق عدد من مخازن الحنطة في

(١) نقلا عن: المصدر نفسه، ص ٥٩٠.

(٢) التومان: العملة الرسمية التاريخية في إيران حتى العام ١٩٣٢م، ويقسم إلى ١٠,٠٠٠ دينار، وأصل الكلمة تركي ويعني تومين أي ١٠,٠٠٠، وهو يساوي عشرة الاف من الفضة الخالصة، وفي عام ١٩٣٢م استبدل التومان بالريال على أساس صرف ١٠ ريال لكل تومان. طالب محبيس حسن الوائلي، الصفويون....، ص ١٥٦-١٥٧.

(٣) احمد خليل الله مقدم، تاريخ مسند ايران وجهان از عهد سومر تا عصر بهلوي، جاب لاله آميد، زر جمالي بور، تهران، ١٣٨٠ / ١٩٦٠م، ص ٥٣٤.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

وقت كان الناس يعانون من القحط والغلاء وارتفاع سعر الخبز^(١). وهذا معناه هيمنة الحريم على شخصيته، كما أن العديد من المحكومين الذين سجنوا بأمر الشاه عباس الثاني، حصلوا على العفو والحرية بتوسط حريم الشاه، وبذلك فالشاه سليمان هو الاستثناء من بين كل اسلافه من سلالة الشاهات الصفويين الذي سمح بصورة رسمية مباشرة بإشراك النساء والخواتم في صنع قرارات الدولة المصيرية، فهو اول من قام بتشكيل مجلس شورى الحريم تألف من والده الشاه وكبار الغلمان والحريم والزوجات المفضلات عند الشاه، وكتب المؤرخ لكهارت في هذا الصدد: "في كل مسألة تتعلق بالبلد تتم مناقشتها في مجلس شورى الحريم، لا يتم اتخاذ أي قرار من لدن الصدر الأعظم، فيعتمد إصدار القرار على تجمع خاص يتكون من الخصيان، ليناقدش هذا المجلس أهم القضايا الحكومية، والصدر الأعظم ووجهاء آخرون يجهلون ما يحدث، وشؤون البلاد يديرها الخصيان، على أي حال هؤلاء الأشخاص هم المسؤولون عن شؤون العائلة المالكة"^(٢). وبذلك دخلت الدولة الصفوية مرحلة جديدة، تمثلت بظهور سلطة ونفوذ الخواتم والحريم وما اضحى لهم من حظوة ومكانة، مما أسهم بخلق نوع من التنافس والذي بدأ يثير القلائل، فيما ساعدت الاختلافات والتنوعات القومية في خلق نوع من النزاع والصراع داخل البلاط الصفوي إلى جانب محاولة الوصول إلى الزعامة عن طريق التنافس لكسب ود الشاه ورضاه. هذا من زاوية؛ ومن زاوية أخرى وجود شاه تتسم شخصيته بالضعف، وولعه بالنساء مما وفر الظروف المناسبة لهم، لهذا برز دورهم بصورة فاعلة وواضحة للعيان من خلال ظروف اجتماعية وسياسية معينة كانت مساهمة في ذلك^(٣).

أضحت تصرفات الشاه عندما تراوده نوبات سكره وقيل انه كان في ساعات سكره كثيرا ما يتصرف باعمال همجية يصب غضبها على افراد حاشيته تلك الاعمال التي يقتربها بحق الآخرين التي لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يقتصر وقوعها على افراد

(١) نهله نعيم ال بطي، إيران في عهد الشاه، ص ٣٨.

(٢) نقلا عن: عدي سامي فارس المالكي، المرأة....، ص ١٦٣.

(٣) عباس أقبال اشتياني، تاريخ ايران پس از اسلام از صدراسلام تا انقراض قاجاريه، تهران، ١٣٧٨/



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

حاشيته، وان كان نصيبهم منها وافرا، الا ان ذلك لم يحل ابدا دون امتداد طغيانه. فقد شرع في سلسلة من الاعدامات بين الاشراف وكبار موظفي البلاط والقادة العسكريين. والحق ان حكم الشاه سليمان قد شهد مع تقدم عهده اضطهادا دينيا وطائفيا مطردا. بل وقد عد سليمان اول من اضطهد الأرمن وأرهمهم بالضرائب على نحو منتظم. ويذكر ان سليمان بتصرفاته وتصرفات اسلافه كانت وراء بروز قوى اسهمت في اشاعة جو من التعصب الديني والمذهبي، وهو ما اسهم في آخر المطاف في تقويض الدولة الصفوية^(١).

هكذا ظل الشاه سليمان بعيداً عن إدارة أمور الدولة لاسيما بعدما تشكل مجلس شورى الحريم، فكان مولعا بالنساء حتى انه يذهب بنفسه لمدينة جلفا^(٢) لأختيار فتيات ارمنيات جميلات، ما أسهم في تزايد تدخل كبار الغلمان في صنع قرارات البلاد، فاضحوا يشكلون حلقة وصل بين الحريم في القصر و رجال الدولة، كما كانت والدة الشاه سليمان (نكيهات خانم) من أكثر النساء مكانة في عهده فضلاً عن كونها احدى عناصر مجلس الشورى، وكانت امرأة ذات خبرة وشخصية قوية منذ بداية اعتلاء ابنها الشاه سليمان العرش، وخلال مدة تدهور صحة ابنها الشاه خلال السنوات الأولى من عهده وما عصفت بالبلاد من موجة غلاء المؤن الغذائية والجفاف، فأضحت خزينة الدولة خاوية الى حد ما، فكان دورها إيجابيا بوضوح فسيطرت على الأمور المالية ولم تسمح لابنها بصرف الأموال بحالات غير ضرورية، فتدخلت في إدارة شؤون الدولة، فضلاً عن بقاء الختم الخاص

(١) علي الغنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) الشاه سليمان (صفي الثاني) ١٦٦٦-١٦٩٤....، ص ٧-٨.

(٢) جلفا: مدينة بناها الشاه عباس الأول وخصص لها أرض من الأراضي الشاهانية، وكانت بجوار أصفهان خصصها للأرمن بعد ترحيلهم من اذربيجان بهدف حمايتهم خصوصا بعد هجوم العثمانيين على اذربيجان عام ١٥٧٨م، وقد زودها بكل ما يحتاجه المهاجرون الجدد من خدمات، فضلاً عن قيامهم بأمور الزراعة وتربية الحيوانات وأمر ببناء كنيسة لهم، كذلك أصدر قرار بمنع غير الأرمن من السكن فيها وعدم التعرض لهم، ومن يخالف هذه التعليمات فإنه سوف يتعرض لمحاكمة قاسية، وكانت جلفا مقسمة إلى أربعة أحياء هي بزرک (الساحة الكبيرة) و ميدان كوجك (الساحة الصغيرة) وهي چهارم سوم والجهات الأربع وهي هاكوب جان الواقع في الجهة الشمالية من چهارم سوم ويعرف أيضا يحيي الحصران. عاصم حاكم عباس الجبوري ووسن عبد العظيم فاهم الايدامي، الهجرة الأرمنية الجماعية إلى إيران في عهد الشاه عباس الأول، مجلة اوروك، المجلد ٨، العدد ٣، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٥، ص ٢٤٩.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

بالشاه بيدها، وبهذا كانت مؤثرة على قرارات الشاه، واضحت تسمى بـ (نواب عليا) التي تعني النائبة العليا، أو الملكة الأم، كما كانت تتحكم في زوجات والنساء المفضلات لدى الشاه فلم يكن بمقدور الشاه ان يتخذ قراراً بذلك دون موافقتها^(١). لكنها مثلاً ساندت سليمان حاتم بيك والي كرمان للبقاء في منصبه مدة ٢٥ سنة على الرغم من عدم جدارته لهذا المنصب وقلة خبرته في هذا المجال^(٢).

كما كان الشاه يأخذ برأي الخواجات مسبقاً قبل استشارة والدته الملكة في القضايا العامة للدولة، في وقت كان الجميع يتسابق لنيل عطفها كي يحققوا منافعهم الشخصية، بسبب سيطرتها المحكمة على ادارة الدولة وسلطتها في القصر، ومن البديهي أن من أوائل الساعين الى استحصال عطفها الخواجات، لأن العلاقة بينهم وبين الملكة الام تركز على المصالح المتبادلة، لاسيما انهم استثمروا تلك العلاقة بالتمتع بحمايتها، وبذلك كسبوا مكانة فاقت بقية رجال الدولة، ما سمح لهم التدخل بشؤون الدولة، ونظراً لأهمية مكانة والدته الشاه تقدمت قرارات مجلس شوري الحريم على قرارات الصدر الأعظم والوزراء، لتصبح بذلك صلاحيات الصدر الأعظم مقيدة، فتراجعت العلاقة بينه وبين الشاه^(٣)، وأضحت الاجتماعات بينهما محدودة مقارنة مع اوائل عهد حكومة الشاه، أما بشأن الأمور الإدارية؛ فكان الصدر الأعظم يقترح بعض الحلول فقط، وكانت تلك الحلول تخضع الى فلترة مجلس شوري الحريم، فترفض احياناً اذا لم تتوافق مع منافعهم الشخصية، وكانت احدى أهم المعوقات امام عمل الصدر الأعظم هي المؤامرات التي تصاغ في أوساط الخواجات والنساء^(٤). بل تذكر المصادر الصفوية أن حمزة ميرزا (اخو الشاه سليمان) قد أبعد عن مركز النفوذ السياسي في البلاط، شأنه شأن كثير من الأمراء الصفويين الذين كانوا يُحتجزون داخل القصر لمنع أي صراع على العرش، ولم تذكر الروايات أنه قاد تمرداً أو

(١) احمد خليل الله مقدم، بيشين، ص ١٦٤.

(٢) عبد المجيد شجاع، بيشين، ص ١٦٧.

(٣) همان منبع، ص ١٧٠-١٧١.

(٤) رضا قلي خان هدايت، بيشين، ص ١٦٧.



الفصل الثالث :مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

أسهم بدور سياسي بارز، ويبدو أن حياته انتهت بعيداً عن التأثير في شؤون الدولة، ويرجح أنه توفي في ظل حكم أخيه دون أن يترك أثراً سياسياً يُذكر^(١).

ومن الوظائف المهمة التي جرد منها الصدر الأعظم؛ الأشراف على الأمور المالية وأصبحت هذه المسؤولية المهمة من نصيب احد الخواجات، فقد طلب مسؤول الخزينة من الصدر الأعظم ان يسلمه كافة القوائم الخاصة بالنفقات والأرباح التي تحصل عليها الدولة، فقد نفذ الاخير ذلك الطلب^(٢).

تَجَسَّد صعود الخواجات من إطار تقديم الخدمة في البلاط إلى موقع الفعل السياسي المباشر، وكان آغا كافور أبرز ممثلي هذا التحول بوصفه المسؤول عن خزانة الشاه وأحد أقرب المقرّبين إليه. فقد منحته السيطرة على الموارد المالية للدولة موقعاً مفصلياً في صناعة القرار، إذ لم تعد الخزانة وظيفة إدارية محايدة، بل تحوّلت إلى أداة نفوذ سياسي تُدار عبرها شبكات الولاء داخل البلاط. ومن خلال التحكم في الرواتب والإقطاعات والهبات، امتلك آغا كافور قدرة عملية على مكافأة الموالين وإضعاف الخصوم، ما جعله فاعلاً مؤثراً في تعيينات الأمراء والقادة، وفي ترجيح كفة هذا الوزير أو ذاك في صراعات البلاط. سياسياً، أدّى قرب آغا كافور من الشاه إلى تحويله وسيطاً إلزامياً بين الحاكم وكبار رجال الدولة، فغدا «حارس الوصول» إلى مركز القرار، تُرفع إليه العرائض وتُصَفّى عنده النزاعات قبل بلوغها الشاه. هذا الموقع مكّنه من توجيه مسار السياسات اليومية وتليين أو تشديد بعض القرارات بحسب ما يراه محققاً لمصالح شبكته داخل القصر. وقد أسهم ذلك في إضعاف الدور المؤسسي للوزارة، إذ تقدّم نفوذ البلاط الشخصي على منطق الديوان، حتى شاع أن كلمته في العاصمة مقدّمة على كلام الوزراء. ماليّاً، لم يقتصر دوره على حفظ الخزانة، بل تعدّاه إلى إعادة تشكيل أولويات الإنفاق، وضبط توقيت صرف الموارد بما يخدم الاستقرار داخل القصر ويضمن استمرار نفوذه. ورغم أن هذا النمط وقرّ قدرًا من الانضباط المالي القصير الأمد، فإنه عمّق المحسوبية وأضعف الشفافية، وأسهم في تآكل

(١) عبد المجيد شجاع، بيشين، ص ١٧٣.

(٢) عدي سامي المالكي، الشيخ علي...، ص ٢٩.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

القواعد المؤسسية للإدارة المالية. وهكذا مثل آغا كافور نموذج «الخواجة-الوزير غير المُعلن»، حيث اندمج الدور المالي بالدور السياسي، لتصبح الخزانة قلب السلطة الفعلية، وتتحول إدارة المال إلى وسيلة حكم تُدار بها الدولة من داخل القصر^(١).

وكان انحسار صلاحيات الصدر الأعظم قدا بدأ تدريجياً وهو من المناصب المهمة في الدولة مع تزايد نفوذ مجلس شورى الحريم ومنافسة كبار رجال الدولة والحاشية فيما بينهم يُعد مؤشر إلى ما وصلت إليه حالة الدولة من الانحلال تلك المدة، حينها بدأت عوامل الانهيار تبرز بوضوح، وحالة التنافس والصراع يعد مؤشر التمزق السياسي للدولة وظهور عوامل الانحلال، على الرغم من الإستقرار الذي كان بادياً آنذاك، على الرغم من أن المدة الأولى من تولي علي خان زنكنه إدارة الحكومة^(٢) في عهد الشاه سليمان كانت تعد مدة ذهبية، إذ شهدت البلاد استقراراً وامن، لكونه سيطر على إدارة الدولة بجدارة، قبل أن يلجأ الشاه إلى الحريم والخوارجات في إدارة الأمور^(٣).

وهكذا أقت هذه الأوضاع المضطربة بضلالها على الدولة التي بدأت تواجه تحديات كبيرة على مستوى الصعيد الداخلي والخارجي، فقد قيل للشاه سليمان إن العثمانيين قد يهاجمون بلاده، فأجابهم: "إنه لا يكثرث لهجومهم على شرط أن يتركوا له أصفهان"^(٤)، فقد فضل حياة الحريم على مسؤولياته حاكماً للبلاد، كما تعرضت مدينة استرآباد إلى

(١) يارا: اكبرت كمپفر، بيشين، ص ٢٢٩.

(٢) تولى الشيخ علي خان زنكنه موقع الصدارة عام ١٦٦٦م في عهد الشاه سليمان واستمر إلى عام ١٦٩٤م في مدة عهدها الباحثون في التاريخ الصفوي من أكثر المراحل اضطراباً وقسوة في تاريخ الدولة الصفوية، فكانت تحت حكم شاه ضعيف حبيس قصر النساء وواقع تحت سيطرة مجلس شورى الحريم، فضلاً عن انتشار المجاعة والأمراض والزلازل، ولكن بفضل إصلاحات الشيخ علي خان زنكنه استطاعت إيران من تجاوز هذه التحديات والمصاعب ومنع ولو مؤقتاً من انهيارها وسقوطها، للمزيد من التفصيل عن وزارة الشيخ علي خان زنكنه ينظر : عدي سامي المالكي، الشيخ علي...، ص ١٠-٤٦.

(٣) محمد محسن المستوفي، زبدة التواريخ، بنياد موفقات دكتور محمود افشار، تهران، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ١١٩.

(٤) نقلاً عن: إباد عبد الرحمن شيجان الركابي، المصدر السابق، ص ١٨٩.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

هجمات الطوائف التركمانية^(١) في سنتي ١٠٨٥-١٠٨٦ هـ / ١٦٧٥-١٦٧٦ م، وقد ظهر بين تلك القبائل قائد يسمى أدينه سلطان صاني خان التركماني^(٢)، الذي تمكن من توحيد واخضاع ستين ألف مقاتل تحت قيادته، فتوجه نحو استرآباد وتمكن من اخضاعها لسيطرته عام (١٠٨٥ هـ / ١٦٧٥ م)، ثم هاجموا دامغان وسمنان وبدأوا بالسلب والنهب، كما تعرضت البلاد أيضاً حالة من تمزق وحدتها وكيانها من خلال حكم الشاه سليمان الى هجمات البلوش^(٣) على مدينة كرمان والمدن القريبة منها، ونتيجة بعد اقليم بلوچستان عن العاصمة أصفهان، فقد كان هذا الإقليم دائم العصيان والتمرد ضد الحكومة المركزية، وأصبحت

(١) توجد هذه الطوائف في تركستان ومرو وآخال، وعبر البعض منهم الى صحراء خوارزم واستقروا بالقرب من نهر گرگان، وامتحنوا الزراعة، وهناك طائفة تسمى صاين خاني استقرت ايضاً بالقرب من نهر گرگان، وبعد ازدياد اعدادهم انقسموا الى اربع شعب، واستقروا فيما وراء النهر وتركستان وخراسان وخوارزم ومرو، وبسبب الاختلافات الكبيرة في هذه المناطق في الطقس والبيئة والغذاء؛ فقد تغيرت ملامح هذه الاقوام بما يتناسب مع الموطن الجديد، وكانوا يطلقون عليهم العجم التركمان، اما البعض منهم فقد نسبوا انفسهم الى الأوزبك وبأنهم من نسل جنكيزخان. عدي سامي فارس المالكي، الشيخ علي...، ص ٣٠

(٢) أدينه سلطان: زعيم تركماني برز في عهد الشاه سليمان بوصفه قائداً عسكرياً لقبائل تركستان ومرو وآخال، وتمكن من توحيد قبائل متفرقة تحت راية واحدة في سياق اضطراب حدودي مستمر بين البوادي التركمانية والمراكز الإيرانية. اعتمد في صعوده على العصبية القبلية والكفاءة القتالية، فنجح في حشد قوة كبيرة قُدرت بنحو ستين ألف مقاتل، مستفيداً من مرونة التنظيم القبلي وسرعة الحركة في مناطق السهوب. قاد أدينه سلطان غارات وهجمات منظمة على الأطراف الشرقية من الدولة الصفوية، مستهدفاً المراكز الحدودية وخطوط الإمداد، في محاولة لفرض توازن جديد للقوة أو انتزاع امتيازات سياسية واقتصادية. غير أنه أصيب بجراح بالغة في إحدى المعارك الكبرى، فتوفي متأثراً بها، لتنتهي بذلك مرحلة من محاولات التوحيد القبلي ذات الطابع الهجومي على الحدود الشرقية. وتكشف سيرته عن نموذج الزعيم القبلي الذي جمع بين القيادة العسكرية والقدرة على الحشد السياسي داخل البنية العشائرية، لكنه اصطدم في النهاية بقدرات الدولة المركزية الصفوية حين قررت حسم الصراع عسكرياً. محمد سهيل طقوش، المصدر السابق، ص ٢٢٧.

(٣) البلوش: هم مسلمون على المذهب السني الحنفي، يسكنون اقليم بلوچستان الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من ايران ومن اشهر قبائلهم بزدان وهوت وكملي ولاتي ورئيس ورندي وسنكر وشهزاده وهذه القبائل لا تذكر بأسمائها خارج حدود مناطقهم، وكذلك يوجد البلوش في عمان والبحرين والكويت وقطر، ونادراً ما يعتنق البلوش المذهب الشيعي. احمد بن يعقوب المازي، البلوش وبلادهم في دليل الخليج العربي، دار الانتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص ٤٧-٤٩.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

الأوضاع فيها متدهورة ^(١)، وهكذا شجعت تلك الظروف البلوش لشن هجوم آخر على منطقة راود ده سيف إحدى مناطق كرمان، فقام ميرزا شفيع حاتم بيك ^(٢) حاكم كرمان بتجهيز حملة، وتواجه الطرفان وجرت معركة بينهما كان التفوق من نصيب البلوش، الذين تمكنوا من اخضاع منطقة راود ده سيف لسيطرتهم ^(٣).

لوحظ في المدة الأخيرة من عهد الشاه سليمان انه مكث مدة طويلة في قصر الحريم وإقام فيه، لاسيما السنوات السبع الأخيرة من حياته، ويعتقد البعض أن إنعزال الشاه عن العالم الخارجي كان بسبب اصابته بداء النقرس ^(٤). الى ان توفي في (٦ ذي الحجة ١١٠٥ هـ/ ٢٩ تموز ١٦٩٤ م) وكان يناهز السادسة والأربعين عاماً من عمره، بسبب إدمانه شرب الخمر وانغماسه في ملذاته، فضلاً عن داء النقرس الذي أجبره على ملازمة الفراش مدة سنتين ^(٥).

بل يقال أن الشاه سليمان واثناء تدهور حالته الصحية دخل بغيبوبة، حتى قيل انه لم يكن يُعرف اذا ما كان لازال حياً ام قد توفي، فقد طالبت غيبوبته، بل يروى بأن الشاه سليمان ظل مدة ثلاثة أيام بعد وفاته دون ان يجرو أحدًا من الحريم او الخواجات على الاقتراب منه

(١) مير محمد سعيد مشيزي، تذكرة صفويه (كرمان)، مقدمه وتصحيح وتحشية: باستاني پاريزي (محمد ابراهيم)، چاپخانه حيرى، تهران، ١٣٦٩ هـ.ش/ ١٩٥٠ م، ص ٩٤.

(٢) كان ميرزا شفيع حاتم بيك من رجال الإدارة الصفوية الذين تولّوا حكم ولاية كرمان، إحدى أهم ولايات الجنوب الشرقي الإيراني في العصر الصفوي المتأخر. وتأتي أهمية كرمان من موقعها الاستراتيجي الذي يربط بين الهضبة الإيرانية وسواحل الخليج والمناطق الشرقية، فضلاً عن كونها مركزاً اقتصادياً وزراعياً مهماً. تولّى ميرزا شفيع منصب الحاكم بصفته ممثلاً للسلطة المركزية، وكانت مهمته الأساسية تثبيت الأمن، وجباية الضرائب، وضبط الأوضاع القبلية، لا سيما في إقليم عُرف بتنوّع تركيبته السكانية وتداخل النفوذ القبلي فيه. كما كان عليه الإشراف على الشؤون العسكرية في الولاية، وتأمين خطوط التجارة، وضمان ولاء القوى المحلية للشاه. وقد ارتبطت ولايته بالسعي إلى تعزيز نفوذ الدولة الصفوية في الأطراف، عبر تنظيم الإدارة المالية وتثبيت سلطة الدولة في مواجهة أي اضطرابات داخلية. وغالباً ما كان حكام كرمان يُختارون من ذوي الخبرة الإدارية أو من العناصر المقربة من البلاط، لما تتطلبه الولاية من حزم سياسي ودراية مالية. عبد المجيد شجاع، بيشين، ص ١٧٩.

(٣) مير محمد سعيد مشيزي، بيشين، ص ١٠١.

(٤) محمد محسن المستوفي، بيشين، ص ١١٣.

(٥) Roemer, Op. Cit., P. 310.



الفصل الثالث : مرحلة انحدار السلطة الصفوية وسيطرة الحريم

وانكفاء السلطة (١٦٢٩-١٦٩٤).

ليعرف أن كان قد توفي أم لازال في غيبوبه، إلى أن جاءت مريم بيكم^(١) المعروفة بجرأتها وشجاعته بعد ثلاثة ايام، وتمكنت من التقرب منه فعرفت حينها بأنه توفي، فيما يرجح البعض أن الخواجات بالتعاون مع مريم بيكم قاموا باخفاء خبر وفاة الشاه، كي يهيئوا شاهاً جديداً يكون من اختيارهم^(٢).

(١) تُعدّ مريم بيكم ابنة الشاه الشاه صفي الاول واخت الشاه عباس الثاني وعمّة الشاه سليمان إحدى الشخصيات النسائية البارزة في أواخر العهد الصفوي، وقد احتفظت بمكانة رفيعة داخل البلاط خلال عهدي الشاه سليمان والشاه سلطان حسين وكانت من ضمن دائرة مستشارين الاول. وكانت لها هبة كبيرة كهبة الرجال، استطاعت أن تترك لها أثر كبير في التاريخ الإيراني، وكانت معروفة في شبابها بالشجاعة، تزوجت من ميرزا ابو صالح الرضوي، وبعد وفاته بقيت أرملة من غير زواج، لكنها وقعت في حب القائد العام للجيش الصفوي القورجي باشي سارو تقي الذي لم يدرك خطورة هذه العلاقة التي سوف تؤدي إلى مقتله، على الرغم من تحذير الشاه سليمان لمريم بيكم من هذه العلاقة ولكنها لم تستجب لهذه التحذيرات مما دعا الشاه سليمان إلى اغتياله استمدّت نفوذها من انتمائها المباشر إلى البيت الصفوي، وهو عنصر أساسي في معادلة السلطة آنذاك، حيث كان القرب النسبي من العرش يتيح حضوراً مؤثراً في دوائر القرار، ولا سيما في شؤون القصر والتوازنات الداخلية بين رجال الدولة والحاشية. وقد مثّلت أحد وجوه الشرعية الأسرية في مرحلة اتسمت بتنامي دور البلاط على حساب الكفاءة الإدارية والعسكرية. كما عُرفت برعايتها الاجتماعية وحمايتها لبعض الطوائف، الأمر الذي يعكس إدراكاً لطبيعة المجتمع الصفوي المتعدد وحرصاً على الاستقرار الداخلي. وبذلك تمثل مريم بيكم نموذجاً واضحاً لدور نساء البيت الصفوي في ممارسة نفوذ سياسي هادئ لكنه فاعل داخل بنية الدولة في أواخر عهدها. عدي سامي فارس المالكي، المرأة....، ص ٢٦٦.

(٢) محمد محسن المستوفي، بيشين، ص ١١٥.

الفصل الرابع: تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش (١٦٩٤-١٧٣٦).

اولاً : تولي الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢م) العرش الصفوي حتى الاحتلال الافغاني عام ١٧٢٢.

ثانياً : فقدان العرش والغزو الافغاني (١٧٢٢-١٧٢٩م) ونهاية الدولة الصفوية. ثالثاً: ولاية العهد ابناء السلطان حسين (طهماسب الثاني، وعباس الثالث) ومحاولات الظفر بالعرش الصفوي شكلياً (١٧٢٩-١٧٣٦) .



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

اولاً : تولي الشاه سلطان حسين (١٦٩٤-١٧٢٢م) العرش الصفوي حتى الاحتلال الافغاني عام ١٧٢٢.

برزت علامات الضعف والاضمحلال في هيكلية الدولة الصفوية بشكل متزايد أبان عهد الشاه سليمان، إذ أوفق المؤرخون على أن الشاه سليمان لم يكثرث الى مسألة ولاية العهد وتداول الحكم من بعده ولم يحدد من سيتولى العرش من ابنائه، لكن آراء المؤرخين اختلفت بشأن عدد أبناء الشاه سليمان، فيذكر محمد محسن المستوفي أن للشاه سليمان ثمانية أبناء، هم: حمزة ميرزا، ومرتضى ميرزا، وعباس ميرزا، وإبراهيم ميرزا، وحسين ميرزا، وأحمد ميرزا، و خليل ميرزا، وسلطان مصطفى، ويعدّ حسين ميرزا أكبرهم سنًا. في المقابل؛ يذكر لورنس لكهارت أن عدد أبناء الشاه سليمان سبعة فقط، ويذكر أن حسين ميرزا كان الابن الأكبر وقد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، يليه عباس ميرزا الذي كان في الثانية والعشرين من عمره^(١)، وحينما أدرك انه سيموت لا محال، أوصى المقربين منه قائلاً: "(إذا كنتم ترغبون في الهدوء والسلام اختاروا حسين ميرزا، وإذا أردتم دولة قوية وامبراطورية واسعة فاخاروا عباس ميرزا)"^(٢)، وكان الأخير يتصف بالحكمة والرزانة والتعقل على عكس اخيه حسين ميرزا الذي اتصف بالانزواء وضعف الشخصية^(٣)، وعلى وفق المنافع الشخصية لدى الخواجات والحاشية؛ فقد وقع اختيارهم على حسين ميرزا الابن الأكبر للشاه سليمان، البالغ من العمر ستة وعشرين عاماً، بعد تشاورهم مع المنجمين والفلكيين الذين كانوا يعملون لتحديد ساعة السعد المناسبة للتتويج من خلال دراسة الأبراج وإجراء الرصد الفلكي وحركة النجوم، الا ان بحثهم اسفر عن اعتقادهم ان حركة النجوم ليست في صالح الأمير الذي بدا ضعيف الإرادة منذ البداية، كما رأوا انه ليست هناك لحظة سعد مباركة قريبة، فكان على الأمير الشاب أن ينتظر مدة تسعة أيام ليرى فيما اذا كانت

(١) نهله نعيم عبد العالي ال بطي، إيران في عهد الشاه ...، ص ٦٠.

(٢) عبد الكاظم مجتبى زادة، الشاه سلطان حسين، دفتر نشر معارف، قم، ١٣٨٨ هـ ش/ ٢٠١٠ م، ص ٣٠.

(٣) عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ٢٦٠.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

النجوم ستكون في صالحه كي يتولى العرش. حتى حل اليوم الموعود وأعلن موعد التتويج، بقرار من "مساعدة خاقان المنجم ميرزا محمد رضا"، عالم الفلك الخاص بالبلاط الملكي، فاجتمع القادة والشيوخ في قاعة الإسطبلات لحضور مراسم التتويج للشاه الجديد في تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم (١٥ جمادى الأولى ١١٠٦هـ / ٦ آب ١٦٩٤م)^(١)، وقد أسهمت مريم بيكم بدور كبير بالترتيبات اللازمة مع الخواجهات لتنصيب حسين ميرزا شاهاً للدولة^(٢).

اضطلعت مريم بيكم بدور كبير بتدخلها والتي عرفت بشجاعتها وجراتها، في إدارة شؤون الدولة وحتى شخصية الشاه، وتبين، أن اختيار حسين ميرزا شاهاً جاء في الأساس كخيار للحاشية والخواجهات مشفوعاً بدعم من عمه الشاه مريم بيكم، إذ ارتأوا أن اختيارهم لشاه ضعيف الشخصية وفاقد للطموح السياسي؛ يفتح الأفق أمامهم لتحقيق طموحاتهم التي لن يتمكنوا من تحقيقها مع أخيه عباس ميرزا الذي عرف عنه التعقل والحكمة والحكمة السياسية، فجرت مراسيم تتويج حسين ميرزا في (١٤ ذي الحجة ١١٠٥هـ / ٦ آب ١٦٩٤م) بحضور الأمراء والقادة في قصر جهل ستون في العاصمة اصفهان، كما حضر المراسيم العلامة محمد باقر المجلسي^(٣) شيخ الإسلام^(٤)، قام بوضع التاج على رأس الشاه

(١) عدي سامي فارس المالكي، أثر المعتقدات...، ص ٥٨٥.

(٢) المصدر نفسه .

(٣) ولد العلامة محمد باقر المجلسي عام ١٦٢٨م في مدينة أصفهان، والده العلامة المعروف محمد تقي المجلسي من كبار العلماء في العهد الصفوي، نصب شيخاً للإسلام عام ١٦٨٧م في أواخر عهد الشاه سليمان بعمر الحادية والستين عام وبقي حتى وفاته عام ١٦٩٩م في عهد الشاه سلطان حسين، وبعد من كبار الفقهاء الأمامية الذي أعطى للدولة الصفوية أيديولوجيتها المذهبية الواضحة، وبعد وفاته استمر الحزن والعزاء أسبوعاً كاملاً، وأعلنت الحكومة المركزية حداً على فقدان هذا العالم الجليل، مما يدل على مكانته الدينية والسياسية والاجتماعية في الدولة وبين عامة الناس، فقد كان الساعد القوي للشاه نحو الإصلاح وإخلاصه للدولة، له الكثير من المؤلفات أشهرها بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار عام ١٦٦٨م وهو كتاب مفصل عن الأحاديث عن أهل البيت. وجيه كوثراني، المصدر السابق، ص ١٦١-١٦٤؛ كولن تيرنر، المصدر السابق، ص ٢٤٥ - ٢٨١.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بوصفه يتولى أعلى منصب ديني في الدولة الصفوية ولإضفاء الشرعية الدينية لحكم الشاه، وكان الشاه سلطان حسين أول شاه في الدولة الصفوية التي يضع رجل دين التاج على رأس شاه، ومن هنا أضحت مكانة شيخ الاسلام تأخذ مكانة متميزة عن المدة السابقة، ومجاوراً لدى الشاه^(١).

وبذلك اعتلى ميرزا حسين عرش الدولة، باسم الشاه سلطان حسين، ولم تذكر لنا المصادر السبب الذي أطلق على الشاه حسين لقب (سلطان)، فيكون بذلك الشاه الوحيد من السلالة الصفوية الحاكمة الذي نال هذا اللقب، وربما أطلق عليه هذا اللقب من الحاشية والخواجات^(٢)، ليكون الشاه التاسع للسلالة الصفوية، وعمت في شوارع العاصمة مظاهر الاحتفال والفرح بالشاه الجديد، حتى تولي العرش كان الشاه سلطان حسين يعيش في كنف الحريم وبين الخواجات، ولم يحظ بتعليم جيد ولم يسمح له بمجالسة القادة وكبار رجال الدولة وارتكز على دور والدته وعمته لما أمثلن من القوة، فأضطلعن بدور كبير وواضح في تربية الشاه سلطان حسين الى الحد الذي انعكس سلباً على شخصيته، وبذلك تمكن من السيطرة على الشاه، وكان لم يسمح له بالتدريب على القتال أو الاطلاع على مستلزماته من تنظيم وأسلحة، خشية ظهور شاه قوي يتمكن من السيطرة على مراكز السلطة، وعندما اعتلى الشاه سلطان حسين العرش انطلق الخواجات يمارسون دورهم في شؤون الدولة والسياسة، بعد ان منحهم الشاه صلاحيات واسعة، إذ بدأ تدخل الخواجات في امور الدولة المالية والإدارية والعسكرية، وتزايد نفوذهم وبرز دورهم بصورة واضحة^(٣)، وكسب الخواجات دعم كبار رجال الدولة وحاولوا استغلال ضعف شخصية الشاه سلطان حسين و تأليبهم على أخيه عباس ميرزا، على أساس أنه يشكل خطراً على عرشه ودولته كونه يمتلك

(٤) رسول جعفریان، صفویة در عرصه دین فرهنگ و سیاست، جلد اول، پژوهشگاه حوزه دداشتگاه، قم، ۱۳۷۹هـ/ ۲۰۰۱م، ص ۲۰۹-۲۱۶.

(١) عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ۸۳.

(٢) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ۶۴.

(٣) عبد المجيد شجاع، بيشين، ص ۱۸۰.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

المؤهلات اللازمة لذلك، فيجب التخلص منه، لكن الشاه سلطان حسين لم يرضخ لمقترحاتهم، ولم يتمكن الخواجات من تحقيق طموحاتهم، فقد كان على عكس الشاهات الذين سبقوه من آباءه وأجداده، الذين كانوا لا يترددون عن قتل ذكور العائلة الصفوية أو سمل عيونهم أو سجنهم في أماكن بعيدة خشية أن يستولوا على المنصب بدلاً عنهم، أما بشأن سياسة الشاه سلطان حسين إزاء العائلة الصفوية؛ فقد أبدى تعاطفاً معهم فكرّس جلّ اهتمامه بهم، فأمر ببناء قصر للعائلة وعاملهم بالحسنى^(١).

جعلت شخصية الشاه الخاوية من الحنكة السياسية الخواجات تتصرف بالشؤون الداخلية للبلاد وإدارة الصراعات مع القوى المنافسة على الحكم، بل وترفعوا إلى أعلى المراتب في البلاط الصفوي، فتزايد نفوذهم وصلاحياتهم حتى وصلت إلى عزل وتعيين المسؤولين في الدولة وقادة الجيش، وإصدار قرارات الإعدام والعفو، فكانت معظم إدارة الشؤون السياسية من صلاحياتهم، كما لم ينفذ أيّ أمر إلا بموافقتهم، حتى أن كبار رجال الدولة لم يتجرأوا على إصدار أيّ قرار دون موافقة خواجات القصر، الذين تمكنوا من أن يتحولوا في نهاية المطاف إلى بديل يوازي قوة الشاه، وفي الإطار نفسه تطورت سلطة الخواجات فأحاطوا بالشاه وسيطروا تماماً على شخصيته لا سيما أنهم أدركوا أن الشاه يرضخ أمام طموحاتهم، فقد جعلوا الشاه بعيداً عن العالم الخارجي المحيط به من خلال عدم السماح لأحد من اللقاء به، إلى جانب تدخلهم في شؤون السياسة الخارجية، فتطور تدخلهم للحد الذي اضحى بإمكان الخواجة باشي^(٢) من الاجتماع بالسفراء الأجانب نيابة عن الشاه

(١) عبد الكاظم مجتبی زادة، بيشین، ص ٣٦.

(٢) ويعني رئيس الخواجات والباشي تعني الرئيس أو المسؤول، وكان يطلق عليه في العهد التيموري لقب (قلي) وتعني غلام، وعادة ما يكون مسؤولاً عن اصناف المهن، ويتم تعيينه في اصفهان من لدن الشاه نفسه، أما في المدن الأخرى فيعين من لدن الشرطة أو حاكم المدينة بشرط أن تتوفر فيه الأمانة والخبرة في العمل والزهد والتقوى، ويكون منصب الباشي واسطة بين اصحاب المهن والحاكم، وبدأ الباشي في العهد الصفوي وعهد الشاه عباس الأول تحديداً يقترب من الشاه ويتعد عن المهن حتى أصبح الأقرب إلى الشاه في عهد الشاه سلطان حسين. مهدي گيواني، بيشه وران ورتگی صنفی آنان در عهد صفوي، ترجمه: یزدان فرخی، مطبعة سبهر، تهران، ١٣٩٢ هـ ش / ١٩٧٢ م، ص ٨٩-٩٠.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

أو التفاوض معهم، وفي حالة أصرار السفير على طلب لقاء الشاه فعليه ان يدفع رشوة لتلبية طلبه^(١)، وهكذا تفاقم نفوذ الخواجهات، اذ لم يسمح للخواجهات في عهد الشاه عباس الكبير التدخل في شؤون الدولة، وكانت وجباتهم تقتصر على ادارة امور القصر وتنظيفه والحفاظ على خزانة الشاه، ولم يحق لهؤلاء الخواجهات حتى بركوب الخيل عند الخروج من القصر، فكانوا يركبون الحمير فقط، وقد كانوا يتعرضون الى السخرية حينما يمرون بين عامة الناس، لكن الأمر تغير جذريا في عهد الشاه سلطان حسين إذ اضحى خروج الخواجهات يرافقه خروج الخدم معهم، كما اجبر الشاه حسين عموم الناس على احترامهم^(٢)، ما ادى الى نشوب صراع وتنافس محموم بين الخواجهات البيض والسود، حتى ان الشاه نفسه لم يستطع من ان يحد من ذلك الصراع^(٣).

وكان رجال الدين ينافسون الخواجهات من حيث التأثير في شخصية الشاه سلطان حسين، بسبب ميوله نحو طقوس العبادة والزهد في السنوات الاولى من عهده، لكن كفة المعادلة تغيرت لصالح نفوذ الخواجهات بتفوقهم على نفوذ رجال الدين^(٤)، فقد أسهم رجال الدين في تلك المرحلة بدور مؤثر في شخصية الشاه من خلال النفوذ الذي اكتسبوه منذ عهد تأسيس الدولة، وخلال تلك المدة تزايد نفوذ رجال الدين اكثر من السابق، مما حدا بالخواجهات إلى التخلي عن فكرة التخلص منهم، لذلك اتجهوا الى التكيف والتعايش مع بعضهم، لاسيما بعد وفاة العلامة محمد باقر المجلسي عام (١١١٠هـ / ١٦٩٩م) إذ تحقق نوع من التقارب بين افكارهم وطموحاتهم، بظهور بعض رجال الدين ممن يطمحون للثراء، وتجسد ذلك التقارب بوضوح من خلال ابرام اتفاق بين الخواجهات وعلماء الدين بالصد من رجال الدولة الآخرين لتحقيق طموحاتهم المشتركة، ويتبين ذلك من خلال الاتفاق الذي

(١) عبد المجيد شجاع، ببشين، ص ١٨٧.

(٢) همان منبع، ص ١٨٢.

(٣) همان منبع، ص ٢٣-٢٤.

(٤) همان منبع، ص ١٨٢.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

تحقق بين الملا باشي^(١) محمد حسين التبريزي^(٢) والخواجات فعملوا سوية على عزل الصدر الأعظم فتح علي خان الداغستاني عام ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م، ومع تزايد سلطة الخواجات وضعف شخصية الشاه؛ تفاقم الأوضاع سوءاً للحد الذي سعى فيه الخواجات الى تغيير طقوس الاحتفال باعتلاء الشاه العرش، فبعدما كان الاحتفال سنوياً؛ اضحى شهرياً فاستغل حكام الولايات تلك الفرصة لفرض ضرائب جديدة على العامة بحجة توفير مصاريف الاحتفال، لا سيما ان عملية عزل الحكام وتعيينهم يتم بموافقة الخواجات، فيضطرون حكام الولايات لذلك، ولا يستبعد ان يكون جزءاً من تلك الاموال التي تجبى من الضرائب يعود إلى جيوب حكام الولايات، فكان يصل مقدار الضرائب أحياناً الى حوالي مئة وثمانين الف تومان^(٣) وهو رقم كبير في مقاييس ذلك الزمن.

وهكذا وصل الخواجات في عهد حكومة الشاه سلطان حسين الى مقام رفيع في الدولة، فحينما كان الشاه في رحلة سفر الى المدن الشمالية للبلاد عام (١١١٨ هـ / ١٧٠٦م) نصّب صفي قلي خان آغا نائباً عنه في اصفهان وهو من كبار الخواجات والمسؤول عن منصب

(١) يتّأس الملا باشي جميع رجال الدين، ولم يكن هذا المنصب موجوداً سابقاً وانما استحدث في عهد الشاه سلطان حسين عام (١١٢٤ هـ / ١٧١٢م)، ويكون صاحب هذا المنصب في المقدمة بجانب الشاه ولا يحق لأحد التقدم عليه فكان يتدخل لرفع الظلم والتعدي عن الناس، أو الشفاعة للمقصرين، وتحقيق المسائل الشرعية وتعليم الناس الأدعية ولم يتدخل في الأمور الأخرى. اياد عبد الرحمن الركابي، المصدر السابق، ص ١٢٧.

(٢) هو ابن ملا شاه محمد التبريزي، أحد رجال المؤسسة الدينية في أواخر العصر الصفوي، وقد ورث عن أسرته مكانة علمية مكنته من الارتقاء في السلم الديني حتى تولّى منصب «الملا باشي» في عهد الشاه سلطان حسين. وكان منصب الملا باشي يُعدّ المرجعية الدينية العليا في البلاط، إذ يتولى الإشراف على شؤون العلماء والقضاة، ويشارك في تعيين المناصب الشرعية، ويضطلع بدور بارز في إصدار الفتاوى التي تمنح الغطاء الشرعي لسياسات الدولة. كما كان حلقة وصل بين الحوزة الدينية والسلطة السياسية، الأمر الذي منحه نفوذاً واسعاً في توجيه القرار الداخلي، لا سيما في المسائل المرتبطة بالتشريع والأوقاف والأحكام الشرعية. وجاء تولّي المنصب في مرحلة اتسمت بضعف السلطة المركزية وتزايد نفوذ رجال الدين في إدارة الشأن العام، حيث أخذ الشاه يعتمد اعتماداً متزايداً على المؤسسة الدينية في ضبط المجتمع ومنح الشرعية لحكمه. وفي ظل هذا الواقع؛ تعاظم تأثير الملا باشي داخل البلاط وبقي في موقعه حتى سقوط الدولة الصفوية. رسول جعفریان، صفوية از ظهور تا زوال، ص ٤٢٢.

(٣) نهله نعيم ، المصدر السابق ، ص ٧٢.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

مير شكار باشي ما يعني تزايد سلطة الخواجهات ورضوخ شخصية سلطان حسين تحت تأثير حاشيته، وفي العام (١١٢٦هـ / ١٧١٤م) شكل نفوذ الخواجهات والحريم خطراً جسيماً على الدولة، فأضحوا يتدخلون في شتى شؤون الدولة من عزل وتعيين ومنح المناصب لمن يرغب بذلك وسط تفاقم ظاهرة الرشوة والفساد المالي، وحينما قدم السفير العثماني دوري أفندي^(١) عام ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م، إذ لاحظ حضور الخواجهات في الاجتماعات الرسمية وبعض المقربين من الشاه، فقد كان رئيس الخواجهات ذوي البشرة السوداء (قزلباغ) يجلس على يمين الشاه ورئيس الخواجهات ذوي البشرة البيضاء (قالبواغ) كان يجلس على يسار الشاه^(٢).

وهكذا اضحى نفوذ الخواجهات طاغياً في تدخلهم بشؤون النظام الإداري والمالي للدولة، وتسلمهم مناصب رسمية وحكومية رفيعة المستوى وتقاسم السلطة مع حكام الولايات وكثرة الضرائب، فعّد هذا الأمر من العوامل المهمة التي احدثت صدعاً كارثياً في جهاز الدولة، مما جعل البلاد تدخل في حالة من التقلبات المأساوية، وهي الحالة التي جعلت كل من لدية رغبة بتولي منصب في أية ولاية، ما عليه سوى أن يدفع مبلغاً من المال لجيوب الخواجهات، فأضحى هناك تنافساً ومزايدات بين المتنافسين على تولي مناصب، مما جعل البلاد تدخل في حالة من الانحلال والفوضى، فضلاً عن التدخل في تثبيت الحكم الوراثي لبعض الولايات وكانوا يدعمون الأضعف لتولي الحكم ليكون أداة طيعة بأيديهم ويكون حليفاً لهم^(٣).

(١) دوري أفندي كان سفيراً للدولة العثمانية لدى الدولة الصفوية في أواخر عهد السلطان العثماني مصطفى الثاني (١١٠٦-١١١٥هـ / ١٦٩٥-١٧٠٣م)، واستمرت آثار نشاطه الدبلوماسي في بدايات عهد السلطان أحمد الثالث، وذلك خلال حكم الشاه سلطان حسين الصفوي في إيران الصفوية. محمد أمين رياحي، سفارتنامه های ایران (گزارش های مسافرات ومأموریت سفیران عثمانی ایران)، چاپخانه ١٧ شهریور، تهران، ١٣٦٨هـ ش/ ١٩٩٠م، ص ٥٢.

(٢) رودی متی، زوال صفویه وسقوط اصفهان، ترجمة: مانی صالحی علامه، كوهرا ن دیشه، بی چاپ، ١٣٩٤هـ ش/ ١٩٧٤م، ص ٣٢٤.

(٣) عبد المجید شجاع، بیشتین، ص ١٨٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ويتبين مما تقدم أن نهاية العصر الصفوي كان سببه تدخل الحريم والخواجهات والحاشية وتأثيرهم البالغ في شؤون الدولة، وهكذا تضافت الأوضاع العامة لتحقيق طموحاتهم، فأضحى الشاه سلطان حسين في دوامة من المؤامرات والتناحر بين الخواجهات والحاشية ورجال الدولة طيلة عهد حكمه وقد أثر تدخل الخواجهات في شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية في تغيير القوانين والاحكام في العقوبات، فقد تمكنوا من تغيير أنواع العقوبات بتبديل عقوبة حكم الاعداء، بمصادرة الأموال مثلاً، وتحويل أحكام الجرائم الصغيرة نحو الغرامات المالية الباهظة، ومن البديهي ان تذهب تلك الأموال لجيوب الخواجهات، في وقت لم يكن بمقدور الشاه ان يردعهم، بل الأسوأ من ذلك أنه أمر مثلاً بعدم تخزين تلك الاموال في الخزينة الحكومية، لأنه كان يعدّها اموالاً غير شرعية، فقد أخذ الخواجهات يقسمون تلك الأموال فيما بينهم بعدما رفضها الشاه^(١).

وكانت سياسات الخواجهات تتضمن في تصفية والقضاء على كل اصحاب الكفاءات والخبرة من الذين يدركون أن وجودهم قد يشكل خطراً على مستقبلهم ومستقبل الفساد، فيسعون بالمقابل الى تنصيب الضعفاء في المناصب الرفيعة، لإبقائهم تحت سيطرتهم، وفي حال ظهور شخص كفوء في عمله؛ يباشرون بحياكة المؤامرات للإطاحة به^(٢). ولم يقف طموح الخواجهات بتحكمهم بشخصية الشاه؛ بل عملوا على خلق الخلافات بين أصحاب المناصب العليا في الدولة، فمثلاً أضحى مسؤول حماية الشاه (القورجي باشي) يعمل ضد الوزير، فأضحت الخلافات والتمزق السياسي ينخر في هيكلية الدولة مما أدى الى تكتل المسؤولين في فرق ومجاميع، تحاول كل مجموعة القضاء على الأخرى، وغالباً ما يأخذ الصراع طابعاً مذهبياً او قومياً، والواقع انه يدور في أكثر الأحيان حول الثراء والسلطة، فأخذ الخواجهات يوجهون تلك الخلافات وردود أفعال تلك المجاميع المتصارعة باتجاه منافعهم الشخصية، وفي خضم تلك التطورات تعطلت شؤون الدولة وعم الفساد والظلم في

(١) لارنس لكهارت، بيشن، ص ٣٤.

(٢) محمد خليل المرعشي الصفوي، مجمع التواريخ، مكتبة طهوري وسنائي، تهران، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

جميع انحاء البلاد، واضحت علاقة رجال الدولة ببعضهم متوترة وعدائية، كما صارت الخلافات بين الخوارج والحاشية ملموسة حتى قبل وصول الشاه سلطان حسين الى الحكم، ولكن أسلافه من الشاهات تمكنوا من خلق توازن بين تلك المجاميع والفصائل المختلفة بأن جعلوا من أنفسهم المحور او المركز الذي يحرك المشهد، أما الشاه سلطان حسين فلم يستطع تهدئة الأمور أو وضع حد لذلك التنافر ، وما زاد الطين بلّة انه كان يدعم مجموعة على حساب الأخرى وكانت كل مجموعة تستثمر اتباع الشاه لصالحها وتعمل على القضاء على المجموعة الاخرى، فاستمرت هذه الخلافات حتى نهاية العصر الصفوي في ايران وأدخلت البلاد في دوامة من الفوضى^(١).

ومع ان الشاه سلطان حسين كان يميل إلى السلم والبساطة والزهد في حياته، فقد كان في السنوات الأولى من حياته معتكفاً للعبادة والزهد، حتى اطلقت عليه تسمية الملا حسين ولقب بالدرويش لشدة زهده، فيقضي معظم وقته في ممارسة هواياته، في وقت لم يكن يتوقع أن يعتلى عرش الدولة ويتولى شؤون الحكم يوماً والأدهى من ذلك انه كان مؤمناً بالخرافات^(٢). فلم يصدر منه طوال مدة حكمه، حكماً بالقتل على شخص، حتى يروى عنه أنه في يوم ما قتل طيراً بسهم بحديقة قصرة، فانتابه شعور بالندم وتصدّق بمبلغ مائتي تومان للفقراء^(٣)، ما يعني ان الشاه سلطان حسين كان يمتلك شخصية عطوفة وحنونة، بل يمكن وصفه انه من أضعف شاهات السلالة الصفوية الذين حكموا ايران، منذ ان أختار الخوارج والحريم الشاه سلطان حسين، وهم يعلمون أنه لا يمتلك المؤهلات التي تمكنه من قيادة الدولة، فأخذوا يحاولون اقناعه بالكف عن الزهد والعبادة، ولكن فيما بعد ادركوا أن الامور تسير باتجاه رغباتهم، فأضحى البلاط الصفوي مسرحاً للصراع فيما بينهم لتحقيق طموحاتهم السياسية ومنافعهم الشخصية، بسبب ابتعاد الشاه عن الحكم وانشغاله بالزهد وميوله الدينية واهتمامه الشديد بطقوس العبادة، فضلاً عن اصدار امر بإغلاق كافة اماكن

(١) محمد خليل مرعشي صفوي، بيشين، ص ٣١.

(٢) لارنس لكهارت، بيشن، ص ٥١.

(٣) عباس حسن الموسوي، المصدر السابق، ص ٢٩٢؛ نهله نعيم ، المصدر السابق ، ص ٧٧.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بيع الخمر وتناولها، وأقرّ عقوبة الجلد لمن يخالف هذه القوانين، وبالفعل فقد أمر بجلد رجلين في العاصمة اصفهان بعدما ثبت عليهم أنهم مخمورون، كما أغلقت جميع بيوت القمار والبغاء^(١).

لكن جهوده واجهت فيما بعد معارضة أوساط مختلفة من الحاشية ورجال القصر الذين لم يرحبوا بها، لأنها تتعارض مع مصالحهم لاسيما مشاريع منع تداول الخمر لما تدرّه من مكاسب وعوائد مالية، إذ كانت تجارة الخمر تحظى باهتمامهم، لا سيّما الخواجات الذين كان أغلبهم من بلدان كانت تبيع لهم تلك التجارة، وقد خلق ذلك شرخاً كبيراً بينهم وبين الشاه الذي اتهمهم بالكفر، وأدرك بأن طموحاتهم تتعارض مع سياسته، وفي خضم هذه التطورات وعجزهم عن الغاء قرار الشاه، وخوفاً على منافعهم الشخصية؛ فقد أعلنوا التوبة، لأنهم كانوا يخشون من مواجهة قرار الشاه بحكم رمزيته الدينية والسياسية، الأمر الذي يسيطر على المتنفيين والمقربين منه، بل لم تكن مواجهة شخصية دينية مثل الشيخ العلامة المجلسي بالأمر السهل، لاسيما انه إتخذ خطوات صارمة تجاه ذلك الأمر ومحاولاته إجراء تغييرات روحية و اجتماعية في البلاد انسجاماً مع رؤية علماء الدين بتطويق الفساد الأخلاقي السائد، حيث نقش القرار على أحجار المساجد الكبيرة في العاصمة اصفهان وباقي مدن إيران^(٢)، إلا أن هذه الإجراءات لم تستمر طويلاً، لا سيّما بعد وفاة العلامة المجلسي سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٩م، وبدأت الحاشية ورجال البلاط يعدّون العدة لخلعه، فحاولوا التواصل مع عمته مريم بيكم مستثمرين العلاقة الطيبة بينهما، ليعرفوا في النهاية كيف يكسبون عطف الشاه، على الرغم من أن تعاملهم مع شخصه لم يخل من الجرأة والخديعة، بل وتمكنوا من جعله يدمن الخمر ويبتعد عن التدين، وذلك بعد أن ادّعت عمته أن مرضاً ما ألمّ بها، فوصف لها الاطباء علاجاً هو أن تشرب كمية قليلة من الخمر، فطلبت منه أن يسهم بشرب القليل من الخمر معها، إلى أن نجحت بأقناعه ويعدل عن توبته، وبذلك اضحى بالتدريج مدمناً على الخمر والمسكرات، ليتمكنوا بالنهاية من بسط نفوذهم عليه من جهة،

(١) عبد الكاظم مجتبى زادة، ببشين، ص ٥.

(٢) رسول جعفریان، صفوية از ظهور تا زوال، ص ٤٠٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ومن جهة اخرى اضحى شغوفاً بحب النساء، فوصل حد الاهتمام لديه بتهيئة الملابس الباهظة الثمن لنسائه المفضلات، وتوفير كل مستلزمات الرخاء والترف لهن، فضلا عن قيامه بأرسل مبعوثه في اوائل عام (١١١١هـ / ١٧٠٠م) الى مناطق مختلفة لإحضار الفتيات الجميلات له، حتى سمي ذلك العام (ميزرون) اي عام النساء، كما شيّد لهن قصر فرح اباد^(١)، ليتشجع الحكام والولاة على اختيار أجمل الفتيات ويبعثوهن كهدايا للشاه سلطان حسين، لأدراكمهم بشغف الشاه بالفتيات الجميلات، فكانوا يبعثون النساء مع الضرائب في بداية كل عام^(٢).

كما ارتكز الشاه على الخواجات ومنحهم نفوذاً مكنهم من التدخل في صلاحيات الشاه والوزراء، ذلك النفوذ الذي جعل الوزراء لا يستطيعون ردعهم عن التدخل، فكان الخواجات يرون في شخصية الشاه وريثهم الوحيد، وحينما تتعرض البلاد الى أزمة مالية لا يمكن اتخاذ أي إجراء أو اصدار اي امر دون مشورة الخواجة المسؤول عن خزينة الشاه، لاسيما بعد ان تسنم الكرجيون في تلك الأيام مناصب كبيرة ومهمة في الدولة، أما أولئك الذين لم تنط بهم مناصب حكومية؛ فهم يقيمون بصورة دائمة في قصور الشاه في أماكن مخصصة لهم، فينفق عليهم من خزينته ليتمتعوا بامتيازات ونفوذ، لدرجة أضحت خزينة الشاه توكل اليهم وهم المسؤولون عنها، فضلا عن محتوياتها من الهدايا الثمينة التي كانت تقدم الى الشاه، وفي خضم هذه التطورات أضحت حكومة الشاه سلطان حسين خارجة عن سيطرته،

(١) يُعدّ قصر فرح آباد آخر المشاريع العمرانية في أواخر العصر الصفوي، وقد أنشأه الشاه ضمن حيٍّ جديد حمل الاسم نفسه في الجهة الجنوبية الغربية من أصفهان، على حافة السفوح الجبلية المطلّة على العاصمة. امتاز موقعه باتساع أرضه واعتدال مناخه، مما جعله مقراً صيفياً للشاه، وجمع بين العزلة الطبيعية والقرب من مركز الحكم. فضّم المجمع قصوراً وحدائق وبساتين، وقُسم إلى قسم خاص بإقامة الشاه وحاشيته وآخر للخدمة والاستقبال، وشيّد في معظمه من الطين واللبن على وفق الأساليب المعمارية الشائعة آنذاك. وتمثّلت أهميته في كونه آخر مظهر بارز للنشاط العمراني الصفوي، ودليلاً على استمرار تقاليد إنشاء الضواحي الملكية ذات الطابع الحدائقي في أواخر عهد الدولة. وسن عبد العظيم الايدامي، المصدر السابق، ص ٩٠؛ نهله نعيم، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) محمد هاشم اصف رستم الحكماء، رستم التواريخ، تصحيح: محمد مشيرى، انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م، ص ٧٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

فلم يكن اصدار القرار يتمثل بشخص الشاه؛ انما يمر بعدة اشخاص قبل صنع القرار، فقد تزايدت امكانية البعض من حاشية الشاه، وظهر ذلك واضحاً حينما عزل الشاه سلطان حسين الوزير الأعظم ميرزا محمد طاهر في سنة ١١١٠هـ / ١٦٩٩م، على الرغم من كونه يمتلك الخبرة والمؤهلات واتصافه بالرصانة والحكمة ورجاحة العقل، وعيّن مكانه محمد مؤمن خان شاملو الذي كان أيشك اغاسي باشي أو (مسؤول تشريفات البلاط)، والذي وصفه الهولنديون والانكليز بأنه رجل اتصف بحب للمال وتعاطي الرشوة^(١).

وفي الاطار نفسه؛ تزايد نفوذ الحريم السياسي والاجتماعي لا سيّما أن مقر الحكم كان في جناح الحريم، وبذلك تزايدت المنافسة والمؤامرات بين الخواجات والحريم والغلمان، ووضحت المناصب في الدولة معروضة للبيع والشراء ما جعل من يتولى المناصب العسكرية وحكم الاقاليم في تغير مستمر، وهو امر يتنافى مع شروط واقع الدولة السياسي آنذاك، فمن الطبيعي ان يلقي بضلاله على واقع البلاد، فانزلقت البلاد في مآزق سياسية خطيرة حيث الانهيار السياسي الذي انعكست اثاره على الحالة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، وهكذا عدّت المرحلة التي بدأت بتولي الشاه سلطان حسين العرش مرحلة الانهيار التدريجي وانتهت بعدم قدرته من إحكام سيطرته على مقاليد الأمور في الدولة وكانت بداية نهاية الدولة^(٢).

ثانياً : فقدان العرش والغزو الأفغاني (١٧٢٢-١٧٢٩م) ونهاية الدولة الصفوية .

شهد مطلع القرن الثامن عشر تزايد انحلال الاسرة الصفوية وانهيارها، كما لم يكن الجيش الصفوي مؤهلاً ومجهزاً من الإدارة، إذ شهد حاله من الفتور، بل لم يعد بإمكانه اخماد الثورات الداخلية الكثيرة أو التصدي للخطر الخارجي، الذي تجسد آنذاك بتمرد

(١) عبد الحسين نوائي، بيشن ، ص ٦٣.

(٢) عباس پوراييران، روابط ايران وعثماني در عهد صفويان، مؤسسة چاپ وانتشارات دانشگاه فردوسي، ١٣٨٥ هـ ش / ١٩٦٥م، ص ١٤٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

عشائر الغلزائي^(١) الافغانية، في وقت كان اقليم أفغانستان^(٢) مفككا بين امبراطورية المغول في الهند والدولة الصفوية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، فقد كانت افغانستان مجزأة الى ثلاثة اجزاء، الجزء الغربي تابع للدولة المغولية في الهند، والشرقي والذي يشمل هراة وسيستان تابع للدولة الصفوية، اما اقليم قندهار؛ فقد كان محطة صراع بين الدولتين الصفوية والمغولية^(٣)، وسكنت قبائل الغلزائيين الجزء الجنوبي في حين سكنت قبائل الدوراني الأجزاء الشرقية التي اطلق عليها فيما بعد اسم العبدلي، وفي الوسط توجد قبائل مغولية هي الهزارة^(٤) وتيماني وشهرايماك^(٥).

(١) تُعدّ قبيلة الغلزائيين (الغلزانية) من أبرز التكوينات القبلية في أفغانستان، إذ شكّلت الكتلة السكانية الرئيسة في قندهار، ونافست قبيلة الأبداليين في الحجم والنفوذ، بما منحها حضوراً فاعلاً في موازين القوى القبلية والسياسية في المنطقة. وقد تركّز انتشارها في الأودية العليا لنهر هلمند، وامتدّ إلى مناطق ترنك وأرغنداب وأرغسان، فضلاً عن امتدادها شرق غزنة حتى خوست ووزيرستان، الأمر الذي أتاح لها السيطرة على مسالك حيوية تربط بين جنوب أفغانستان وشرقه. وأسهم هذا الانتشار الجغرافي الواسع، إلى جانب بنيتها القبلية المتماسكة، في تعزيز دورها في التفاعلات السياسية والعسكرية، لا سيما خلال أواخر العهد الصفوي، حيث برزت بوصفها قوة قبلية مؤثرة في التحولات التي شهدتها المنطقة. علي حسون، تاريخ افغانستان، دار الزوية، (د.ت.)، ص ٢٤-٢٥.

(٢) يرى بعض المؤرخين أن تسمية الأفغان ترجع إلى لفظ «الأفغان» المشتق من كلمة فارسية تعني الأنين، في حين يذهب رأي آخر إلى أن تسميتهم تعود إلى جدّ يُدعى «أفغان». جمال الدين الافغاني، تنمة البيان في تاريخ الأفغان، مصر، ١٩٠١م، ص ١٣.

(٣) مير غلام محمد غبار، جغرافياى تاريخى افغانستان، چاپ دوم، مطبعة ميوند، قم، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦م، ص ١٢١.

(٤) تُعدّ قبيلة الهزارة من الجماعات السكانية المعروفة في أفغانستان، ويُرجع أصلها إلى عناصر مغولية استقرت في المنطقة منذ زمن مبكر. وقد عاشت هذه القبائل في المناطق الجبلية الواسعة الممتدة من وادي هري رُود في هراة، ويتحدث أفرادها اللغة الفارسية، كما يعتنق معظمهم المذهب الشيعي. ويُطلق الإيرانيون على الهزارة الشيعة المقيمين في مشهد اسم «البربر»، وهي تسمية لا يفضلها أفراد هذه الجماعة. وقد تعرض الهزارة عبر حقبة مختلفة إلى هجمات من بعض الجماعات المجاورة المخالفة لهم في المذهب، لا سيما قبائل الأوزبك والترکمان، الأمر الذي دفعهم إلى الاستقرار في المناطق الجبلية والتحصن بها. وارتان كريكوريان، ظهور افغانستان تاريخها رجالاتها، ترجمة: علي عالمي کرمانی، دار الصفوة، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٨١-١٨٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٣.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

أضحت مسألة إقليم قندهار تحظى بأهمية مشتركة لدى الدولة الصفوية والدولة المغولية في الهند، وتبين فيما بعد ان الهند قد تجاوزت مسألة قندهار بعدما بدأ الصراع الداخلي حول العرش الصفوي وتبادل البعثات الدبلوماسية بين الدولتين، فأضحت قندهار تشكل جزءاً من الدولة الصفوية، وظل الأفغان تحت ظل الحكومة الصفوية حتى السنوات الأوائل من حكومة الشاه سلطان حسين، ولكن بعد مدة تعرض الأفغان للظلم والاضطهاد من الولاة فبدأوا يخططون للاستقلال عن الدولة الصفوية^(١).

وأسهمت الكثير من العوامل التي جعلت من إقليم قندهار، والقبائل التي تشكل ركيزة أساسية منه خطراً يلوح للوجود الصفوي بالانهيار، منها تمسك الدولة الصفوية بفرض نفوذها على الاقليم الذي تسكنه غالبية سنية، ولم تتقبل تلك القبائل الوجود الشيعي على الرغم من رضوخها لمدة طويلة الى السيطرة الصفوية، والعامل الاخر هو الهجمات التي قامت بها قبائل البلوش على اقليم قندهار، وبعد المسافة بين العاصمة الصفوية وقندهار وبذلك بدأت الحكومة الصفوية تدخل في صراع مع القبائل الغلزائية، فأرسلت الدولة الصفوية عام ١٧٠٤م كركين خان الكرجي^(٢) المعروف بالذئبي^(٣) الى قندهار لإعادة النظام والقضاء على التمرد، وقد اتسم كركين خان بالقوة والشجاعة، فأثار تواجد الرعب في سكان قندهار، فتوجه برفقة عشرين ألف مقاتل من اتباعه الجورجيين الشجعان، وتمكن من قمع حركتهم، ولم يغفل من كان وراء ذلك التمرد، فأخذ يحقق عن اسباب التمرد ومن كان وراءه^(٤).

(٢) كوركين خان: أمير كرجي كان حاكماً على إقليم كرجستان (جورجيا) حاول الاستقلال ببلاده، لكنه لم ينجح فعزله الشاه سليمان سنة ١٦٨٨، ثم عفا عنه وأعادته إلى منصبه سنة ١٦٩١، وكان نصرانياً ثم اعتنق الإسلام وكان كوركين خان يتصف بالكفاءة والشجاعة فدعاه الشاه حسين إلى بلاطه ليستفيد من خدماته في قمع أي تمرد أو اضطراب يحدث في البلاد، يراجع: شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٣) جمال الدين الأفغاني، المصدر السابق، ص ٢٤.

(٤) Sir John Malcolm, The History of Persia From the most early period



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

اتبع كركين خان في حكم قندهار سياسة التنكيل والقسوة على الافغان الغلزائيين السنّة بوصفهم تابعين لدولة شيعية المذهب، فعرض رؤساء القبائل الى الإهانة من جنوده، فنتجت عن هذه الظروف اوضاعاً لا تحتمل لدى الأفغان، من هنا برز دور مير ويس في اقليم قندهار، وفي الوقت نفسه كان الأفغان مجزئين الى قبائل كثيرة كل منها تشكل اثني عشر ألف عائلة كبيرة، وكان مير ويس رئيس احدى القبائل، ويعد من زعماء القبائل الغلزائية البارزين، وكان يمتلك نفوذاً وقوة بينهم ويتمتع بثروة كبيرة، وكانوا يعدّونه حاكمهم الشرعي، فاستثمر تلك الحوادث لأثارة الناس ضد كركين خان الكرجي، واخذ يخطط للإطاحة به عند الشاه بحثهم للذهاب الى اصفهان وعرض شكاوهم على الشاه حول طبيعة حكم كركين خان الكرجي وما يتعرضون له من ظلم وتعسف^(١).

أثار ذلك الموقف كركين خان، فلم يمرر ذلك المخطط دون ردة فعل منه فأزاد حملات التنكيل ضدهم، فاتهم مير ويس بأنه السبب في اشعال فتيل الاضطرابات في قندهار، فشدد في اجراءاته في تصرفاته معهم وثار قبائل الغلزائيين ضده حينما ارسل مير ويس أسيراً الى اصفهان مقيداً^(٢). لكن مير ويس استثمر وجوده داخل البلاط الصفوي فكسب أعداء كركين خان من الوزراء الى جانبه بعدما اتضحت امامه مظاهر الفساد في حاشية الشاه، فقام مير ويس بتقديم الهدايا لهم والتي بلغت حوالي (٣٠ ألف تومان)، واستطاع من خلاله أن يعرض أمام الشاه معاناة قبيلته وتصرفات كركين خان مع سكان قندهار، وبذلك فسرعان ما تبدلت الادوار لدى مير ويس من سجين مقيد الى أحد المقربين من الشاه حسين بعدما نال عفوه^(٣).

في تلك التطورات تمكن مير ويس من العودة الى قندهار، واخذ يفكر بخطط أكثر دقة، وكانت العقبة الأساسية لأفشال المخطط هو كركين خان، لذلك كرس نفوذه للإطاحة

to the present time, Vo1, I, Tehran, 1976, p. 602.

(^١) Ibid., p. 603.

(^٢) شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٦٤.

(^٣) جمال الدين الافغاني، المصدر السابق، ص ٢٧.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

به^(١)، فوظّف مير ويس الخلاف المذهبي (السني الافغاني/ الشيعي الصفوي) لتحقيق طموحاته في الاستقلال، لأنه تيقن أن عامل المذهب هي التي سوف توحد صفوف القبائل الأفغانية، فيصبح المدافع عن السنة والمنتقم لسكان قندهار، وتوظيف ظروف الدولة الصفوية لصالحه، لا سيما وهي في حالة هشّة، متخذاً الحراك المذهبي غطاء لتحقيق اهدافه، فذهب الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ليستثمر تواجدته هناك ويجتمع بفقهاء المذهب الحنفي، الذي هو من اتباعه، وشرح لهم معاناة الافغان من ظلم الحكم الصفوي وتعسفه، فحصل منهم على فتوى تجيز له محاربة الصفويين والتخلص من سيطرتهم بحجة انهم اضحوا يشكلون خطراً كبيراً، وبعد اتمام فرضية الحج رجع مير ويس الى قندهار، فالتف حوله الكثير من الاتباع فضلاً عن ابناء قبيلته، فشكّلت عودته هاجس قلق لدى كركين خان، الذي أخذ يخطط للانتقام منه^(٢)، لكن مير ويس اخذ يجمع القادة الأفغان ويطلعهم على مخطط كركين خان، فلما شعر الأفغان بخطورة الموقف؛ أخذوا يحثون مير ويس على المقاومة بسبب الاضطهاد الذي عانوه وأن عليه ان ينتقم لقبيلته، معاهدين إياه انهم سيضخّون بحياتهم من أجله^(٣).

في تلك التطورات اتبع مير ويس سياسة اشعال فتيل الفتنة، فقد حثّ كبار احدى مناطق قندهار على الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة الصفوية، الأمر الذي جعل كركين خان يبادر الى اصدار أمر الى جنوده بالتوجه لتلك المنطقة لقمع المتمردين، وفي الوقت نفسه ارسل مير ويس الى اتباعه بأن يكونوا جاهزين على مقربة من قندهار، كما أرسل وفدا الى كركين خان يبلغه أن زعماء القبائل يريدون ان يقدموا اعتذارهم للحكومة، وذلك بغية استدراج كركين خان الى المكان الذي يريده مير ويس، فأقام مير ويس احتفالية

(١) عبد الله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسله ماده تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهران، ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٧ م، ص ٤٠٣؛ احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري ١٧٣٦-١٧٤٧، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧ م، ص ١١-١٣.

(٢) جمال الدين الافغاني، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) رزق الله منقريوش الصوفي، تاريخ دول الاسلام، مج ٣، مطبعة الهلال، مصر، ١٣٢٦ هـ/ ١٩٠٨ م، ص ٢٣٥.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بمناسبة اللقاء بين كركين خان ورؤساء القبائل، فأمر مجموعة من الأفغان المسلحين بدخول المنطقة بعد زوال النهار وحلول الليل، ففي الصباح وصل موكب كركين الى المنطقة، وكان في استقباله رجال مير ويس الذين أقاموا له وليمة كبيرة، وحينما كان كركين في حالة سكر شديد؛ قام مير ويس بقتله مع جميع حاشيته وذلك في سنة (١١٢١ هـ / ١٧٠٩ م)، وبعدما قتل عدوه؛ أمر أن يجمعوا ملابس واسلحة وخيول المقتولين وتوزيعها على رجاله، فقام هو بارتداء ملابس كركين وحمل عدته الحربية، وعاد برجاله إلى قندهار، وعند وصولهم الى البوابة ظنّ حراس البوابة بأنه كركين خان ورجاله، ففتحوا لهم البوابة فقتلهم جميعاً بأمر مير ويس^(١).

بعدما تمكن مير ويس من الدخول الى قندهار قام بتقسيم رجاله الى عدة مجاميع، وفي خضم هذه التطورات التحقت بهم قبائل الأفغان الأخرى، واستطاعوا السيطرة على معسكرات المدينة، وقد ساعدتهم على ذلك الأفغان المتواجدين داخل المدينة، وبعد السيطرة التامة على قندهار، قام بالقضاء على كل اتباع الدولة الصفوية من الفرس والترك والأفغان الشيعة الموجودين في المدينة خلال ايام قليلة، هنا بدأ مير ويس يفكر بالكيفية التي يواصل فيها مشروعه السياسي، فقد اجتمع بأشراف الغيلزائيين وأعيانهم موضحاً لهم بأن ما قام به ليس من أجل السلطة؛ بل من أجل الأفغان لتحريرهم من الظلم، فلقى مير ويس تأييد هذه القبائل التي وظفت المذهب السني الحنفي بوصفه رابطاً بين عناصرها، ففضلت الغالبية العظمى من مؤيدي مير ويس، القتال والانفصال عن حوزة الصفويين، وكانت هذه القبائل قد اقسمت له على الوقوف الى جانبه، كما حثّ رؤساء القبائل على ضرورة الوحدة من أجل امن قندهار^(٢).

بعد ان سيطر مير ويس على قندهار جاء كبار الأفغان واعيانهم من اطراف مناطق كوهستان، ليعبروا لمير ويس عن شكرهم وامتنانهم لتحريرهم من الحكم الصفوي، ومن ثم اتفقوا جميعهم على اختيار مير ويس حاكماً عليهم، وعلى أثر ذلك ذهب مير ويس الى

(١) Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 607.

(٢) رزق الله منقريوش، المصدر السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

المناطق الجبلية لإقليم قندهار لجمع أكبر عدد من الجنود الأفغان، وأمام إصرار مير ويس على رفض نداء الشاه لوقف التمرد؛ بدأ الصراع بين الأفغان والحكومة المركزية في اصفهان يتصاعد، الأمر الذي جعل الشاه يأمر حاكم هراة محمد خان أن يتجه إلى قندهار ومعه جيش قوامه خمسة عشر ألف جندي، ليعيد مير ويس العدة بجيش مكون من خمسة آلاف جندي فقط، فدارت بينهما معركة شديدة، ودارت الدوائر فيها على الجيش الصفوي الذي فر من المعركة^(١)، وفي خضم هذه التطورات عجلت المنية بمير ويس الذي توفي في (١١٢٧هـ / ١٧١٥م) تاركاً خلفه اثنين من أولاده، وعلى وفق الأعراف والقوانين الأفغانية؛ فإن أحدهم يجب أن يكون الحاكم بعد أبيه، وبما أنهما لم يكونا مؤهلين لإدارة حكم قندهار التي نالت استقلالها حديثاً، فتم اختيار مير عبدالله شقيق مير ويس حاكماً خلفاً لأخيه، والذي كان معروفاً بميله للسلم، فقرر أن يتفاوض مع الحكومة الصفوية لعقد الصلح وتسليم قندهار للشاه، وفي خضم هذه التطورات انقسمت القبيلة الغيلزائية إلى مجموعتين: ضمت الأولى المواطنين المحبين للصلح^(٢)، أما المجموعة الثانية فقد ضمت رجال الحرب المتحمسين لروح المقاومة فرفضوا فكرة الصلح، لكن مير عبدالله لم يكثر إلى ذلك الانقسام الذي حدث في أفراد القبيلة، وظل مصراً على التفاوض والتصالح مع الحكومة الصفوية^(٣).

في تلك التطورات، ظهر على المسرح السياسي والعسكري مير محمود ابن مير ويس الذي كان يبلغ من العمر ثمانية عشرة عاماً، والذي كان يرى أحقيته في حكم قندهار بدلاً من عمه مير عبدالله، ويروي بعض المؤرخين إلى أن مير عبد الله كان خائفاً من تغيير الولاءات، لأنه وجد بعض الأفغان يميلون إلى ابن أخيه محمود أكثر منه، فأراد أن يستنجد

(١) حسن حسيني فسائي، تاريخ فارس نامه ناصري، جلد اول، مؤسسه انتشارات امير كبير، تهران، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م، ص ٢٢٥.

(٢) رزق الله منقريوش، المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٣) (Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 612).



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بالشاه، فارسل له رساله اعلن فيها خضوعه وطاعته. ^(١)، مستثمراً الخلاف بين القادة الأفغان ومير عبدالله، فتجمع حوله قادة قندهار المعارضون للصلح مع الحكومة الصفوية، وعاهدوه على الطاعة واعلانه حاكماً لقندهار، فتمكن أن يجمع حوله الرجال المقربين من والده وهم ما يقرب من الأربعين رجلاً، فاتفقوا سوية على التخلص من عمه، وبالفعل فقد ذهب محمود الأفغاني مع اتباعه في (ذي القعدة ١١٢٨هـ/ كانون الأول عام ١٧١٦م) الى حيث يقيم عمه مير عبدالله ودخل الى غرفته ليجده يغط في نوم عميق فأنقض عليه وقتله ^(٢). وكان محمود قد خاض حروباً مع والده فاثبت شجاعة منقطعة النظير خلالها، لذا رحب به الغيلزائيون ورضوا به حاكماً عليهم، كما تجمع الناس حوله، وهكذا كشف ما قام به مير ويس ومن بعده ابنه مير محمود، حالة الهشاشة التي كانت عليها الدولة الصفوية، فجمع محمود الأفغاني ما يقارب الأحد عشر ألف جندي تحت أمرته، وتحرك في تموز سنة ١٧٢٠م باتجاه كرمان، وخلال مسيرته قام بتدمير مدينة نورماشيد ^(٣). وفي خضم هذه التطورات سمع البلوش وبعض افراد القبائل في كابل بمشروع مير محمود السياسي فسعوا الى الانضمام اليه، فانضم اليه أحد كبار قادة الجيش في كابل والذي يدعى أمان الله خان ^(٤) ومعه مجموعة كبيرة من مقاتليه، فاتفق مع محمود على الانضمام اليه على ان يتم تقسيم غنائم الانتصار بينهم ان تحقق الانتصار على الدولة الصفوية، ونتيجة الخبرة العسكرية الكبيرة لأمان الله خان، فقد جعل مير محمود قائداً للجيش وذلك قبل ان يتوجه للسيطرة على كرمان ^(٥).

(١) علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران الداخلية...، ص ٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(٣) جمال الدين الأفغاني، المصدر السابق، ص ٣٩.

(٤) كان أحد زعماء قبائل الأفغان ومن أبرز المعارضين للحكومة الصفوية، وقد تمتع بنفوذ واسع وكثرة الأتباع. تحالف مع محمود الأفغاني.

Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 614.

(٥) احمد كاظم محسن البياتي، بلاد فارس والاحتلال الافغاني ١٧٢٢-١٧٢٥، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد الواحد والخمسون، ٢٠٠٧، ص ٧٥.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ويُرجح سبب احتلال تلك المناطق إلى ما كان يتعرض له أتباع الأديان والمذاهب المختلفة من مضايقات دينية على يد الولاة والحكام وممثلي الحكومة المركزية، إذ تزايدت النزعات الطائفية وتعرضت تلك الفئات للإهانة وسوء المعاملة. لذلك عُدَّ دخول الأفغان، بالنسبة إلى الزرادشتيين، بمثابة تحريرهم من القيود والاضطهاد التي كانوا يعانون منها^(١)، فقد اسهم الزرادشتيون^(٢) المقيمون في كرمان أن يمتنعوا عن خوض الحرب ضد الجيش الأفغاني، لذلك قرروا فتح بوابات المدينة أمامه، بعدها توجه محمود الأفغاني بجيشه من كرمان إلى يزد، فوصلها في (جمادى الأولى ١١٣٤هـ / شباط عام ١٧٢٢م)، وحاول فرض سيطرته عليها، لكن أهالي يزد أغلقوا بوابات المدينة بعد أن علموا بمستوى البطش والقسوة التي تعامل بها الأفغان مع أهالي المدن الأخرى، ففرض حصارا عليها، في الوقت الذي كان يطمح بالوصول إلى العاصمة اصفهان دون أن يطيل الحصار على مدينة يزد، لذلك تركها وواصل مسيره، واتجه إلى العاصمة اصفهان، وقد ألفت تلك الأحداث بضالها على الدولة الصفوية حينذاك، فازدادت مشاعر القلق والخوف في العاصمة نتيجة تقدم

(١) مير محمد صديق فرهنگ، افغانستان در پنج قرن اخير، جلد ١ و ٢، تهران، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م، ص ١١١.

(٢) يُعدُّ الزرادشتيون من المكوّنات الدينية التاريخية في إيران، وهم أتباع الديانة الزرادشتية المنسوبة إلى مؤسسها زرادشت، فتُعدُّ من أقدم الديانات التوحيدية في تاريخ المنطقة. وتتركز تجمعاتهم السكانية بصورة رئيسة في مدن كرمان ويزد وزاهدان، حيث يشكّلون نسبة تُقدَّر بنحو (١٠٪) من مجموع سكان البلاد، مع وجود جيوب سكانية أقل في مدن أخرى. وقد حافظت هذه الجماعة على هويتها الدينية والثقافية عبر قرون طويلة على الرغم من التحولات السياسية والدينية التي شهدتها إيران، لا سيما منذ دخول الإسلام ثم قيام الدولة الصفوية التي كرّست المذهب الشيعي مذهباً رسمياً. ويُلاحظ أن الزرادشتيين يتمتعون بنوع من الاعتراف القانوني بوصفهم أقلية دينية، الأمر الذي أتاح لهم ممارسة شعائرهم ضمن حدود معينة. وتمتلك هذه الجماعة أماكن خاصة تُعرف بـ (تالار) تُقام فيها احتفالاتهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية، فضلاً عن وجود معابد النار (آتشكده) التي تُعدُّ من أبرز رموز عبادتهم، إذ تحتل النار مكانة مقدسة في معتقداتهم بوصفها رمزاً للنقاء والحق. كما يلتزم الزرادشتيون بجملة من الطقوس والتقاليد المرتبطة بدورات الحياة، مثل طقوس الزواج والوفاة، التي تعكس استمرارية تراثهم الديني. وتشير هذه المعطيات إلى أن الزرادشتيين، وعلى الرغم من محدودية عددهم؛ فإنهم ما زالوا يمثلون امتداداً حياً لإرث ديني وحضاري عريق في إيران، محافظين على خصوصيتهم ضمن نسيج المجتمع الإيراني المتعدد. سامح سعيد عبود، الاقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٢٤٢-٢٤١.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الأفغان، ونتيجة لذلك أقدم الشاه سلطان حسين وحاشيته على مغادرة العاصمة للإقامة في الخيام بجوارها^(١).

واصل محمود الأفغاني وقواته لتنفيذ المخطط السياسي العسكري وبسط سيطرته فتوجه الى منطقة كلناباد^(٢) التي كانت تبعد مسافة ستة عشر كيلو متراً شرق العاصمة اصفهان، وجهاز قواته المدربة والمجهزة في منطقة كلناباد لتكون قاعدة لعملياته العسكرية التالية، حينها عثر محمود الأفغاني على أربعة عشر مدفعاً من المعدات القتالية الصفوية متروكة هناك في كلناباد، فضلاً عن مخزن بارود ورصاص^(٣)، في وقت كان الشاه حسين في حالة حيرة وتردد امام تطورات الاحداث، فلم يكن باستطاعته اتخاذ قرار إزاء الخطر الأفغاني، لأنه كان ينتظر صدور قرارات الخواجات والحاشية بدلاً منه، فعقد اجتماعاً للوزراء والحاشية حضره كلاً من اعتماد الدولة محمد قلي خان، ومسؤول حماية الشاه علي خان ومسؤول الغلمان محمد رستم خان ومسؤول حملة البنادق لطف علي خان ورئيس تشريفات القصر حسين قلي خان ومير عبدالله خان الحويزة وعلي مردان خان كردستان وفرض الله خان همذان ورضا خان والي فارس وقاسم خان و قورجي باشي محمد خان^(٤)، وتمخض عن الاجتماع اصدار الشاه حسين بياناً أعفى به كل من ينضم الى الجيش الصفوي لمقاتلة

(١) Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 620.

(٢) تقع كلناباد ضمن المجال الجغرافي لإقليم خراسان، وقد شكّلت موقعاً وسيطاً مهماً على شبكة الطرق التاريخية التي تربط بين نيسابور ومشهد، فضلاً عن اتصالها بمحاور المواصلات الممتدة نحو شيراز ويزد، ما أكسبها قيمة جغرافية-استراتيجية بوصفها عقدة ربط بين مراكز حضرية ودينية وتجارية بارزة. وعلى الرغم من أن حضورها في المصادر الصفوية لم يكن بمستوى مدن كبرى في الإقليم؛ فإن موقعها القريب من مناطق التماس مع تحركات الأوزبك منحها بعداً عسكرياً غير مباشر، إذ شكّلت نطاقاً محيطاً للعمليات الدفاعية والهجومية. كما ارتبطت بأراضٍ ريفية واسعة تضم قرى متعددة، الأمر الذي عزز دورها كظهير زراعي داعم للمدن الكبرى المجاورة. ومن زاوية وظيفية نوعية، برزت كلناباد كمركز علمي فلكي، إذ ارتبط اسمها بنشاط علمي متخصص أسهم في تكوين تقليد معرفي محلي، ما يضيف على موقعها بُعداً استراتيجياً مزدوجاً: جغرافياً بوصفها محطة طرقية، وعلمياً بوصفها بيئة لإنتاج المعرفة الفلكية في الإقليم. عدي سامي المالكي، اثر المعتقدات...، ص ٥٩٥.

(٣) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ٢٧٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الأفغان من الضرائب لمدة ستة أشهر، فتمكن الشاه بذلك بجمع ما يقارب ثمانية عشر ألف مقاتل وأربعة وعشرين مدفعاً أمر بوضعها امام القصر وجعل قيادتها تحت محمد خان الطوبجي باشي (مسؤول المدافع)، فضلاً عن قيام محمد عبدالله والي عربستان بجمع اثني عشر ألف مقاتل^(١).

وتجمع الجيش في استعراض عسكري كبير وهو مكوّن من قوات القوللر (الحرس الخاص) وعددهم يقارب اربعمئة مقاتل يقودهم رستم خان^(٢)، وكان معهم حوالي اثنا عشر ألف مقاتل من العرب التابعين الى والي عربستان سيد عبدالله الاحوازي، وفوجين من مقاتلي الكرد الفيليين^(٣)، وكان الاول بقيادة علي مروان خان فيلي والثاني بقيادة علي رضا خان كركيلويه وعلي مردان خان كردستان وفرض الله خان همذان، ورافق الجيش الصفوي شخص عرف بفيليب كلمب^(٤)، وكان خبيراً بشؤون المدفعية لإدارة ما كان في حوزة الجيش الصفوي من المدافع الأربعة والعشرين، وكان الجيش بقيادة اعتماد الدولة محمد قلي خان شاملو^(٥).

ومن زاوية أخرى؛ كانت بحوزة الجيش الأفغاني أسلحة تقليدية، وهو مقسم الى ثلاثة مجاميع، فكان يقود الجناح الأيمن أمان الله خان القائد الكفوء والمتعلم، اما مقدمة الجيش فقد

(١) Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 621.

(٢) كان رستم من كبار رجال الدولة في العهد الصفوي، إذ تولّى منصب القوللر آغاسي، وهو من المناصب العسكرية الرفيعة في الدولة، ويتولى صاحبه قيادة أفواج القوللر والإشراف على تنظيمهم وإدارة شؤونهم العسكرية. وبفضل ما امتلكه رستم من مكانة ونفوذ في البلاط، عُدّ من الشخصيات المقرّبة والمعتمدة لدى السلطة، وكان له حضور في إدارة بعض الشؤون العسكرية والإدارية للدولة. مير محمد صديق فرهنك، بيشين، ص ١١٢.

(٣) وهي قبائل كردية فيلية شيعية المذهب تسكن المناطق الجنوبية والغربية من ايران. علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران...، ص ٦٣.

(٤) فيليب كلمب: فرنسي الأصل له خبرة في المدفعية لسنوات في الجيش الروسي، ومن ثم جاء إيران ليصبح مستشاراً لقائد الجيش الصفوي، مات تحت اقدام الخيول اثناء هروبه.

Steven R. ward A, Immortal Military History of Iran and its Armed Forces, Washington, 2009, p. 50.

(٥) علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران...، ص ٦٣.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

كانت بقيادة محمود الأفغاني، وكان الجناح الأيسر بقيادة نصر الله السلطان الزرادشتي^(١). كان مخطط الجيش الصفوي الهجوم في (٢٠ جمادى الأولى ١١٣٤ هـ / ٧ آذار ١٧٢٢ م)، لكن المنجمين نصحوا الشاه حسين بتأجيله الى اليوم التالي، فقد أخبر المنجمون قادة الجيش بأن مواقع النجوم لا تبشّر بالنجاح قبل الثامن من آذار، الأمر الذي أدى إلى تأجيل الهجوم إلى ذلك الموعد. كما أن الشاه، وبناءً على نصيحة أحد القادة، أمر الجنود بتناول ما عُرف بالحساء السحري، معتقداً أن ذلك سيجعل قواته غير مرئية للعدو. ويُذكر أنه بعد إعداد هذا الحساء وُضع في أوانٍ كبيرة، ثم تلت عليه آيات من القرآن الكريم ثلاثمائة وخمسةً وعشرين مرة، ليعتقد بعد ذلك أنه اكتسب قوة سحرية^(٢).

وكان محمود الأفغاني يحث جيشه على القتال ويرفع من معنوياتهم على الصمود والثبات، فبدأ رستم خان الهجوم الأول على الجيش الافغاني وتمكن من هزيمة نصر الله الزرادشتي، وعلى أثر ذلك الهجوم ارتبك الافغان وهرب الكثير منهم، لكن الهجوم المفاجئ الذي قام به اعتماد الدولة على الجانب الأيمن أحدث تغيراً في مصير المعركة إلى جانب الأفغان، كما قام أمان الله خان قائد الجناح الأيمن للجيش الأفغاني بمناورة عسكرية مباغطة، فتظاهر بالهروب والانسحاب من ساحة المعركة دون أن يحدث خلل في ترتيب صفوف الجيش فقد ظل محافظاً على تنظيمه، وبعد ذلك انطلق مئة مقاتل من جيشه ليشنوا هجوماً معاكساً، فتمكنوا من قتل الكثير من الجيش الصفوي الذي يلاحقهم، كما استطاع جنود أفغان الالتفاف خلف مدفعية الجيش الصفوي، وتمكنوا من الاستحواذ عليها وقتل رماثها، فحولوا اتجاهاتها واستخدموها لصالحهم في ضرب الجيش الصفوي، وعلى أثر تلك التطورات؛ قام اعتماد الدولة محمد قلي خان شاملو بالانسحاب والتراجع نحو أصفهان، ولم يتبق في ميدان المعركة سوى المسؤول عن حماية الشاه القائد رستم خان، فقام محمود الأفغاني وأمان الله

(١) وكان نصر الله زرادشتياً من سيستان، اشتهر بلقب كور سلطان بمعنى السلطان الاعلى لأنه اعتاد غلق إحدى عينيه، وكان قائداً شجاعاً للغاية فريداً في ذكائه وخبرته في إدارة أمور الجيش، وبسبب أخلاقه الطيبة وقلبه العطوف أحبه الافغان واختاروه قائداً لهم على الرغم من اختلاف الدين. نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه ...، ص ٢٨٠.

(٢) لارنس لكهارت، بيشن، ص ١٢١.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

خان حينما وجدا ساحة القتال خالية نتيجة انسحاب بعض القادة، بمحاصرة رستم خان وشن الهجوم المفاجئ عليه، الأمر الذي أسهم بإثارة الفوضى والتشتت في قواته وأجبرهم على التفرق، فعجلت هذه التطورات في حسم نتيجة المعركة، لذا فقد خسر الجيش الصفوي تلك المعركة التي سميت معركة كلناباد في (٨ جمادى الأولى ١١٣٤هـ / ٨ آذار ١٧٢٢م)، أسهمت تلك التطورات بانتشار الفوضى في أهالي أصفهان بعد هزيمة الجيش، واعتقدوا بأن الأفغان واصلوا تقدمهم لاحتلال العاصمة، فعرفوا أن نهاية الدولة الصفوية أضحت قريبة^(١).

كان محمود الأفغاني يتابع التطورات الداخلية في العاصمة اصفهان عن طريق جواسيسه، فأدرك بأن بإمكانهم الدخول اليها واحتلالها بسهولة، وأضحى محمود على ثقة بأنه سوف يقضي على الحكم الصفوي نهائياً، فواصل تقدمه نحو اصفهان، ثم استقر بعدها في منطقة شهرستان التي تبعد ثلاثة أميال (حوالي ٥ كم) عن مركز العاصمة اصفهان وشمال نهر زابنده رود^(٢). فواصل تنفيذ مخططة فاحتل في (٢ جمادى الآخرة ١١٣٤هـ / ١٩ آذار عام ١٧٢٢م) قصر الشاه في فرح آباد والأراضي الخصبة المحيطة حوله والتي تقع جنوب غرب جلفا وتبعد ثلاثة أميال (حوالي ٥ كم) عن مركز العاصمة وهي عبارة عن بساتين فيها عدد من الشلالات والحدائق وأنواع الزهور وأماكن مخصصة لتربية الحيوانات، أنفق الشاه سلطان حسين في استثمارها واعمارها الكثير من الأموال، فاتخذها قاعدة لعملياته^(٣). وفي الاطار نفسه؛ أصدر محمود الأفغاني قراراً بفرض حصار مشدد على اصفهان، والسيطرة على جميع مداخلها ومخارجها واغلاق جميع الطرق المؤدية اليها، وكان يبلغ عدد سكان اصفهان حينذاك حوالي ستمائة ألف نسمة، فضلاً عن أعداد من المهاجرين وفدوا من مدن أخرى قيل ان عددهم كان يبلغ حوالي مئة ألف مهاجر^(٤).

(١) علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران الداخلية...، ص ٦٦-٦٧.

(٢) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٤) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ٢٨٢.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

كان محمود الأفغاني يتجسس الأوضاع الداخلية في اصفهان عن كثب بواسطة جواسيسه، فقد امر مجموعة من الجنود أن يراقبوا بوابات العاصمة اصفهان وأبراجها، بعد ان تمكنوا من التقدم نحو البوابات، لكن الجيش الصفوي تمكن من مقاومتهم واجبارهم على التراجع الى مواقعهم، لذا شن محمود الأفغاني هجوماً عليها بعدما وصلتته معلومات بأن الجيش الصفوي ليس مؤهلاً لمواجهة، فباشر هجومه الأول على الحراس الموجودين على جسر شيراز، فتمكن من سحقهم وفرض سيطرته على الجسر ثم أمر بأرسال قوة للهجوم على المدن المجاورة لأصفهان بغية تضيق الخناق على العاصمة وتجويعها، كما امر بقطع المياه عنها، فانهارت القرى امام الجيش الأفغاني وحل بها الدمار والخراب^(١).

وبعدما استولى محمود على تلك القرى؛ قام بجمع المؤن الغذائية منها، وكان ينتظر الدعم من قوات اضافية من قندهار وكرمان والالتحاق بجيشه في فرح اباد، هناك بدأت آثار الحصار تظهر بصورة أكثر على سكان اصفهان الذين اعتادوا حياة الترف، مقابل ذلك؛ عمل محمود الأفغاني على دعم اعداد جنوده الأفغان الذين يسيطرون على جسر عباس آباد وعلى النقاط العسكرية الأخرى، واسنادهم ورفع معنوياتهم، ثم شرع بتأسيس نقطة عسكرية في جلفا، فأمر جنوده الباقين بالرجوع الى فرح آباد^(٢).

وفي خضم تلك التطورات؛ قرر الشاه اختيار ابنه الأكبر عباس ميرزا ولياً للعهد من بعده، بسبب تلك الصفات التي يحملها من شجاعة وقوة وتعقل، لكن نفوذ الحاشية وتأثيرها في شخصية الشاه جعلته يغير رأيه مع تلك الظروف القاسية والمصيرية التي تمر بها الدولة، فأمر بان يعيد ابنه عباس ميرزا الى القصر، ونصب بدلا عنه ابنه الثاني صفي ميرزا الذي حورب من لدن الخواجهات والحاشية، لذا تم عزله بعد شهر من تنصيبه^(٣). وفي خضم تلك التطورات اتفقوا على تنصيب طهماسب ميرزا الابن الثالث للشاه ولياً للعهد، الذي كان الشاه قد قام بإرساله بعد ثلاثة اشهر من الحصار على أصفهان وتحديداً في (١٤

(١) المصدر نفسه.

(٢) احمد كاظم البياتي، المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

(٣) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ٣٠٥.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

رمضان ١١٣٤هـ / ٢٧ حزيران ١٧٢٢م) برفقة مائتين من اتباعه الى قزوین ليجمع المقاتلين وحث الناس على قتال الأفغان^(١).

قرر الأمير طهماسب ميرزا وقواته الخروج من بوابة طوقجي التي كانت من مسؤولية محمد بن عبدالعزيز الذي تربطه صلة قرابه بمحمود الأفغاني، اذ يكون ابن عمه المعروف بأشرف السلطان، وكان الأفغان يتابعون تحركات طهماسب ميرزا، فجرت مواجهة بين الطرفين، اضطر فيها اشرف السلطان الى الانسحاب الى النقاط الرئيسة التي يتمركز فيها الجيش الأفغاني، فتمكن طهماسب ميرزا من الخروج من اصفهان، وحينما سمع سكان اصفهان بهزيمة الأفغان تولد لديهم أمل في الخلاص، وكان محمود الأفغاني يعمل على محاصرة جميع افراد العائلة الصفوية في اصفهان ليكونوا تحت المراقبة، وقد أشد غضبه حينما سمع بخروج طهماسب ميرزا، حيث كان يظن أن الأبن سيكون شاهاً من بعد ابيه، وقام محمود باتهام ابن عمه بالخيانة وحكم عليه بالإعدام، واستمر الأمير طهماسب ميرزا بمسيرته نحو قزوین، فوصل الى كاشان ثم ذهب الى قم وبعدها الى قزوین، لكن لم يرحب به أحد بل قوبل بنفور حكام تلك المدن، إذ ان كل حاكم قد استثمر ظروف الدولة وأستقل بنفسه، كما لم يطيعوا أوامر الشاه لإنقاذ العاصمة من الحصار الافغاني، أما تبريز قد شهدت اوضاعاً متدهورة بسبب التمردات التي ثارت ضد حاكمها فمنعتهم من تقديم الطاعة والدعم لأوامر الامير طهماسب ميرزا، مما جعل الاخير يفضل اللجوء الى قوات الشاهسيون، لكنهم رفضوا الالتحاق بقوات طهماسب إلا بأمر الشاه حسين حصراً، عليه لم يتمكن الأمير طهماسب من ان يجمع قوات، وأدرك أن حكم والده اضحى قريباً من الزوال، الأمر الذي جعله يتواصل مع ابيه ويحثه على ترك العاصمة، لكن الحصار الشديد حال دون ذلك^(٢).

ان ادارة الشاه عديمة الخبرة وقراراته المتخبطة اسهمت بتقوية شوكة الأفغان، لاسيما بعد ان أصرّ على البقاء في العاصمة اصفهان، ولم يشن هجوماً على معسكر الأفغان، فضلاً

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

(٢) احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري ١٧٣٦-١٧٤٧، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧م، ص ١٧-١٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

عن منعه سكان أصفهان من ترك العاصمة بإغلاق بوابات المدينة، ومن ثم قيامه بإرسال ابنه طهماسب الى قزوین الذي لم يكن مؤهلاً لهذه المهمة، وقيامه بعزل القادة والمقاتلين الأكفاء. عليه أستمر الحصار الافغاني على العاصمة اصفهان مدة تسعة أشهر، فهلك الآلاف من سكانها جوعاً وارتفعت الأسعار في المدينة بجنون هذا دون ان تحظى اصفهان خلال مدة الحصار الطويلة بأية محاولة انقاذ من باقي الولايات حتى من أذربيجان التي كانت منطلق قيام الدولة الصفوية^(١).

ألقى طول مدة الحصار على أصفهان بضلاله على أهالي المدينة، لذا فطلبوا من الشاه بعدما تجمعوا أمام قصره ان يأذن لهم بالخروج لمحاربة الأفغان، لكنه رفض طلبهم وهددهم بأطلاق النار عليهم إذا لم يتفرقوا، وكاد الموقف ان يتطور ليشكل تمرداً داخلياً لولا تدخل أحمد اغا داروغه أصفهان الذي تمكن من معالجة الموقف واقتاد جموع الناس الغاضبة خارج العاصمة ليحثهم على خوض الحرب مع الافغان، وتمكن من ان يشكل منهم مجموعة قتالية لمهاجمة القوات الأفغانية فقاتلت بشجاعة على الرغم من قلة عددها، وأجبرت القوات الأفغانية على التقهقر وترك مواقعها، وكاد ان يحقق النصر على الأفغان؛ لولا هروب محمد بن عبد الله والي عربستان من ساحة القتال واستغلال الوضع لخدلان احمد اغا، ما تسبب في خلق فوضى بين صفوف المقاتلين الصفويين، ليستثمر الأفغان الوضع فتقدموا اكثر وحاصروهم، مما اضطر الجيش الصفوي بالانسحاب والعودة الى داخل اصفهان^(٢).

ألقى التخاذل الذي أبداه والي عربستان محمد بن عبد الله، بضلاله على آغا احمد وحمله الشاه مسؤولية خسارة القوات الصفوية أمام الأفغان، لذا أمر الشاه بعزله من منصبه، على الرغم مما عرف عنه من اخلاص ووفاء للشاه ولبلاده، فتوفي بعد عدة ايام من عزله، وقيل انه تجرع السم في (١٥ ربيع الأول ١١٣٥ هـ / ٣٠ آب ١٧٢٢ م)، وقيل ايضاً بأنه قد مات من شدة الحزن على ضياع بلده^(٣)، وقد اسهمت هذه الحادثة برفع الحافز المعنوي للأفغان.

(١) عباس الموسوي، المصدر السابق، ص ١٢٢.

(٢) Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 637.

(٣) نهلة نعيم ال بطي، المصدر السابق، ص ٣١٢.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بالمقابل فقد بعثت اليأس في نفوس أهالي اصفهان المنكوبة، وبغزل الشاه لأحمد آغا تكون العاصمة قد فقدت آخر قائد كفوء يمكن ان يسهم بإنقاذ البلاد من ويلات الأفغان، في وقت كان محمود الأفغاني دقيقا في تخطيطه العسكري لما يطمح اليه، فكان ينتظر هلاك اكبر عدد ممكن من أهالي أصفهان، وسط تدمير الجيش الأفغاني من مدة الانتظار خارج اصفهان وطول الحصار، إذ طلب قاداته من محمود الأفغاني السماح لهم للهجوم، لكن محمود الأفغاني حثهم على التريث لمدة شهرين، لأنهاءك عزيمة المحاصرين، فيتم تسليم اصفهان من دون قيد او شرط مع المحافظة على ثروات اصفهان من النهب والتخريب^(١).

ازداد أمر سكان اصفهان سوءا، فثار عشرات الآلاف وتوجهوا نحو مقر الحكم بسبب المجاعة، وقد وصف أحد المعاصرين الحصار المروّع الذي عاشته أصفهان: "(في ايلول [١٧٢٢] ازدادت المجاعة حدة فعندما يموت شخص لا يقطعه او يتناوله رجل او رجلين بل يأكله عدد من الناس من دون طبخ او اعداد اذ ان رجلا وامراة دخلا احد المنازل وقتلا وأكلا بسبب الجوع. كما ان لحم البشر اخذ يباع في المحلات تحت اسم آخر. وليس هذا فحسب بل ان بعض الامهات اكلن أطفالهن وبعضهم سرق اطفالا واكلهم)". وفي السياق ذاته، أن بعض السكان ذهبوا للبحث عن الطعام، فعثروا في أحد المخازن على اكياس مليئة، وعندما فتحوها وجدوا انها مليئة بعملات نقدية فأصيبوا بخيبة أمل لان هذه الاموال لا تسد رمق الجائعين الذين كانوا يبحثون عن الطعام وليس الاموال التي لا تنفع^(٢)، ولم يكن لدى الحاكم مخزونا من الطعام، إذ قيل انه في تلك الأيام لم يتبق مخزونا لدى الشاه سوى ثلاثة من الأبل، فامر بنحرها لهم ووزع عليهم اللحم، وفي (١٠ محرم ١١٣٥ هـ / ٢٠ تشرين الأول ١٧٢٢ م) قرر الشاه اعلان الاستسلام لمحمود الأفغاني، فقام بارتداء الملابس السوداء مع اتباعه وخرج وصلى ودعا الله ثم طاف في المدينة وهو يقول: "(لقد شاءت الإرادة الإلهية أن أستقيل عن تاج وعرش إيران واسلمها الى الأفغان، ولا تحزنوا على فراقي عنكم لأن محمود الأفغاني وهو خير مني، أدرى في تدبير امورك وإصلاح شأنكم في ادارة

(١) احمد كاظم البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الأفشاري...، ص ١٧.

(٢) نقلا عن: المصدر نفسه، ص ١٦.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الحروب وسياسة الأحكام^(١)، ثم عرض على الناس كيف كان يتدخل الوزراء والخوارج في إدارة شؤون الحكم، مبررا بذلك موقفه مما اوصلت اليه الدولة، وكان يتحدث بخجل، وهكذا ودّع الشاه سلطان حسين الناس والتاج والعاصمة^(٢).

وفي (١٥ محرم ١١٣٥ هـ / ٢٥ تشرين الأول ١٧٢٢ م) قرر الشاه الخروج من المدينة يرافقه ثلاثمائة فارس وجماعة من الأشراف، وتقدم نحو معسكر محمود الأفغاني في فرح آباد، وحينما اقتربوا منه أوقفهم الحرس التابع لمحمود الأفغاني بحجة ان الأخير نائم، وفي الحقيقة انهم تعمدوا فعل ذلك بأمر من محمود لتذليل الشاه، فأضطر الشاه الى البقاء على ظهر جواده تحت الشمس منتظرا، ثم اكمل مسيرته حيث يقيم محمود، فكان في استقباله رئيس التشريفات، الذي أرشد بدوره الشاه الى قاعة كبيرة، وكان محمود الأفغاني ينتظر دخول الشاه ومرافقيه في زاوية القاعة^(٣)، فلم يتقدم لاستقباله في عتبة الديوان، فوقف وتصافح مع الشاه^(٤).

عندها قال الشاه لمحمود: "(السلام عليكم)"، فأجابه محمود: "(وعليكم السلام)"، دون ان يرفع نظره عن الأرض فعانقه الشاه وقبل عينيه وخاطبه قائلاً: "(بني محمود يبدو ان ارادة الله شاعت ان ينتهي عهد سلطتي، وقد جاءت ساعة صعودك العرش وتكون انت المالك لهذه الدولة وانت الحاكم فيها، وأراك لانقا لهما اتمنى ان تحكمها بالبركة والسعادة)"، ثم خلع تاج الملك الذي كان مقسوما ومرصعا بالمجوهرات وبعض الريش الجميل، وتعد علامة للسلطة وتوضع على يمين العمامة^(٥)، فوضعه على رأس محمود^(٦).

(١) نقلا عن: نهله نعيم ال بطي، المصدر ايران في عهد الشاه، ص ٣١٥.

(٢) علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات ايران الداخلية...، ص ٧٢-٧٣.

(٣) تعد الزاوية من الغرفة أو القاعة في الدول الشرقية مكانا محترما وذا منزلة حيث يضعون على جانبي الزاوية متكأ كبيرا ليجلس الملك. نهله نعيم ال بطي ايران في عهد الشاه، ص ٣١٥.

(٤) فواد فاروقى، سرنوشت انسان در تاريخ ايران، عطائي، تهران، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م، ص ٣٣٣.

(٥) نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ٣١٦.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

قائلاً له: "(مبارك لك)"، ثم التقت الى رجاله ومحمود قائلاً: "(حتى الآن كنت ملكاً لهذه الدولة، وقد اعطيت الآن تاج عرش الدولة للأمير محمود، فهو بعد الآن ملكاً عليّ وعليكم)"^(١)، وحينما سمع محمود الأفغاني من الشاه حسن الكلام بادر الى معاهدته بأن يعده كأبيه ويعمل على اصلاح رعيته، وقرأ الآية: ﴿اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء﴾^(٢)، فتوّج مير محمود شاهاً على ايران وبذلك ينتهي الحكم الفعلي للعائلة الصفوية في ايران، ثم ذهب الشاه الى الغرفة المهيأة له، وأصدر محمود الأفغاني بعد ذلك أوامره الى قائد جيشه السلطان امان الله خان بدخول المدينة برفقة أربعة آلاف مقاتل من الأفغان، فدخل محمود المدينة ومعه جنوده ثم نزل في قصر (جهل ستون)، وبعد أن استولى على عاصمة الدولة الصفوية وأضحى صاحب الحق الشرعي للحكم المرتكز على القوة في حكم ايران، اتبع سياسة معتدلة ارتكزت على استمرار الحياة العامة، لذلك أبقي الملاكات الادارية من الموظفين الإيرانيين في وظائفهم وعيّن بعض المراقبين من الأفغان للتأكد من أن العمل الحكومي لا يسير في اتجاهات معاكسة لتوجيهات الحكم الجديد ومعاملة سكان أصفهان بالحسنى بهدف استقطابهم وسيق الشاه سلطان حسين الى بناية أنبيه خانة^(٣) ليسجن فيها^(٤).

(١) عباس قدياني، فرهنگ فشرده تاريخ ايران از اغاز تا پايان قاجاريه، تهران، ١٣٧٤هـ /

١٩٥٤م، ص ٨٠٩

(٢) نقلاً عن: نهله نعيم ال بطي، ايران في عهد الشاه، ص ٣١٦.

(٣) "القرآن الكريم"، سورة ال عمران، الآية ٢٦.

(٤) احدى الأبنية الموجودة في جهاز باغ والمعروفة بـ (أندرون أشرف)، يراجع : نهله نعيم ال بطي،

ايران في عهد الشاه، ٣١٧.

(٤) المصدر نفسه .



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ثالثاً : ولاية العهد ابناء السلطان حسين (طهماسب الثاني، وعباس الثالث) ومحاولات الظفر بالعرش الصفوي شكلياً (١٧٢٩-١٧٣٦) .

ولد طهماسب الثاني ابن الشاه سلطان حسين في أصفهان عام (١١١٦ هـ / ١٧٠٤)، ولم يحض بالتدريب على شؤون الحكم، وحين قام الأفغان بحصار العاصمة أصفهان؛ تمكن من كسر الحصار والخروج منها، وبدا يعمل على توفير مستلزمات طرد الافغان من العاصمة^(١). فبذل بوصفه الوريث الشرعي للحكم الصفوي في إيران جهوداً حثيثة لإعادة الحكم لعائلته، فكان من الصفويين القلائل الذين بقوا على قيد الحياة بعد عمليات التصفية والاغتيال التي قام بها الأفغان ضدهم، لكن جهوده واجهت عقبات كثيرة، من بينها ضعف شخصيته وقلة خبرته السياسية وتعدد أعدائه من المحتلين الأفغان الذين احتلوا مناطق إيران والقوى الخارجية الطامعة كالدولة العثمانية من الغرب وروسيا من الشرق والذين كانوا يطمحون بالتوغل داخل إيران، فكان يسعى لجمع الأتباع والموالين لإعادة السلطة لأسرته كمرحلة أولى، ثم بعدها التوجه نحو مواجهة الدول الطامعة الأخرى التي استثمرت سقوط الدولة الصفوية^(٢).

أثارت تطورات اوضاع إيران الداخلية اهتمام العثمانيين بشؤون إيران، وكان هؤلاء يطمحون بإعادة بسط سيطرتهم على مناطق الأطراف الداخلة ضمن مجالهم الحيوي وحينما استقر مير محمود الافغاني على سدة العرش في إيران أرسل والي بغداد حسن باشا (١٦٣٨-١٧٠٤م)^(٣) مبعوثاً من لدنه إلى أصفهان للوقوف على نواياه تجاه الدولة العثمانية،

(١) علي حسن علي المخصوصي، تطورات إيران...، ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٥-٧٧.

(٣) حسن باشا: أحد رجال الدولة العثمانية في القرن السابع عشر، تولّى ولاية بغداد عقب استعادتها من الصفويين سنة ١٦٣٨ في عهد السلطان مراد الرابع. عُرف بالعدل وحسن الإدارة، إذ عمل على ترميم الأبنية الحكومية وإعادة تنظيم شؤون المدينة، فضلاً عن إعادة سكانها الذين نزحوا بسبب الحرب، مما أسهم في استعادة الاستقرار في بغداد. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط٤، بغداد ١٩٦٨، ص ١٠٧.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

فأبدى بدوره ولائه لها وأرسل سفيراً منه إلى بغداد هو محمد صادق خان^(١) لتأكيد هذا الولاء والطلب من حسن باشا تقديم الدعم العثماني للأفغان، للاستيلاء على جميع الممتلكات الصفوية، فأرسل حسن باشا تقريراً وافياً بذلك إلى إستانبول^(٢). ولكي تضفي الدولة العثمانية طابع الشرعية على غزو إيران أوعزت إلى مفتي إستانبول الشيخ عبد الله^(٣) (شيخ الاسلام) أن يصدر فتوى تبرر غزو الأراضي الإيرانية فسارع إلى إصدار تلك الفتوى التي تدعو إلى الجهاد لمحاربة (الروافض) وشد أزر مير محمود^(٤)، وكانت خلاصة تلك الفتوى: "لما كان الروافض المقيمون في بلاد فارس منذ عهد إسماعيل الصفوي قد عاثوا في الأرض فساداً وأعلنوا سب الصحابة الكرام أبا بكر وعمر وعثمان وكفروهم كلهم باستثناء علي، وقذفوا الصديقة عائشة وابتغوا مذهب الزنادقة ممن سبقوهم وتأولوا الآيات القرآنية بحسب ميولهم وقاموا بمقاتلة من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة وأباحوا نساءهم وفعلوا غير ذلك من الأعمال المنكرة فإن بلادهم ديار حرب وتنطبق عليهم أحكام

(١) محمد صادق خان: مبعوث ودبلوماسي أفغاني ارتبط بحكم محمود هوتكي خلال مرحلة سقوط الدولة الصفوية واحتلال الأفغان لإيران في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي. أرسل سفيراً إلى حسن باشا والي بغداد العثماني حاملاً رسائل سياسية ودينية هدفت إلى كسب تأييد الدولة العثمانية، إذ أكد في مراسلاته ولاء محمود الأفغاني للسلطان العثماني وحرصه - بحسب خطابه السياسي - على "تطهير" إيران من الفساد وحماية الشعائر الإسلامية. وقد أسهمت هذه الاتصالات الدبلوماسية في تشجيع الدولة العثمانية على التدخل في إيران واستغلال حالة الفوضى التي أعقبت انهيار الحكم الصفوي سنة ١٧٢٢م. يرجع للمزيد: عمار محمد كاظم فرج البزاز، العراق في عهدي حسن باشا وأحمد باشا ١٧٠٤-١٧٤٧م، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٠.

(٢) رسول الكركوكلي، المصدر السابق، ص ١٦.

(٣) عبد الله أفندي: شيخ الإسلام ومفتي الدولة العثمانية في عهد السلطان أحمد الثالث، ومن أبرز فقهاء المذهب الحنفي ورجال المؤسسة الدينية العثمانية في الربع الأول من القرن الثامن عشر. اضطلع بدور مهم في إضفاء الشرعية الدينية على سياسات الدولة، لا سيما خلال الحرب العثمانية-الصفوية التي اندلعت في عهد طهماسب الثاني، إذ كانت فتاواه وآراؤه الفقهية تمثل الأساس الشرعي الذي استندت إليه الحكومة العثمانية في تبرير الحملات العسكرية وإدارة شؤون الحرب والسلام، مما جعله أحد أبرز الوجوه الدينية المؤثرة في السياسة العثمانية خلال تلك المرحلة. عبير أحمد عبد الرحيم محمد، المصدر السابق، ص ٥٣.

(٤) علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥، ص ١٠٣.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الشريعة فيما يختص بالمرتدين وتجب محاربتهم وتطهير البلاد منهم^(١)، وتبين أن الأطماع الإقليمية دفعت الدولة العثمانية إلى استحصال هكذا فتوى لاسيما أن الدولة الصفوية أضحت قريب الهاوية^(٢)، ويرى المؤرخ عباس العزاوي أن الغرض من تلك الفتاوى الاستيلاء هي على أراضي الدولة الصفوية، فاتخذت الدولة العثمانية الدين وسيلة لتهييج الرأي العام^(٣).

واستناداً لذلك قررت الدولة العثمانية السيطرة على مناطق أطراف إيران: إروان، وتبريز، وكنجة فضلاً عن تفليس بغية تحصين الجبهة الشرقية، وأمر ولاية كل من: أرضروم، وقارص ووان، والموصل، وشهرزور وبغداد والبصرة بالاستيلاء على الأراضي الإيرانية الواقعة تحت سيطرة الصفويين فقط، فأعدّ حسن باشا حملة عسكرية نجحت في السيطرة على كرمنشاه، وشماخي وتفليس وشروان^(٤). هنا أثارت سياسة التوسع العثماني وانهيار الدولة الصفوية طموح القيصر الروسي بطرس الأكبر (١٦٨٩-١٧٢٥م)^(٥) الذي كانت لديه تطلعات توسعية عبر مناطق الكرج، وبذلك تحويل بحر قزوين إلى بحيرة روسية فضلاً عن تطلعات اقتصادية تتجسد بوضع يده على تجارة الحرير الإيراني وصولاً إلى الهند عبر خيوه وبخاري^(٦)، لذلك هاجم دربند واستحوذ عليها وتوجه

(١) نقلاً عن: رسول كركوكلي، المصدر السابق، ص ١٧.

(٢) علي الوردي، المصدر السابق، ص ١٠٤؛ احمد البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم...، ص ٢٢.

(٣) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٥، ص ٢٠٦.

(٤) Arnold Wilson, The Persian Gulf, London 1959, p. 171

(٥) بطرس الأكبر: هو قيصر روسيا من أسرة رومانوف، ويُعد من أبرز حكام روسيا في تاريخها. سعى إلى تعزيز قوة الدولة الروسية سياسياً وعسكرياً، فعمل على تطوير الجيش وتنظيم الإدارة وتحديث مؤسسات الدولة، كما اهتم ببناء أسطول بحري قوي. وفي عهده توسعت روسيا إقليمياً، ولا سيما على حساب الدولة العثمانية والسويد، وارتبط اسمه بانتصار روسيا في الحرب الشمالية الكبرى (١٧٠٠-١٧٢١)، مما أسهم في بروزها قوة كبرى في أوروبا. يراجع للمزيد: مشعل مفرح ظاهر الشمري، روسيا القيصرية في عهد بطرس الأكبر ١٦٨٩-١٧٢٥م، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٤٤-٥٢.

(٦) Arnold Wilson, Op. Cit., p. 172.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

إلى شماخي، وحينما وصل إليها؛ وجد أن القوات العثمانية بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا^(١) قد سبقته إليها بعد أن سيطرت على أرمينيا وبلاد الكرج، فأرسل السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠م)^(٢) رسالة إلى بطرس الأكبر يعلمه فيها أن تجاوز القوات الروسية لمدينة دربند ما يعني الحرب على الدولة العثمانية^(٣). ولم يكن لدى بطرس الأكبر طاقة بدخول الحرب مع الدولة العثمانية؛ فانسحب من المنطقة وعاد إلى بلاده،^(٤) وتبين أن توغل القوات الروسية في عمق الأراضي الإيرانية لمواجهة النفوذ العثماني في تلك المناطق التي استولى عليها العثمانيون، ولما لم يكن بطرس الأكبر راغباً في تلك المرحلة الدخول في صراع مسلح مع العثمانيين أو التوسع في أراضي إيرانية حفاظاً على باكو ودر بند التي استولى عليهما خلال تلك الأزمة؛ إلا أن ذلك لم يخفف حدة التوتر بين روسيا والدولة العثمانية إزاء تحقيق طموح التوسع لكل منهما^(٥)، لولا تبني فرنسا الوساطة الفرنسية بينهما فعددة معاهدة عثمانية - روسية سنة ١٧٢٤م، التي توصلت إلى تقسيم مناطق النفوذ في إيران بين الطرفين والاعتراف بالوريث الشرعي للعائلة الصفوية

(١) إبراهيم باشا: تولى منصب الصدارة العظمى سنة ١٧١٨ في عهد السلطان أحمد الثالث، وعمل على تنظيم العلاقات الدبلوماسية للدولة العثمانية، إذ أقام اتصالات منتظمة مع السفراء المقيمين في إسطنبول، كما أوفد بعثات عثمانية إلى عدد من العواصم، ولم تقتصر مهام هؤلاء على توقيع الاتفاقات، بل شملت تزويد الدولة بالمعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية والعسكرية، بما أسهم في دعم إدارة شؤون الدولة وتعزيز قدرتها على متابعة المستجدات الدولية. يلماز ازتونا، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(٢) أحمد الثالث: هو سلطان الدولة العثمانية (١٧٠٣-١٧٣٠)، وقد اتسم عهده بمحاولات تعزيز استقرار الدولة وإعادة تنظيم شؤونها الداخلية، إلى جانب الاهتمام بالجوانب العمرانية والثقافية في العاصمة إسطنبول. وعلى الصعيد السياسي، شهدت الدولة في زمنه نشاطاً ملحوظاً في علاقاتها الخارجية، لا سيما مع الدولة الصفوية وروسيا، حيث خاضت عدة مواجهات عسكرية وسعت إلى تثبيت نفوذها الإقليمي. انتهى حكمه سنة ١٧٣٠ على أثر ثورة بترونا خليل التي أدت إلى عزله. يراجع للمزيد: وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص ١٨٥-١٨٦.

(٣) Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, p. 223.

(٤) Arnold Wilson, Op. Cit., p. 175.

(٥)

George Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, London, 1892, p. 373.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

طهماسب الثاني شاهاً على إيران بشرط قبوله بنتيجة المعاهدة. وقد حققت روسيا هدفها بمنع وصول العثمانيين إلى بحر قزوين، بالمقابل واجهت المعاهدة انتقادات للعثمانيين بسبب تحالفهم مع روسيا وتجاهلت الخطر الأفغاني في إيران^(١).

كان للمعاهدة العثمانية - الروسية انعكاسات خطيرة على الوجود الأفغاني في إيران، فقد جعلت مير محمود الأفغاني يغط بمشاكل وصعوبات لم يستطع تجاوزها، وأدت بالنتيجة إلى نهايته، فبعد أن كان نشاطه محصوراً في قلب إيران؛ أخذت الصعوبات تتوالى عليه من أطرافها، منها الضغط الدولي الذي تجسد بالدولتين العثمانية والروسية وممارساتهما في اقتسام أراض إيرانية واسعة وتعرض جيشه إلى انتكاسات في مناطق متعددة داخل إيران، فضلاً عن تعرض معسكرة إلى بعض الهجمات التي اضعفت من عزيمته، فأسهمت تلك التطورات الداخلية والخارجية بإرهاق مير محمود مادياً وعسكرياً وذهنياً، إذ لم تتمكن قدراته العقلية أن تواجه هذه الأعباء الكبيرة ووصلت مخاوف الشاه ذروتها حينما سمع نبأ هروب الأمير صفي بن الشاه حسين من اصفهان^(٢)، فبدأت معنوياته تتداعى، وانعكس ذلك على تصرفاته التي مالت إلى العنف والقسوة، فأخذ يفتك بوجهاء الإيرانيين فقتل ثلاثة آلاف إيراني فضلاً عن كل من خدم الشاه سلطان حسين، وطالت المجازر بعض كبار القادة الأفغان، كما فرض ضرائب جديدة على الأراضي كان من شأنها أن أثقلت كاهل الأهالي، كما نهب جنده المتاجر والمحال والأسواق والمخازن، وتطورت حالته الذهنية نحو الجنون والانتحار السياسي، وعلى الرغم من ذلك؛ أصرَّ على الاحتفاظ بالعرش في أصفهان. إلى أن أدرك كبار رجال الأفغان أن مير محمود لو استمر على هذا النحو؛ سيقضي على ما تبقى من الوجود الأفغاني في إيران، فاستدعوا ابن عمه مير أشرف من أفغانستان وأسندوا

(١) عباس الغزالي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٧؛

Mary Shay, The Ottoman Empire from 1720 to 1734, Ur-bana, 1944, pp. 150-156.

(٢) شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٨٥.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

إليه ولاية العهد، ثم رفعوه على العرش بعد أن أصيب مير محمود بالجنون تماماً، وذلك في (شعبان ١١٣٧ هـ/ نيسان ١٧٢٥م)، وما إن تسلم الحكم أمر بقتله^(١).

وبعدما توج اشرف الافغاني شاهاً على ايران مستمداً شرعيته من مبدأ القوة، وذلك في (١٩ رمضان ١١٣٧ هـ/ ٢٦ نيسان ١٧٢٥م)؛ اتسم عهده بالتقرب من الصفويين بغية تعزيز موقفه في اصفهان، فقد ارسل الى الامير طهماسب ميرزا، يدعوهُ للتعاون معه، لكن الأخير لم يأخذ الأمر بجدية، بعد ان أدرك ان الشاه اشرف سيعمل على التنكيل به حينما تنهياً له الاوضاع، فغادر مقره في (٧ جمادى الاولى ١١٣٨ هـ/ ١٠ كانون الأول ١٧٢٥م) منتقلاً بين غابات مازندران لبعض الوقت، وحينما وصل مدينة ساري؛ استقبله سكانها بحفاوة وترحيب، وفي الوقت نفسه اعترض الشاه اشرف لدى العثمانيين على معاهدة عام ١٧٢٤، فشن الحرب ضد العثمانيين وانتصر عليهم في مواقع عدة وذلك خلال العام ١٧٢٦-١٧٢٧، الا ان مركزه ضعف في اصفهان ما دفعه الى توقيع معاهدة صلح مع العثمانيين في ٣ تشرين الثاني عام ١٧٢٧، فتنازل لهم بموجبها على جميع الاراضي التي كانت بحوزتهم، مقابل اعتراف العثمانيين بسلطته على ايران^(٢).

كان على مير أشرف أن يواجه التحديات الكبيرة التي يتعرض لها الوجود الأفغاني في إيران والناجمة عن الصراع الإقليمي، بتعدد القوى الخارجية الطامعة في الأراضي الإيرانية وكذلك الثورات الداخلية، وارتكازه على إمكانيات بشرية محدودة جعلته يتخذ موقف الدفاع، فكان الصفويون بقيادة طهماسب الثاني الذي يعد نفسه صاحب الحق الشرعي في العرش متمركزاً في مازندران، لا سيما أن الشاه سلطان حسين تعرض الى عملية تصفية واغتيال من أشرف خان الذي كلف فرهاد نامي ومعه اثنين من الأفغان باغتيال الشاه سلطان حسين وبعض أمراء العائلة الصفوية، وارسلت جثة الشاه الى قم ودفن بجوار السيدة معصومة

(١) احمد البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم ...، ص ٢١؛ Geoge Curzon, Op. Cit., Vol. I, p. 374

(٢) عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٢٩٠.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

(١) وفي خضم تلك التطورات استمرت روسيا في نهج سياستها التوسعية على حساب الإيرانيين، إلى جانب العثمانيين الذين يرون أنهم أصحاب الحق الشرعي في حكم إيران وحمائيتها من الأفغان والروس، وكانت قواتهم قد توغلت مسافات بعيدة في عمق الأراضي الإيرانية بقيادة أحمد باشا^(٢) والي بغداد الذي خلف والده المتوفى حسن باشا في هذا المنصب. وقد أبدى مير أشرف في بداية عهده حنكة سياسية محاولاً إخراج القوات العثمانية إلى ما وراء الحدود الإيرانية - العراقية، فأرسل وفداً إلى إستانبول برئاسة عبد العزيز خان وملا رحيم، فقدموا إلى السلطان أحمد الثالث احتجاجاً على معاهدة عام (١١٣٦هـ / ١٧٢٤م). ولما كانت السياسة العثمانية العامة آنذاك لا تتفق مع هذا التوجه؛ فقد أمر السلطان بإخراج الوفد الأفغاني من إستانبول، وشدد على الاجتياح العثماني لإيران^(٣).

ثمة مشكلة أخرى واجهت طهماسب الثاني هي تلك التحديات في عام (١١٣٩هـ / ١٧٢٦) تجسدت بظهور عدد من مدّعي العرش الصفوي الذين اضحوا منافسين له على العرش للأسرة الصفوية مثل سيد حسن البختياري^(٤) الذي بثّ دعاية أنه شقيق الشاه سلطان

(١) نهله نعيم ال بطي، إيران في عهد الشاه، ص ٣١٧

(٢) أحمد باشا: ولد في جفلكة بالقرب من استانبول عام ١٦٨٥ وكان الابن الوحيد لحسن باشا، أما والدته فهي السيدة عائشة خاتون وهي ابنة رجل من حاشية السلطان مراد الرابع، كان ذكياً ونو شخصية فذة جعلت من سيرته حافلة بجلال الأعمال وكان محباً للعلم والأدب يتذوق الشعر العربي والتركي، كما أنه الله تعالى سعة في الجسم وقوة بدنية فائقة فكان رياضياً وفارساً مغواراً مما جعله محط إعجاب وتقدير أهلها، تقلد عدة مناصب قبل أن يتولى الحكم في بغداد فقد عين والياً على شهرزور عام ١٧١٥ ثم أصبح والياً على قونيا سنة ١٧١٦ ثم نقل إلى ولاية حلب سنة ١٧١٧ ثم نقل إلى ولاية أورفة سنة ١٧٢١ وفي سنة ١٧٢٢ نقل إلى البصرة فظل فيها حتى وصله نعي والده وفرمان تعيينه والياً على بغداد وقائداً عاماً للجيش العثماني في إيران، يراجع: لونكريك، المصدر السابق، ص ١١٧-١٥٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠-١٦٥.

(٤) البختياريون: قبائل إيرانية عريقة تقطن المناطق الجبلية الوعرة الممتدة بين أصفهان وشوشتر في جبال زاغروس، وقد عُرفوا منذ القدم بمهارتهم القتالية وصلابتهم في مواجهة الأخطار. أسهمت طبيعة مناطقهم الجغرافية، بما تحويه من جبال شاهقة شديدة الانحدار ومحاطة بالصخور، في جعلها بمنزلة حصون طبيعية يصعب على الجيوش اقتحامها، الأمر الذي أكسبهم سمعة المقاتلين الأشداء الذين يصعب قهرهم. وقد برز من بينهم عدد من الشخصيات المؤثرة، ومنهم سيد حسن البختياري الذي عُدد أحد



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

حسين، وهو أولى بالحكم من طهماسب، وتمكن من جمع عدداً من الاتباع حوله، ليقوم بهجمات كثيرة ضد الأفغان، إلا أنه قتل في إحدى المعارك مع الأفغان في (٩ ربيع الاول ١١٣٩هـ/ ٣ تشرين الثاني ١٧٢٦م) وتفرق أتباعه^(١). كما ظهر في خضم تلك التطورات على مسرح الأحداث السياسية مدع آخر للعرش الصفوي اسمه سيد أحمد الشيرازي، الذي اخذ يروج بدعايته أنه ابن أخ الشاه سلطان حسين، فتمكن من قيادة عمليات كثيرة ضد الأفغان في مدينة شيراز، وبسط سيطرته على مدن تبريز وكرمان، ليعلن في عام (١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م) انه الشاه الجديد لإيران، وعلى الإيرانيين أن يطيعوه لطردهم الأفغان، فأخذ أتباعه يخطبون له على منابر المساجد، إلا أنه وقع أسيراً في إحدى المعارك التي شنّها ضد أشرف الأفغاني، وقام الأخير باعدامه في أصفهان في سنة (١١٤١هـ/ ١٧٢٨م)، وهكذا خلقت حالة التمزق السياسي التي منيت بها الدولة الصفوية وتصدع كيانها؛ فرصة استثمارها الطامعون بالحكم، مما أدى إلى ظهور مدع آخر منافس لطهماسب الثاني، هو شامل خان كرم، الذي كان بالأصل تاجراً، فادّعى انه شقيق الشاه سلطان حسين، وتمكن من جمع ما يقارب ألف شخص من أتباعه حوله وفرض سيطرته على بلوستان في (١٣ ذو القعدة ١١٤٠هـ/ ١٠ تموز ١٧٢٧م)، ما اضطر اشرف الأفغاني لمواجهة بقوات كبيرة، ونتيجة عدم تكافؤ القوات بينهما، اضطر للهروب إلى الهند^(٢).

لم يتمكن مدعو العرش الصفوي على الرغم من تعددهم، من الاستمرار في ادعاءاتهم ومواجهة المخاطر الداخلية والخارجية التي كانت تعصف بإيران في عهد الاحتلال الأفغاني، لذلك ظل طهماسب الثاني الشخصية الصفوية الوحيدة في الميدان صاحبة الحق الشرعي الواضح لوراثة العرش، فتطلعت إليه أنظار الإيرانيين لمواجهة الأفغان والطامعين

رجالاً هذه القبائل البارزين، إذ كان له دور في قيادة أفراد قبيلته والدفاع عن مناطقهم، مستفيداً من التضاريس الجبلية التي شكّلت عاملاً مهماً في صمودهم أمام خصومهم.

Sir John Malcolm, Op. Cit., p. 640.

(١) علي حسن علي المخصوصي، تطورات إيران...، ص ١٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٧.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الأجانب في بلاده مثل العثمانيين والروس، واخذ يعمل لكسب الرأي العام الإيراني إلى صفه بعد أن تبين للإيرانيين مساوئ الحكم الأفغاني الذي شكل لهم عبئاً ثقيلاً، فاحتشدوا تحت قيادته أملاً في تحريرهم وإخراج الغزاة من البلاد، انطلاقاً من قاعدته في مدينة مازندران شمالي إيران، وتمثلت قوته بدعم القاجاريين له، كما التف حوله كل المعادين للحكم الأفغاني والمتضررين منه والذين رأوا أن خلاص بلادهم يكمن بالاتفاق حول وريث شرعي واضح للعرش الصفوي ووضع أنفسهم رهن قيادته، فتهيأت لطهماسب الثاني في تلك الظروف شخصية عسكرية بارزة هو ميرزا فتح علي خان قاجار، الذي أضحي بحكم قوة قبيلته ودعمها له، وانتشارها الواسع في المناطق الشمالية من إيران، فضلاً عن كفاءته وشجاعته العسكرية؛ قائداً لعساكر طهماسب الثاني، الذي كان بامس الحاجة إلى دعم يمكنه من مواجهة العدو الأول له المتمثل بأشرف الأفغاني، لذلك استثمر الامكانيات العسكرية المتاحة لميرزا فتح علي خان قاجار وجنده لاسيما وقد ارتفع شأنه لدى طهماسب الثاني بعدما تمكن من فرض احكام سيطرته على منطقة أذربيجان، وكسب عدد من القبائل المقيمة في المناطق الشمالية الشرقية لإيران ودعمها لطهماسب الثاني^(١). بالمقابل قام طهماسب الثاني بدعم ميرزا فتح علي خان قاجار واسكنه في إحدى قصوره في مازندران وقدم له الدعم المادي، كما منحه ألقاباً شرفية من أجل أن يضمن ولاءه المطلق، تنفيذاً لمشروعه في طرد الأفغان بأية طريقة كانت، وكان بحاجة ماسه لكل أنواع الدعم، وفي الوقت الذي كان فيه طهماسب الثاني يعمل للقضاء على الحكم الأفغاني وعودته للحكم عبر الاعتماد على ميرزا فتح علي خان قاجار؛ كان الأخير قائداً طموحاً يبحث عن كسب المنافع الشخصية، لذلك تبلورت مصلحة الطرفين حول أهداف محددة، فقدّم كل منهما للآخر ما كان يحتاجه من الدعم، وكان ميرزا فتح علي خان قاجار يعتقد بأن طهماسب الثاني يحظى بالقبول لدى أوساط واسعة من الإيرانيين كونه الابن الباقي على قيد الحياة للشاه المخلوع شاه سلطان حسين، وفي الاطار نفسه كان طهماسب الثاني يرى في ميرزا فتح علي خان

¹⁾ Geoge Curzon, Op. Cit., Vol. I, p. 374



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

قاجار قائداً شجاعاً لقيادته أكثر من ألفي مقاتل، فضلاً عن دعم عشيرته ذات النفوذ الكبير في شمالي إيران، ما يمكنه مواجهة أشرف الأفغاني والانتصار عليه. فاتفق الطرفان بعد دراستهم الوضع العام في إيران في (١٣ محرم ١١٣٩ هـ/ العاشر من آب ١٧٢٦)، أن من الأفضل ترك مازندران والتوجه نحو من مدينة خراسان للتخلص من ملك محمود سيستاني أحد كبار التجار في خراسان، والذي تمكّن من استغلال نفوذه الاقتصادي لبسط سيطرته على المدينة، فأقام فيها حكومة محلية منذ كانون الثاني سنة ١٧٢٣م. ويُنسب في أصوله إلى يعقوب بن الليث الصفاري، مؤسس الدولة الصفارية في إيران خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. فكان يسيطر على خراسان، ومن ثم التفرغ للصراع مع أشرف خان الأفغاني، فهياً القوات الصفوية في (٢٣ محرم ١١٣٩ هـ/ ٢٠ آب ١٧٢٦) للهجوم على خراسان، فحظيت القوات الصفوية بدعم أعداد من المتطوعين من مناطق خبوشان ودامغان الذين انضموا إليها، وفي خضم تلك التطورات تمكن ميرزا فتح علي خان قاجار من اقناع طهماسب الثاني أن يمنحه لقب الوكيل أو النائب له، وأن يمنح بعض أبناء عشيرته بعض المناصب، لاستمرار ولائهم له، فتحقق له ما كان يطمح إليه^(١).

وفي خضم تلك التطورات وقعت معركة بين الجيش الصفوي ومقاتلي ملك محمود سيستاني في (٣ صفر ١١٣٩ / ٢٩ آب ١٧٢٦م)، وأثناء المعركة حاول ميرزا فتح علي خان قاجار نقض الوعد والتحول إلى الخندق المعادي لطهماسب الثاني، فأرسل رسالة بواسطة أحد أتباعه تضمنت رغبته في الانضمام إلى قوات ملك محمود سيستاني، لكن الرسالة وقعت بيد طهماسب الثاني فأمر بإحضار ميرزا فتح علي خان قاجار أمامه وأمر بسجنه حيثما تنتهي المعركة أولاً، وخشية تمرد عشيرته في وقت حرج جدا فيستثمر عدوه ذلك، ومع ذلك التحرز فقد قتل ميرزا فتح علي خان قاجار في خيمته في (١٥ صفر ١١٣٩ هـ/ ١٠ أيلول ١٧٢٦) بيد اثنين من الحراس المكلفين بحراسته، فأحدث ذلك شرخاً كبيراً في معسكر طهماسب الثاني، لا سيما بين صفوف القاجاريين الذين كانوا يقاتلون إلى جانبه، ومن المفيد ذكره أن الابن الأكبر لميرزا فتح علي خان قاجار الذي كان يبلغ من العمر أحد عشر عاماً

^١) Mary Shay , Op. Cit., Vol. I, p. 159-162.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

تمكن من الهرب من المعسكر ومكث عند أحد العشائر التركمانية حينما سمعه نبأ اغتيال والده، كما أن بعض القيادات القاجارية تمردت على طهماسب الثاني على اثر تلك الحادثة الأمر الذي جعل طهماسب الثاني يضطر لالقاء القبض عليهم وإيداعهم السجن. ومن زاوية أخرى ظنّ ملك محمود سيستاني أن حادثة اغتيال ميرزا فتح علي خان قاجار، وتمرد بعض القيادات القاجارية على طهماسب الثاني سيضعف قوة الأخير، كما ستضعف من حصار مدينة مشهد الذي استمر أكثر من شهرين ونصف^(١) بعدما حاصرتها قوات طهماسب الثاني، وان امتلاكه الأسلحة القادرة على المواجهة ستدمر عزيمة طهماسب الثاني وتجبره على التراجع عن دخول مدينة مشهد، لكن توقعات ملك محمود سيستاني تلاشت لأن قائد قواته المدعو مير محمد فيروزي اتفق مع طهماسب الثاني على فتح إحدى بوابات المدينة، مما سهل لقوات طهماسب الثاني من اقتحام مدينة مشهد في (١٧ ربيع الآخر ١١٣٩ هـ/ ١١ تشرين الثاني ١٧٢٦) فقاتلت القوات المدافعة حرباً طاحنة نتج عنها استسلام ملك محمود سيستاني لقوات طهماسب الثاني، الذي بدوره عفا عنه الأخير واطلق سراحه ليعيش درويشاً في إحدى زوايا مرقد الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، وقد رجح بعض المؤرخين سبب خيانة مير محمد فيروزي للملك محمود سيستاني؛ استمرار صمود مدينة مشهد أمام المهاجمين وطول مدة الحصار، وعدم نجاح الهجمات التي شنت على المدينة لفك الحصار، فاضطر مير محمد إلى إرسال رسالة لطهماسب الثاني مفادها استعدادة لفتح إحدى بوابات مدينة مشهد له مقابل المحافظة على حياته، فوافق طهماسب الثاني على المقترح الذي بادر به مير محمد، وتم تحديد يوم موعداً للهجوم النهائي على مشهد ؛ إلا أن المؤرخين لم يتفقوا على تحديد ذلك اليوم لدخول طهماسب الثاني لمدينة مشهد، فبعضهم يحدد يوم العاشر من تشرين الثاني ١٧٢٦ لدخول المدينة في حين يحدد البعض الآخر أن يوم الحادي عشر من الشهر نفسه وهو الأرجح لأن سقوط مشهد في السادس عشر من ربيع الأول ١١٣٩ هـ الموافق للحادي عشر من تشرين الثاني ١٧٢٦ م^(٢)، وفعلاً قام مير محمد

(١) علي حسن علي المخصوصي، تطورات إيران...، ص ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٣.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

فيروزي بقتل حراس البوابة المعنية وفتح أقفال البوابه فمكّن أفراد الجيش الصفوي ليدخلوا المدينة ليلاً، وينتشروا في شوارعها حتى بداية الصباح وتحقق النصر لهم بعد مواجهات قتالية شرسة مع المدافعين عنها الذين أصابهم خيبة الامل بسبب ما حدث ليلاً من خيانة قائدهم مير محمد فيروزي^(١).

وبعدما تمكن طهماسب الثاني من دخول مشهد وفرض احكام سيطرته عليها تكرست معنويات جيشه، وتزايدت اعداد الموالين له لا سيما عدد من زعماء العشائر القاطنة فيها وفي القرى والقصبات التابعة لها، ووضع أبناء عشائره في طاعته، مع ان سياسة التجويع وسلب خيرات المدن التي مارسها الأفغان أدت الى ان يضطر عدد من الإيرانيين للدخول في خدمة جيش أشرف الافغاني، مع ان الأخير كان لا يثق بهم، وجعلهم خدماً لقادته الأمر الذي رفضه أغلبهم، وظلوا بسبب ذلك ساخطين على الأفغان المحتلين لبلادهم، وليكرس أشرف الأفغاني اطمئنانه أصدر أوامره إلى قادته في (١٤ ذي الحجة ١١٣٩هـ / ١٠ تموز ١٧٢٧)، في مدن شیراز وقم وطهران وكاشان بأن يبعدوا الشباب القادرين على حمل السلاح من أبناء هذه المدن إلى خارجها، محاولة منه لمنعهم من أن يصبحوا قوة معادية له في حال تهيأ قائد إيراني متمكن على تجنيدهم لصالحه، وعلى الرغم من احترازات أشرف الأفغاني، الا أن إيران تهيأ لها القائد الذي كان يخشاه، وهو (نادر قلي خان الافشاري)^(٢) الذي تمكن استثمار الظروف التي تولدت نتيجة انحلال الحكم الأفغاني ودخوله مرحلة الانهيار أواخر عام (١١٣٠هـ / ١٧٢٧م)، كي يعمل تحت ظل طهماسب الثاني بوصفه الوريث الشرعي للعائلة الصفوية في إيران من أجل طرد الأفغان نهائياً من إيران بعدما

(١) المصدر نفسه .

(٢) نادر شاه أو نادر قلي خان: مؤسس الدولة الأفشارية في إيران وأحد أبرز القادة العسكريين في القرن الثامن عشر الميلادي. ولد سنة ١٦٨٨م في خراسان وينتمي إلى قبيلة الأفشار التركمانية، وبرز في ظل حالة الفوضى التي أعقبت سقوط أصفهان بيد الأفغان. استطاع بفضل قدراته العسكرية والتنظيمية أن يجمع حوله القبائل والقوات الموالية للأسرة الصفوية، فدعم الأمير الصفوي طهماسب الثاني وتمكن من طرد الأفغان واستعادة الحكم الصفوي. ثم توسعت سلطته تدريجياً حتى أصبح الحاكم الفعلي لإيران قبل أن يعتلي العرش سنة ١٧٣٦م، واشتهر بحملاته العسكرية ضد العثمانيين والروس والهند، وسعيه لإعادة توحيد إيران واستعادة نفوذها الإقليمي. عمار محمد البزاز، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٧.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

عاثوا فيها فساداً، وأثمرت تلك الجهود عن طردهم من إيران عبر جهود متظافرة وحثيثة قدموا فيه تضحيات كبيرة أسهم فيها نادر قلي خان بنشاط كبير ضمن إطار المناورة السياسية على حساب صراع القوى الموجودة على الساحة السياسية الإيرانية، فحاول أشرف الأفغاني كسب العثمانيين إلى صفه ضد طهماسب الثاني، مستثمراً الوحدة العقيدية مع العثمانيين من أجل تحقيق ذلك، فطلب من العثمانيين في (شعبان - ١١٣٩هـ/ أيار ١٧٢٧م) أن يعترفوا بشرعية حكمه على إيران مقابل اعترافه بخلافة السلطان العثماني على المسلمين وبضمنهم الأفغان، وكان يطمح وراء ذلك بجعل الدولة العثمانية دولة حاميه له تحت ظل الخلافة الإسلامية^(١). وتحقيقاً لهدفه فقد استقبل أشرف الأفغاني في ٢٠ رمضان ١١٣٩هـ/ ٢٩ أيار ١٧٢٧م سفير الدولة العثمانية (رشيد باشا) بكل مظاهر الاحترام والتقدير أبان إقامته في أصفهان. بالمقابل استقبل العثمانيون في القسطنطينية في (١٥ ذي القعدة ١١٣٩هـ/ ٢٠ تموز ١٧٢٧) سفير أشرف الأفغاني فأطلقت العيارات النارية احتفاء بمقدمه^(٢).

وفي خضم هذه الاجواء برزت شخصية نادر خان على المسرح السياسي، اذ ولد نادر قلي خان في خراسان بالقرب من قرية محمد اباد الواقعة بالقرب من مدينة ايبورد في (١٨ ذي الحجة ١٠٩٩هـ/ ٢ تشرين الأول ١٦٨٨م) وكان في بداية حياته راعياً للأغنام، لان عائلته كانت تعاني من قسوة الحياة، وهو ينتمي الى قبيلة الافشار التركمانية التي نزحت من تركستان الى ايران نتيجة ضغط الزحف المغولي على العالم الاسلامي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، فعاش السنوات الأولى من عمره في ظل الفقر والحرمان، وحينما تعرضت خراسان لغزو الاوزبك (١١١٥هـ/ ١٧٠٤م)، وقع أسيراً بأيديهم مع والدته وكان حينها لم يتجاوز عمره السادسة عشرة، فتوفيت والدته خلال رحلة الأسر، كما تمكن نادر قلي من الهرب والعودة إلى خراسان في عام ١١١٩هـ/ ١٧٠٨، لينضم الى افراد

(١) عمر راجح محمود، الصراع العثماني الفارسي على ولاية بغداد ١٧٠٤-١٧٤٧م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، ٢٠١١، ص ٧٧.

(٢) عباس العزاوي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

عشيرته الذين كانوا يخوضون صراعات طاحنة ضد عشائر أخرى من الكرد والاوزبك. فاشتهر نادر قلي خان بين الناس بعد دخوله في خدمة بابا علي بك أحمد حاكم مدينة ابيورد التابعة للخراسان وهي المدينة التي انطلق منها، وما اظهره من شجاعة في الدفاع عن ثغور المدينة ضد هجمات الأوزبك، فبدأ دوره السياسي يبرز على مسرح الأحداث الإيرانية، فاعتمد عليه حاكم ابيورد وزوجه ابنته (نازدار خانم) امتناناً واعتزازاً لما قدمه من خدمات كبيرة قدمها له، فأصبح نادر قلي خان قائداً لحرس عمه، لكن المنية عاجلت عمه الذي توفي في ظروف غامضة (١١٣٦هـ / ١٧٢٣م). هنا سنحت الفرصة له بعد وفاة سيده بدخول المعترك السياسي والعسكري الذي كان محتدماً في إيران آنذاك، وكان عليه ان يختار بين الاعتماد على نفسه لتحقيق طموحه الواسع أو الدخول تحت مظلة طهماسب الثاني، أو تقديم ولاءه لأشرف الافغاني، فاختر نادر قلي خان الدخول في طاعة طهماسب الثاني متخذاً منه معبراً سلمياً لطموحاته السياسية^(١).

تعززت قوة نادر قلي خان حينما انضم إليه في (جمادى الآخرة ١١٣٨هـ / كانون الثاني ١٧٢٦م) صفي الدين بيك رئيس عشيرة البيات^(٢)، الذي كان من القادة البارزين في جيش طهماسب الثاني بعد ان فرّ مع القوة المرافقة له والبالغ عددها ألف وخمسمائة رجل من المعسكر الصفوي، فتعززت بذلك قوة نادر قلي خان، وهناك كان طهماسب الثاني

(١) احمد البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم...، ص ٢٨-٣٠.

(٢) تُعد عشيرة البيات من العشائر التركمانية ذات الأصول الأوغوزية، وقد انتشرت في مناطق متعددة من العراق، لاسيما في الشمال والوسط. وتمتاز بكثرتها وقوتها القتالية واشتغالها في ميادين الفروسية والحروب عبر فترات تاريخية مختلفة. وقد تأثرت لغتها نتيجة الاحتكاك الطويل بالمجموعات العربية، فصار كثير منهم يتحدث العربية إلى جانب لغتهم الأصلية بسبب المجاورة والاختلاط الاجتماعي. وتشير بعض الروايات إلى أن مجيء جزء من البيات إلى العراق ارتبط بفترات التوسع العثماني، سيما في عهد السلطان مراد الرابع، حيث استقرت بعض جماعاتهم في البلاد. كما أنهم من الناحية الدينية ينقسمون إلى مجموعات، فمنهم من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة، ومنهم من يختلف في انتماءاته المذهبية، مع بقاء هويتهم القبلية التركمانية الجامعة لهم. ابراهيم بن صبغة الله بن اسعد الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، بيروت، ص ١٢٣؛ عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٣؛ عمر راجح محمود، المصدر السابق، ص ٤٢؛ رضا احمد سالم الشاوي، المصدر السابق، ص ٣١.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

بحاجة إلى قائد مثل نادر قلي خان يضمّه إلى جيشه ضد (ملك محمود سيستاني) المسيطر آنذاك على خراسان، فأدرك نادر قلي خان أن انضمامه إلى قوات طهماسب الثاني سيحقق ما كان يطمح إليه، إلا أنه تريث قليلاً في الانضمام إلى طاعة طهماسب الثاني حتى يجمع أتباعاً أكثر، ويحقق انتصارات على الأبداليين^(١).

الذين كانوا يسيطرون على مدينة نيسابور، فجمع لذلك أعداداً من أتباعه، ووضع خطة تعتمد مخادعة القوات الأفغانية الأبدالية، فنجحت خطة نادر قلي خان في استدراج الأفغان إلى الغابة القريبة من نيسابور، فلما تقدم الأفغان إليها لم يدركوا مخطط نادر قلي خان، إذ كان أتباع نادر قلي خان بانتظارهم، وسرعان ما خرجوا إليهم من وخاضوا معركة فتمكنوا منهم، وقتلوا معظم القوة المستدرجة، فقام نادر قلي خان وقواته بجمع الغنائم وتوزيعها على أتباعه، ليتوجه بعدها إلى مدينة نيسابور، لفتح جميع أبوابها وفرض سيطرته عليها، كما أمر جنوده بعدم التعرض لأي إيراني داخلها، وخطب في الناس قائلاً: "(إنني جئت إليكم لأحرركم من الأفغان باسم الشاه طهماسب، فعليكم طاعته لأنه الشاه الحقيقي للبلاد)"^(٢). فكسب نادر قلي خان محبة الإيرانيين في المدينة لصالحه، فضلاً عن انضمام أكثر من ألف شاب إليه متطوعين وضمّهم لقواته^(٣).

(١) الأبداليون: إحدى القبائل الأفغانية البشتونية الكبرى، وقد أدوا دوراً بارزاً في تاريخ إقليم هرات وخراسان خلال أواخر العهد الصفوي. استقرت جماعات منهم في منطقة هرات منذ العصور المتأخرة للدولة الصفوية، حيث أسندت إليهم أحياناً بعض المهام الإدارية والعسكرية ضمن سياسة التوازن القبلي. ومع تدهور السلطة الصفوية في أواخر حكم الشاه سلطان حسين، برز زعماء الأبداليين كقوة محلية مؤثرة استغلت ضعف الدولة، فدخلوا في صراعات مع الحكام الصفويين في هرات وسعوا إلى تعزيز نفوذهم والاستقلال بالإقليم. وقد شكلوا لاحقاً نواة الكيان السياسي الذي تطور إلى الدولة الدرّانية في أفغانستان بقيادة أحمد شاه الدرّاني. فاروق انصاري، فشرده ى تاريخ افغانستان (آريا، خراسان)، مطبعة بلخ، كابل، ١٣٨٦ هـ، ص ٨٧.

(٢) نقلاً عن: علي حسن المكصوسي، تطورات ايران...، ص ١٥٢.

(٣) عدنان هرير جودة الزبيدي، عمان وسياسية نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣ م، ص ٧٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

وفي خضم تلك التطورات ارسل طهماسب الثاني (٢٧ ذو الحجة ١١٣٨ هـ/ ٢٤ اب ١٧٢٦م) رساله بيد أحد قاداته الى نادر قلي خان عرض عليه الانضمام اليه لتوحيد الصف ومواجهة محمود سيستاني الذي يسيطر على خراسان وتحريرها من قبضته، هناك أدرك نادر قلي خان أن الفرصة أصبحت ملائمة له لتحقيق أهدافه وأن الوصول إلى أهدافه بات وقريباً، بعد ان ادرك أهمية إقامة علاقة متماسكة مع طهماسب الثاني بوصفه الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة من أبناء الشاه سلطان حسين، فضلاً عن ذلك؛ فإن تحالفه مع طهماسب الثاني سيزيد من أعداد أتباعه، كما أن هذا التحالف سيسهل عملية طرد الغزاة الأفغان من ايران، وسيكون نادر قلي خان بذلك بطلاً قومياً يقربه من هدفه الأساس في تسنم السلطة وإزاحة الشاه الصفوي من طريقه، فانخرط أولاً في صراع طهماسب الثاني ضد ملك محمود سيستاني، ومن ثم استثمر الفراغ الذي أحدثه مقتل قائد قوات طهماسب فتح علي خان قاجار واحتل مكانه، كما أثبت قدرته في القتال ضد قوات ملك محمود سيستان، على اثر تحقيق الانتصار ضده، ما جعل طهماسب الثاني يضع ثقته الكاملة فيه، ويسلمه قياد جيشه، كما منحه لقب (قلي) أي غلام طهماسب، ولكن بعد سقوط مشهد ودخول طهماسب الثاني إلى خراسان؛ بدأ الخلاف يدبّ بينه وبين نادر قلي خان بسبب تحريض عدد من المقربين لطهماسب الثاني على نادر خان، وتلويحهم أنه يسعى للجلوس على عرش السلطة وازالته عن الحكم في حال طرد الأفغان من البلاد. ونجحت المحرضون في إيغال صدر الشاه ضد نادر قلي خان، حتى وصل الخلاف في (صفر ١١٣٩ هـ/ شباط ١٧٢٧م) إلى أعلى مستوياته، إذ قرر طهماسب الثاني ترك مشهد والعودة إلى خبوشان^(١)، وأرسل من هناك عدداً من أتباعه إلى مازندران وعدد من المناطق المجاورة لها يحملون رسائل تنهم

(١) خبوشان: مدينة تاريخية تقع في إقليم خراسان شمال شرقي إيران، وتُعد من نواحي نيسابور القديمة، وكانت تُعرف بأنها قصبـة «كورة أستوا». ذكرها الجغرافيون المسلمون، ومنهم ياقوت الحموي في معجم البلدان، وبيّن أنها بليدة ذات طابع إداري وعلمي، ارتبطت بعدد من العلماء والمحدثين الذين نُسبوا إليها. وقد اكتسبت أهميتها من موقعها في شمال خراسان على طرق الحركة بين نيسابور والمناطق الحدودية، مما جعلها نقطة اتصال بين المراكز الحضرية والقبائل في الإقليم. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

نادر قلي خان بالخيانة وعدم الولاء له، الأمر الذي جعل نادر قلي خان في موقف حرج، وهكذا فقد تمردت بعض العشائر الكردية والتركمانية في خراسان ضد نادر قلي خان على أثر تلك الوشاية^(١).

لكن نادر قلي خان اخذ يعتمد في خضم تلك التطورات بالكامل على أبناء عشيرته والعشائر الموالية له، فأصدر لهم أمراً بأن يتم وضع كل مؤيدي طهماسب الثاني الموجودين في مشهد تحت الرقابة، وتشديد الحراسة على تحركاتهم داخل المدينة، وبعد مدة قصيرة ترك نادر قلي خان مدينة مشهد، واتجه نحو الشمال الغربي، طالباً من شقيقه إبراهيم خان تزويده بكميات من الأسلحة وقوات اضافيه للدفاع عن مشهد، في حال حدوث تمرد فيها. وأخذ طريقه نحو خَبُوشان حتى وصل إلى حيث يتواجد طهماسب الثاني، فقام بفرض حصار شديد عليه، الأمر الذي دفع طهماسب الثاني الى ارسال أحد مبعوثيه المدعو (مير محمد حسين ملا باشي) إلى نادر قلي خان وذلك في (ربيع الاول ١١٣٩ هـ/ اوائل آذار عام ١٧٢٧) للتفاوض وإجراء المصالحة بينهما، وبالفعل تم الاتفاق بين نادر قلي خان و طهماسب الثاني على عدم الاختلاف مرة اخرى وتوحيد جهودهما ضد العدو المشترك المتمثل بأشرف الأفغاني، فوصل نادر قلي خان إلى مدينة مشهد في (٨ ربيع الآخر ١١٣٩ هـ/ ١٥ آذار ١٧٢٧م) قبل طهماسب الثاني، وهياً المدينة لاستقبال طهماسب الثاني في (١٤ ربيع الآخر ١١٣٩ هـ/ ٢١ آذار ١٧٢٧م) والذي كان يصادف عيد النوروز لدى الإيرانيين، فاستقبل الشاه بكل مظاهر الحفاوة والتقدير، وظلت الاحتفالات مستمرة عدة أيام^(٢).

ما كادت الاحتفالات تنتهي في مشهد حتى عمّت الاضطرابات والتمردات بعض نواحي خراسان، فاضطر نادر قلي خان لإخمادها، فعادت قبائل كردية، إلى جانب عشائر من قبائل أخرى للتمرد ثانية ضد نادر قلي خان، لكنه أخمد تمرداتها، وحمل مسؤولي الحراسات

(١) مريم مير احمدي، بيشن، ص ١١٧؛ احمد البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم، ص ٣١.

(٢) علي حسن علي زبيد المكصوصي، تطورات.....، ص ١٥٥.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

الخاصة بطهماسب الثاني بالمسؤولية عن تحريض العشائر على التمرد، وبسبب ذلك طلب نادر قلي خان من طهماسب الثاني تغيير مسؤولي حراساته كونهم المصدر الرئيس لتحريض، لكن طهماسب الثاني رفض تنفيذ ذلك اثناء اللقاء الذي تم بينهما في (١٨ شعبان ١١٣٩ هـ / ٢٨ نيسان ١٧٢٧ م)، فاضطر نادر قلي خان الى استغلال الفرصة لضرب قوات طهماسب الثاني، التي اتاحت له في (٢ رمضان ١١٣٩ هـ / ١٢ حزيران ١٧٢٧ م) حينما تغلبت قواته على قوات طهماسب الثاني في منطقة سبزوار، ليتم وضع الشاه تحت الإقامة الجبرية في مشهد، وحينما وصلت الأخبار إلى مشهد؛ تحرك ذو الفقار خان أحد القادة الموالين لطهماسب، وجمع أكثر من ثمانية آلاف مقاتل من العشائر التركمانية، واستطاع السيطرة على استرآباد، معلناً عزمه إنقاذ الشاه من براثن نادر قلي خان، الذي تمكن بدوره من القضاء على ذو الفقار وقتل اغلب أتباعه، فأدرك طهماسب الثاني أن من الأفضل له نبذ الخلافات بينه وبين نادر قلي، وفتح صفحة جديدة بينهما، والتوجه نحو حرب الأفغان المحتلين لإيران، فاتفقا على مهاجمة الأفغان الابداليين كمرحلة أولى، ثم التفرغ لحرب الأفغان الغزنائيين الذين كانوا تحت قيادة أشرف الأفغاني لتحرير إيران نهائياً منهم^(١).

قرر أن يتوجه في صيف عام ١١٣٩ هـ / ١٧٢٧ بقوة تعدادها ثمانية آلاف مقاتل نحو منطقة سنجان لمقاتلة الابداليين المتحالفين مع شقيق ملك محمود سيستاني المدعو (حسين سلطان) لكن الابداليون سرعان ما استسلموا دون مقاومة، وبعد فرض نادر قلي خان وطهماسب الثاني السيطرة على منطقة سنجان عاد إلى مدينة مشهد، واتفقا على مهاجمة الابداليون في هرات، لأنها تعد مركز تجمعهم الأساس، ومن زاوية أخرى؛ كان الابداليون يعلمون أن هجوماً قوياً سيقع عليهم، لذلك قرروا توحيد صفوفهم ضد نادر قلي خان وطهماسب الثاني، وبعدها جهزوا مستلزمات المعركة قاما بالهجوم على هرات في (شوال ١١٤١ هـ / أيار ١٧٢٨ م)، إلا أن تلك المعركة لم تكن بصالحهما، بسبب النقص في قوات

(١) عدنان هرير جودة الزبيدي، المصدر السابق، ص ٧٦.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

مدفعية نادر قلي خان، وقوة تحصينات هرات التي عززها الابداليون^(١). وعلى أثر فشل هذه الحملة؛ أصرّ نادر قلي خان على إعادة الهجوم على الابداليون وإنزال الهزيمة بهم، فعمل طوال العام (١١٤١هـ / ١٧٢٨م) وأوائل العام الذي تلاه على تطوير قواته والتدريب على كيفية اقتحام التحصينات الدفاعية والعسكرية في هرات، وحينما انتهى من إعداد قواته؛ قرر في (٥ ذي القعدة ١١٤٢هـ / ٣ أيار عام ١٧٢٩م)، التحرك من مدينة مشهد نحو هرات فدارت معركة بمنطقة كوسويه^(٢) التي تبعد ستين ميلاً (٩٦,٥ كم) شمال غربي هرات، فقتل في هذه المعركة احد كبار القادة الابداليون، اذ كانت معركة طاحنة، وكان النصر حليف الإيرانيين، فاضطر الأفغان إلى الهرب تاركين مدافعهم واعتدتهم وتجهيزاتهم الحربية لتصبح غنائم لنادر قلي خان وقواته^(٣).

وعلى أثر هذه المعركة تموضع الأفغان الابداليون في هرات لتجميع قواهم وتجهيزها لمواجهة قوات أخرى مع نادر قلي خان، ما جعل الأخير يتعقب القوات الأفغانية حتى حدث صدام بين الطرفين، فبلغت خسائر الأفغان في ميدان المعركة أكثر من ألف قتيل، ولم يكد يمر يوم واحد على المعركة؛ حتى تمكن نادر قلي خان من طرد الأفغان من ارض المعركة وإجبارهم على الهرب، فكانت معارك نادر قلي خان تلك مهمة ومفيدة له ولقواته لأنها أصبحت حافزاً معنوياً لهم، كما زادت هذه المعارك من قدرات نادر قلي خان وإمكانات قواته على القتال في مختلف الظروف وفي أصعبها، فضلاً عن ذلك فإن هذه الانتصارات كرّست ثقة الإيرانيين بقيادته الكفاءة والشجاعة، كما شجعت الشاه طهماسب الثاني على التمسك بنادر قلي خان، لأنه وجد فيه القائد الذي بإمكانه طرد الأفغان الغزائيين من إيران، وازالة آثار حكم أشرف الأفغاني في إيران وإعادة سلطة الأسرة الصفوية ثانية، وفي الوقت

(١) علي حسن المكصوسي، تطورات إيران...، ص ١٥٧.

(٢) كوسويه (كوهسان / كهسان): بلدة تاريخية تقع إلى الشمال الغربي من هرات على الطريق المؤدي إلى خراسان، وتمتعت بأهمية استراتيجية بحكم موقعها في المنطقة الحدودية بين هرات وخراسان كانت مسرحاً لتحركات عسكرية ومعارك ارتبطت بالصراع على هرات والسيطرة على إقليم خراسان. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٩.

(٣) علي حسن علي المكصوسي، تطورات إيران...، ص ١٥٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

نفسه كان يدرك تماماً ما كان يخطط له نادر قلي خان، لذلك قرر الاثنان العمل سوياً لخوض المعركة المصيرية مع أشرف الأفغاني حيث يقيم في أصفهان^(١).

كان اشرف الأفغاني حينذاك يتابع مستجدات انتصارات نادر قلي خان على الأفغان الابداليين عن طريق بعض جواسيسه الذين وظفهم لجمع المعلومات، وفي الوقت نفسه كان يحاول التقليل من أهمية تلك الأخبار، حتى لا تؤثر على معنويات قواته. وكان يحفز أفراد قواته بأن النصر سيكون حليفهم لان الإيرانيين لا يستطيعون التغلب على الأفغان نهائياً^(٢). وفي خضم ذلك؛ أخذ أشرف الأفغاني يعمل على تحصين مدينة أصفهان بما من شأنه أن يمنع مهاجمة الإيرانيين من اقتحامها، فسعى لتوسيع قلعة طبرك، وبنى قلعة ثانية في طريق يزد على أعلى قمة هناك في منطقة أشرف تبه وهي تلة صغيرة، لتعزيز التحصينات لتكون معرقات أمام لقوات الإيرانية المهاجمة. كما أصدر أشرف الأفغاني أوامره إلى جنوده في أصفهان ومدن طهران وشيراز وقم وكاشان بالقدوم والتجمع في معسكرات أصفهان، وأعلان النفير العام بين قواته، فكّون قوة عسكرية تعدادها أكثر من ثلاثين ألف مقاتل من الأفغان الهزارة، والابداليين، ومن زاوية أخرى؛ أفاد نادر قلي خان من تصرفات أشرف الأفغاني السابقة التي كان من بينها إخراج الشباب الإيرانيين القادرين على حمل السلاح من المناطق التي كان الأفغان يحتلونها، فضم نادر قلي خان هؤلاء الشباب إلى قواته، ليزداد عددها إلى خمسة وعشرين ألف مقاتل كانوا على جاهزية تامة لمقاتلة أشرف الأفغاني وقواته^(٣).

فكر أشرف الأفغاني بالتحول من الدفاع الى الهجوم، فتحرك من أصفهان نحو طهران في (صفر ١١٤٢ هـ/ تموز ١٧٢٩م) بصحبة قوات بلغت أكثر من ثلاثين ألف مقاتل وأعداد لا بأس بها من المدافع والأعتدة والتجهيزات الحربية، فبقى فيها مدة شهرين، ثم توجه من هناك إلى خراسان، ولما وردت تلك الأخبار إلى طهماسب الثاني ونادر قلي خان؛ جهزوا

(١) احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم...، ص ٤٠-٤١.

(٢) (Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, PP. 249-250)

(٣) John Malcolm, Op. Cit., Vol. II. p. 33.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

قواتهم للمواجهة، وقد تعاهدا في مشهد على عدم الخيانة، والتعاون التام ضد الأفغان، فأقسم الشاه طهماسب الثاني أنه في حالة تمكن نادر قلي خان من النصر على الأفغان وطردهم نهائياً من البلاد؛ فإنه سيجعله حاكماً على خراسان وكرمان ومازندران، بالمقابل أقسم نادر قلي خان على بذل كل جهوده من أجل أن يتحقق النصر على الأفغان^(١).

غادر طهماسب الثاني برفقة نادر قلي خان في (٢٣ ربيع الاول ١١٤٢هـ/ ١٢ أيلول ١٧٢٩م) مدينة مشهد على رأس قوة بلغت أكثر من خمسة وعشرين ألف مقاتل متجهين نحو مدينة سمنان وسط خراسان، وحينما وردت تلك التطورات لأشرف الأفغاني؛ ترك قسماً من قواته في مواقعه الخلفية لحماية مؤخرته من هجمات الإيرانيين التي ربما قد تأتيه من سمنان، وتوجه ببقية قواته نحو الجيش الصفوي، فتمكن محمد سيد آل خان قائد الجيش الأفغاني من الهجوم على مركز تواجد المدفعية الصفوية، إلا أن جهوده لم تحقق نجاحاً لأن نادر قلي خان كان متحسباً للأمر، إذ كان قد خصص قوة داعمة من مقاتليه للقوة المسؤولة عن المدفعية، الأمر الذي دفع القائد الأفغاني للهرب مع قواته نحو نهر مهما ندوست^(٢) الذي يقع على مقربة من مدينة دامغان الواقعة بين الري وخراسان^(٣)، لتلتحق به القوات الأفغانية التي يقودها أشرف الأفغاني بنفسه ليعسكر الجيش الأفغاني برمته في دامغان. وعند نهر مهماندوست دارت معركة طاحنة بين الطرفين وذلك في (٢٢ ربيع الاول ١١٤٢هـ/ ٢٩ أيلول ١٧٢٩م) اظهر فيها نادر قلي خان قدرة كبيرة على إدارة المعركة وصناعة النصر، من خلال الإجراءات العسكرية والترتيب المنظم لكراديس قواته التي تدربت تدريباً

(١) James Fraser, the history of Nadir shah formerly called Thamas kuli khan, the present emperor of Persia, London 1742, p. 95.

(٢) يُعدّ نهر مهماندوست من المجاري المائية المعروفة في مدينة دامغان شمال إيران، ويقع ضمن المناطق الزراعية المحيطة بها عند السفوح الجنوبية لجبال البرز. وقد أسهم النهر في توفير المياه للبساتين والقرى المجاورة، مما جعله عنصراً مهماً في ازدهار الزراعة والعمران في منطقة دامغان عبر العصور. ويرتبط اسمه بقرية «مهماندوست» القريبة، وهي من المواضع القديمة المعروفة، وكانت تعتمد على مياهه في الري وتوفير الموارد المائية للسكان. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٣.

(٣) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٣.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

جيداً، فقتل أعداداً كبيرة من الأفغان، إلى حد أمر نادر قلي خان مدفعيته بإطلاق النار على نقاط الجيش الأفغاني، فأصابته إحدى الإطلاقات حامل لواء الأفغان فقتلته، وعلى أثر سقوط لوائهم؛ وجد الأفغان، أنفسهم في اتون نطاق ناري هائل، فهربوا من ميدان المعركة متكبدين خسائر بقواتهم بلغت حوالي عشرة آلاف قتيل، في حين تكبد الإيرانيون حوالي أربعة آلاف قتيل^(١).

أضطر أشرف الأفغاني ترك دامغان والانسحاب إلى واربين جنوب طهران، ومن هناك أرسل أحد رجاله إلى طهران، ليعزز له منها إمدادات بقوات جديدة، وعلى أثر تلك الإمدادات والقوات؛ أراد أشرف الأفغاني قطع الطريق على القوات الإيرانية، فجهّز كمينا من قواته في وادي ضيق يدعى دره خوار^(٢) بانتظار قدوم نادر قلي خان وقواته، إلا أن التجسس الذي كان يراقب أشرف الأفغاني ويرصد تحركاته؛ أوصل هذه المعلومة إلى نادر قلي خان، الذي أرسل بدوره عدداً من حملة البنادق لمهاجمة القوة الكامنة من الخلف وإرباكها، وفي الوقت نفسه قام بشن هجوم مباشر على الأفغان وأجبرهم على الهرب من ميدان المعركة تاركين مدافعهم وتجهيزاتهم واعتدتهم غنائم للقوات الإيرانية، فاسهمت معركة واربين بفتح الطريق أمام نادر قلي خان للتوجه صوب العاصمة أصفهان ومنازلة أشرف الأفغاني نهائياً، لكنه فضّل أن ينسب النصر النهائي له وحده في هذه المدينة، فطلب من الشاه طهماسب الثاني الذهاب إلى طهران بعد أن أخلتها القوات الأفغانية وعانت فيها فساداً، ليدير الحكم فيها، ومن زاوية أخرى فقد كرس تلك الانتصارات التي حققها نادر قلي خان من ثقته بنفسه أكثر فأكثر، وجعلته يقترب من تحقيق هدفه المنتظر بطرد الأفغان نهائياً من إيران، والعمل على انتزاع السلطة من طهماسب الثاني عبر كسب ثقة الإيرانيين

(١) علي حسن المكصوسي، تطورات إيران...، ص ١٥٩-١٦٠.

(٢) درّة خوار: هي ممر طبيعي أو وادٍ ضيق يقع ضمن الطريق القديم الواصل بين الري وسمنان في اتجاه خراسان، كان يُعدّ جزءاً من المسالك الجبلية التي تمرّ بها القوافل. ويمثل هذا الموضع عنقاً طبيعياً بين المرتفعات، يضيق فيه الطريق بين الجبال، مما جعله من المعابر الإجبارية في الحركة التجارية والعسكرية في تلك الجهة. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٩٤.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

وجمعهم من حوله، وإشعارهم بأنه صاحب الفضل الوحيد في تحريرهم من السيطرة الأفغانية^(١).

وفي السياق نفسه عاد أشرف الأفغاني إلى مدينة أصفهان مع عدد قليل من مقاتليه في (جمادى الاولى ١١٤٢ هـ/ تشرين الثاني ١٧٢٩ م) فقام باغتيال الشاه سلطان حسين، وأمر بإخراج نسائه من الحرم، ليأخذهن أسرى انتقاماً من ابنه طهماسب الثاني، كما أمر أيضاً بجمع الكنوز الملكية وما ادخر من أموال وذخائر ثمينة، فحملها على ثلاثمائة جمل وعدد من الخيول، وهرب اثناء الليل إلى شیراز في (٦ جمادى الاولى ١١٤٢ هـ/ ١٣ تشرين الثاني ١٧٢٩ م) بانتظار وصول نادر قلي خان إليها^(٢).

لقد أضحى وضع مدينة أصفهان في ظل غياب حاكم وسلطة لعدة أيام مزرية على اثر انتشار أعمال السلب والنهب من أبناء القرى المجاورة، فسرقت المنازل والأسواق والحوانيت، دون أن يستطيع أحد من منع تلك الفوضى، حتى استمرت تلك الحالة مدة يومين، إلى أن أرسل نادر قلي خان الف وخمسمائة جندي من قواته لفرض السيطرة وحفظ النظام فيها والاستعداد لقدمه إليها. وفي (٢٢ جمادى الآخرة ١١٤٢ هـ/ ٦ كانون الأول ١٧٢٩ م) توجه شخصياً نحوها، فهدأت الأوضاع فيها ووضع حراسه على القصر الشاهنشاهي وقصور عدد من الأمراء المسؤولين، وأمر بأحضار كل أفغاني أمامه، كما امر بقتل كل من ارتكب جريمه بحق الإيرانيين في اصفهان، لكنه عفا عن من لم يرتكب جريمة، وأعلن لهم باسم الشاه طهماسب الثاني انهم سيعاملون برفق، كما قام بتوزيع المعدات التي تركها الأفغان على جنوده مكافأة لهم على جهودهم وشجاعتهم في طرد المحتلين الأفغان من ايران، وبذلك رحب سكان أصفهان بوصول نادر قلي خان إلى مدينتهم، وفسرو ذلك فاتحة خير لهم وإنهاء للدور الأفغاني الذي عانوا خلاله مختلف أنواع الظلم والاستعباد^(٣).

(١) James Fraser, Op. Cit., p. 97.

(٢) علي حسن المكصوسي، تطورات ايران...، ص ١٦١.

(٣) Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, pp. 240-243.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

كان طهماسب الثاني حينذاك في طهران حينما وصلتته أنباء دخول نادر قلي خان إلى العاصمة أصفهان، التي شعر بالاشتياق إليها، ومن ثم إعادة استلام الحكم ثانية فيها، لاسيما وقد أرسل نادر خان في طلبه فوصلها في (٢٥ جمادى الآخرة ١١٤٢هـ / ٩ كانون الأول ١٧٢٩م)، فأعدّ له مراسم استقبال رسمية، ولما رآه طهماسب الثاني نزل عن جواده وتقدم نحوه، فتعانقا، وبعد استراحة قصيرة ركب كل منهما جواده ودخلا أصفهان، فكان الأهالي باستقبالهما، ولكن حينما وصل طهماسب الثاني إلى قصر والده الذي كان بشوق إلى عناقه؛ علم بأنه قد تم اغتياله قريبا على يد أشرف الأفغاني، فأجهش بالبكاء حزنا عليه، بعد ذلك بدأ باستقبال المهنيين بعودته إلى عاصمة حكومته، وتنفيذاً لما تم الاتفاق عليه سابقاً أمر بتعيين نادر قلي خان حاكماً على أقاليم خراسان وسيستان ومازندران تمشيناً لجهوده في تحرير إيران من الأفغان، كما منحه حق جمع الضرائب لدفعها رواتب لمقاتيله، وفي الاطار نفسه كان أشرف الأفغاني يدرك أن نادر قلي خان سيتعقب فلوله ليقضي عليه، لذلك أسرع في مسيره للابتعاد عن اصفهان بعيدا للقدر الذي يسمح له بالشعور بالأمان، فصمم على التوجه نحو شيراز على بعد حوالي ٢٥٥ ميلا (٤١١ كيلومتر)^(١). وكان أشرف الأفغاني قد علم اثناء هروبه أن نادر قلي خان دخل أصفهان، فأخذ باستباحة ونهب المدن التي مر بها حتى وصل إلى أصطخر، لكنه كان يفقد الكثير من جنوده نتيجة البرد القارس والارهاق اثناء الطريق، فضلا عن كمائن المهاجمين الإيرانيين في تلك المدن لقواته^(٢).

حاول أشرف جمع شتات جنوده الباقين وتنظيم معسكر في مورجة خورت وسط اصفهان، مجهزا قواته استعدادا لمواجهة الجيش الصفوي بقيادة نادر قلي خان، وبالفعل فقد جرت في (١٥ جمادى الآخرة ١١٤٢هـ / ٢٤ كانون الأول ١٧٢٩م) معركة طاحنة بين الطرفين كان النصر فيها من حصة نادر قلي خان، فاضطر اشرف الأفغاني للهرب من ميدان المعركة، والتوجه الى سيستان ومن ثم ليدخل قندهار متخفياً بعد أن ترك النساء

(١) احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم...، ص ٤١-٤٢.

(٢) حسن الجاف، المصدر السابق، ص ٨٩-٩٠.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

والأطفال الذين أخذهم اسرى في شيراز، فيما لم يتبق معه سوى مائتي من اتباعه، وهناك قتل أشرف الأفغاني (١١٤٢هـ/١٧٣٠م) على يد واحد من افراد البلوش في بلوشستان وارسل القاتل رأس اشرف الى الشاه طهماسب الثاني، فأسدل الستار عن الوجود الافغاني في ايران ولتنتهي مرحلة حكمه لإيران التي كانت مرحلة سوداء، وبمقتله وعودة طهماسب الثاني إلى عاصمة الدولة الصفوية في أصفهان؛ انتهت صفحة الاحتلال الذي لم تجن منه إيران سوى الكوارث والحروب والقتل والتدمير، ولتتطوي معها موجة الاحتلال الأفغاني، وتبدأ صفحة جديدة من التاريخ الإيراني الحديث، ارتبطت بوضوح ببزوغ نجم القائد الأفشاري نادر قلي خان^(١).

كان على نادر قلي خان في ما بعد، أن يواجه القوى الخارجية التي كانت تحتفظ بأراض إيرانية، وهي الدولة العثمانية وروسيا، فبدأ بالدولة العثمانية، ففي الوقت الذي كان فيه الشاه طهماسب الثاني ينتظر استعادة أصفهان من الأفغان بجهود نادر خان؛ أرسل مبعوثاً إلى الدولة العثمانية في عام (١١٤١ هـ / ١٧٢٩م) يحمل رسالة تحتوي تفصيلاً للأحداث الأخيرة الخاصة بدولته طالبا من السلطان العثماني أحمد الثالث التراجع عن المناطق التي استحوذ عليها العثمانيون خلال الاحتلال الأفغاني، فرفض الطلب ورد المبعوث الصفوي خائبا، فأزعج الرفض العثماني نادر خان وشرع يعد العدة لاسترجاع تلك الأراضي بالقوة، فاستولى على الأهواز وهمدان ونهاوند وتبريز، وفي الوقت الذي كان قد وصل تبريز وردته معلومات تفيد أن الأفغان العبداليين، شنوا هجوماً على هراة؛ غادرها متوجها نحو هرات للتصدي لهم، وصادف انه في الوقت الذي كان فيه نادر خان يثبت انتصاراته في أذربيجان و خراسان؛ كانت تعصف بالدولة العثمانية رياح التغيير التي

(١) محمد علاء الدين منصور، المصدر السابق، ص ٧٠٠؛ علي حسن علي المكصوسي، تطورات ايران...، ص ١٧٠؛ عباس اسماعيل الصباغ، المصدر السابق، ص ٢١٣-٢١٤؛ رزق الله منقريوس، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٦.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

تجسدت بالثورة الشعبية التي قادها خليل بترونا^(١) (ت ١٧٣٠م)، فنتج عن تلك الثورة خلع السلطان أحمد الثالث وتنصيب ابن أخيه، محمود الأول سلطاناً (١١٤٣- ١١٦٧ هـ/ ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م)، الذي أصدر أوامره إلى أحمد باشا^(٢) (١٧٢٣-١٧٤٧م) والي بغداد وعلي باشا^(٣) قائد الجبهة الشرقية الخاصة بمحاربة الصفويين، فتواجهت قوات احمد باشا مع القوات الصفوية التي كان يقودها الشاه طهماسب الثاني في صحراء توريجان^(٤) قرب همدان في (١١٤٥ هـ/ ١٧٣٢م) وانتصر على الشاه، كما هاجم علي باشا مدينة تبريز في ظل انشغال نادر خان وغيابه، فاستولى عليها، وطرد القوات الصفوية منها^(٥).

(١) خليل بترونا: قائد عثماني متمرد من أصل ألباني، خدم في البحرية العثمانية وحمل لقب «بترونا» وهو لقب بحري عثماني. قاد انتفاضة شعبية وعسكرية في إسطنبول سنة ١٧٣٠م بمساندة الإنكشارية والعامّة، فنجح في إسقاط حكومة عصر الزنبق وإجبار السلطان أحمد الثالث على التنازل عن العرش، قبل أن يُقتل بأمر السلطان محمود الأول في العام نفسه. دونالد ولبر، المصدر السابق، ص ٩٧.

(٢) أحمد باشا هو ثاني ولاية المماليك في العراق، تولى ولاية بغداد بعد وفاة والده حسن باشا سنة ١٧٢٤م. عُرف بكفاءته العسكرية والإدارية رغم أميته، وتدرج قبل ذلك في حكم عدة ولايات عثمانية مهمة. واصل سياسة والده في ترسيخ نفوذ المماليك وإحكام السيطرة على العراق والعشائر. انشغل عهده بالصراع العثماني-الإيراني، وقاد حملة ناجحة استولى خلالها على همدان سنة ١٧٢٤م. ويُعد من أبرز ولاية بغداد في القرن الثامن عشر وأحد دعائم الحكم المملوكي في العراق. عمار محمد كاظم فرج البزار، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٥.

(٣) علي باشا: قائد عثماني تولّى قيادة الجبهة الشرقية للدولة العثمانية في عهد السلطان محمود الأول، وقاد الحملات العسكرية ضد الدولة الصفوية خلال الحرب العثمانية-الصفوية (١٧٣٠-١٧٣٥)، وكان من أبرز القادة المسؤولين عن الدفاع عن المصالح العثمانية في المشرق. عباس العزاوي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٠-٢٤٢.

(٤) تُوْج (توز- انجان): كانت تقع بالقرب من منطقة منخفضة شديدة الحرارة ما بين همدان واصفهان، أما توريجان أو صحراء توريجان فهي التسمية التي أطلقت على السهول والمناطق الصحراوية المحيطة بمدينة توج، وتقع ضمن نواحي فارس الجنوبية، وكانت تُعرف بمناخها الحار. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٦.

(٥) Percy Sykes, Op. Cit, p. 250.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

وفي خضم تلك التطورات اضطر الشاه طهماسب الثاني نتيجة خسارته الاخيرة بشراء صمت العثمانيين بطلب الصلح منهم، فأرسل مبعوثاً هو (محمد رضا قولي خان)^(١) إلى بغداد، للتباحث في شأن الصلح، فتم الاتفاق بينهما في (١١٤٥هـ / ١٧٣٢م) على توقيع معاهدة صلح عُرفت بمعاهدة أحمد باشا، تنازلت بموجبها الدولة الصفوية عن الكثير من الأراضي الإيرانية لصالح العثمانيين، وأهم ما جاء بها: يُكون نهر الرس ودرنة ودرتنك وغيرها من الحدود القديمة حداً فاصلاً بين الأراضي العثمانية والإيرانية، وتتنازل الدولة الصفوية لصالح الدولة العثمانية عن مدن كنجة وتقليس ونخجوان وشماخي وداغستان، وتكون تبريز وأردلان وكرمنشاه وهمدان والأهواز التابعة للدولة الصفوية، وتثبت الدولة العثمانية بمساعدتها للصفويين في طرد الروس من دربند وجيلان، وتسمح الدولة العثمانية للرعايا الإيرانيين بزيارة العتبات المقدسة في العراق، كما يتعهد الطرفان بتسهيل شؤون التجارة وتبادل السفراء بين الدولتين^(٢).

قوبلت معاهدة أحمد باشا بموجه من الاحتجاجات من الجانبين كليهما، فحينما صادق عليها السلطان محمود الأول استثنى تبريز من حصة الصفويين، فانشطر الرأي العثماني بين معارض لها ومؤيد للتمسك بها نظراً لأهميتها العسكرية والتجارية لهم، أما من الجانب الصفوي، فحينما سمع نادر خان بمضامين المعاهدة؛ ثار وأرسل إلى حكام ولايات الأطراف بعدم تنفيذها، وإعادة صفي قولي خان إلى الدولة العثمانية ليطلب ابلاغ الحكومة العثمانية الاختيار بين أمرين: إما أن تتخلى عن كل ما استحوذت عليه من أراض إيرانية، أو أن تستعد للحرب، بعدها اجتمع بكبار رجال الدولة واتخذ معهم قراراً بعزل الشاه

(١) محمد قولي خان: أحد كبار القادة والموفدين الصفويين في عهد الشاه طهماسب الثاني، اضطلع بمهام سياسية وعسكرية خلال فترة الصراع بين الدولة الصفوية والدولة العثمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر. مثل الشاه طهماسب الثاني في المفاوضات مع والي بغداد حسن باشا، وأسهم في عقد معاهدة سنة ١٧٣١م التي استهدفت تسوية الخلافات بين الجانبين ووقف الأعمال العسكرية على الجبهة العراقية الإيرانية. شاكر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، نشر وطبع دار البصري، بغداد، ١٩٦٦، ص ٤٣.

(٢) لونكريك، المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٠.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

طهماسب الثاني، وتنصيب ابنه عباس ميرزا، الذي لا يزال رضيعاً لا يتعدى ثمانية أشهر مكانه، باسم الشاه عباس الثالث، فتم ذلك كله وتولى هو منصب وكيل السلطنة، وتسلم أمور البلاد كلها وذلك في ربيع الأول ١١٤٥ هـ / ٢٦ آب ١٧٣٢م. فأخذ الشاه المعزول إلى مشهد حيث سجن هناك^(١). وبهذا تبين أن نادر خان كان يراقب عن كثب تصرفات الشاه طهماسب الثاني، وانتظره إلى حين ارتكب هذه الهفوة، ليحقق هدفه المنتظر في حكم إيران، وكان له ما أراد حينما وقّع الشاه المعاهدة المذكورة مع العثمانيين بغيابه ومن دون استشارته، فحقن عليه ورأى أن تلك المعاهدة لا تتوافق مع المصلحة الوطنية الإيرانية^(٢).

على إثر توتر العلاقة بين نادر خان والدولة العثمانية؛ أعلن أنه سيتوجه على رأس جيش للمطالبة بحقوقه في أراضي العراق، ولكي يتفرغ نادر خان للحرب؛ عقد (صلح رشت) مع روسيا في (١٧ رمضان ١١٤٤ هـ / ١٧ شباط ١٧٣٢م)، تمكن بموجبه استعادة مازندران وجيلان واستراباد، فتمكن بذلك من تأمين حدود بلاده الشمالية^(٣)، فضلاً عن تجميع قواته للقتال على الجبهة العراقية باطمئنان، فتوجه صوب بغداد عبر عدة محاور: محور درنة - شهرزور، ومحور الموصل، ومحور بغداد، على أن يكون ملتقى الجيوش الثلاثة عند بغداد لفرض حصار مشدد عليها، وكان قد تولى بنفسه قيادة القسم الثالث، فحضر الحصار عليها في (شوال ١١٤٥ هـ / ١٩ آذار ١٧٣٣م)، ودافعت القوات العثمانية عنها وتحمل السكان معاناة الحصار، فطلب والي المدينة أحمد باشا نجدة عاجلة من الدولة العثمانية، وبالفعل فقد توجهت قوة عثمانية بقيادة طوبال عثمان باشا^(٤) لنجدةها، وحينما علم

(١) شاهين مكاريوس، المصدر السابق، ص ١٩٩؛ عبد العزيز سليمان نوار، المصدر السابق، ص ٣٠٨.

(٢) عباس العزاوي، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٣٣.

(٣) Geirge Curson, Op. Cit., Vol. II, p. 375; Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, p. 253.

(٤) طوبال عثمان: من القادة البارزين في جيش الدولة العثمانية، ولد في المورة عام ١٦٩٢ وتلقى تعليمه في مدارس السراي في استانبول وفي السادسة والعشرين من عمره ارتقى إلى رتبة بكربكي، وفي ١٧٣١ اعتلى منصب الصدارة العظمى، غير أنه عزل بعد سنة واحدة



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

نادر خان بتلك المستجدات ترك قسماً من جيشه يحاصر بغداد وتوجه مع القسم الآخر صوب كركوك، حيث المكان الذي كان طوبال عثمان باشا قد وصل إليه^(١). فتواجه الطرفان وانتصر العثمانيون، فهرب نادر خان مع قواته إلى همدان لإعادة تنظيم قواته ويتوجه مجدداً نحو كركوك، فاصطدم بقوات طوبال عثمان باشا مجدداً وانتصر عليها هذه المرة، وقتل القائد العثماني في أرض المعركة، ثم توجه إلى بغداد لاستكمال حصارها، وفي خضم تلك التطورات تلقى القائد الأفشاري أنباء عن ثورة مؤيده للصفويين قامت ضده في إقليم فارس، فاضطر إلى عقد معاهدة تفليس مع أحمد باشا في عام (١١٤٨ هـ / ١٧٣٥ م) وأهم ما جاء فيها: تكون الحدود بين الدولتين الصفوية والعثمانية، كما جاء ببنود معاهدة زهاب^(٢) (١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩ م)، تعهد الطرفان بإعادة الأسرى والأسلحة التي استولى عليها كل طرف من الآخر، ويتعهد العثمانيون بعدم منع الإيرانيين من زيارة الأماكن المقدسة في العراق، كما يتعهد العثمانيون بإعادة گنجة وشروان وإيروان وتفليس إلى الإيرانيين^(٣).

يتبين أن تلك المعاهدة بين نادر خان وأحمد باشا مثلت محاولة من الأول لتهدئة الجبهة العراقية حتى يتفرغ لقمع ثورة اقليم فارس ثم يعود مرة أخرى إلى العراق، فقد قبلت المعاهدة معارضة السلطان محمد الأول الذي رأى أنها جاءت لصالح الإيرانيين، فرفض المصادقة عليها وقرر استعادة أملاكه في إيران بالقوة^(٤)، فجهّز جيشاً لتلك الغاية عين لقيادته عبد الله باشا^(٥)، فاستثمر نادر خان رفض السلطان العثماني المصادقة على المعاهدة،

وأصبح والياً على طرابزون ثم ولاية تفليس وبعدها أحيل على التقاعد وفي عام ١٧٣٣ كلفته الدولة العثمانية بقيادة الحملة إلى بغداد. يراجع: لونكريك، المصدر السابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) شاكر صابر الضابط، المصدر السابق، ص ٣١-٣٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(٤) Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, p. 253.

(٥) عبد الله باشا الكوبرولي: قائد عسكري عثماني من أسرة آل كوبرولو الشهيرة التي أنجبت عدداً من الصدور العظام والقادة البارزين في الدولة العثمانية. تولّى قيادة القوات العثمانية في جبهة القوقاز خلال الحرب العثمانية-الإيرانية في عهد السلطان محمود الأول، وقاد الجيش العثماني في مواجهة قوات نادر شاه. قُتل في معركة قرب روان سنة ١٧٣٥ م بعد هزيمة الجيش العثماني، وكانت وفاته من أبرز نتائج



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ليتم جهوزيته فيكمل تحقيق طموحاته بالسيطرة على المناطق الاستراتيجية في أرمينيا وبلاد الكرج، بعد أن استحوذ على داغستان، وفي خضم تلك التطورات؛ تمكن نادر قلي خان بقوة عسكرية من المدفعية مكنته من اقتحام مدينة كنجة^(١)، ثم توجه إلى قارص^(٢) لمواجهة قوات عبد الله باشا، فتواجه الطرفان في منطقة باغواند احد اقاليم أرمينيا في (٢٦ محرم ١١٤٨ هـ / ١٨ حزيران ١٧٣٥ م). فتمكن من الاستيلاء على تفليس، وظلت إيروان وقارص تقاومان، كما وقع عبد الله باشا قتيلاً في أرض المعركة^(٣).

أثارت نتائج المعركة وفشل حملة عبد الله باشا ردات فعل وغضب واستياء عنيف في الدولة العثمانية، الأمر الذي دفع السلطان إلى أن يسند قيادة جيوش الجبهة الشرقية إلى أحمد باشا الذي كان قد أقيل عن حكم بغداد، في حين كان نادر خان يجهز قواته لمهاجمة أرضروم وبوابة الأناضول، ليقطع طريق الحرير الذاهب إلى الدولة العثمانية، فوصل أحمد باشا إلى المنطقة، فاصطدم بقوات نادر خان في معركة طاحنة رجحت فيها كفة الانتصار للعثمانيين، واضطر نادر خان إلى التقهقر والتراجع وطلب عقد الصلح بين الطرفين لإنهاء حال الحرب بين الدولتين^(٤).

اجتمع نادر خان في مدينة موقان شمال غرب أذربيجان مع أركان دولته وقادة الجيش وحكام الولايات والعلماء شرح فيه للحاضرين جهوده في خدمة إيران والدفاع عن أراضيها

الانتصارات التي حققها نادر شاه في القوقاز وأرمينية. عمار محمد كاظم فرج البزاز، المصدر السابق، ص ٧٧.

(١) كنجة بالفتح ثم السكون، وجيم: مدينة عظيمة وهي قصبة من اراضي أران، وأهل الأدب يسمونها جترة بالجيم والنون والزاي. وكنجة من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان. ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٨٢.

(٢) قارص: مدينة تقع في أقصى شمال شرقي الأناضول عند تخوم القوقاز، وتشرف على الطرق الواصلة بين أرمينيا والأناضول وشمال غربي إيران. تمتاز بموقعها على هضبة مرتفعة تحيط بها السهول والوديان، مما جعلها من أهم المراكز العسكرية والثغور الحدودية.

Percy Sykes, Op. Cit., Vol. II, p. 255.

(٣) غلام حسين مقتدر، نبر دهاي بزرك نادر شاه، تهران، ١٣٣٩ هـ / ١٩٦١ م، ص ٤٥.

(٤) همان منبع، ص ٤٦-٤٨.



الفصل الرابع : تفكك وسقوط الدولة الصفوية ونهاية العرش

(١٦٩٤-١٧٣٦).

ضد أعدائها، وأنه يرغب الراحة من متاعب الحروب والاقامة في مشهد، وطلب منهم أن يختاروا حاكماً من أبناء البيت المالكة للتصدي لمهام الحكم. والواقع أن ذلك البيان والاجتماع كان مقصوداً ليثبت عدم وجود شخصية صفوية تملأ مكانه بجدارة، وما يعزز ذلك أن المجتمعين نظموا وثيقة في عام (١١٤٨هـ / ١٧٣٥م) عزلوا بموجبها الشاه عباس الثالث وأنهوا حكم الصفويين من جهة، ورفعوا نادر قلي خان شاهاً على عرش إيران من جهة أخرى^(١)، فقبل المنصب بعد تردد، وذلك التردد كان مقصوداً أيضاً حتى لا يتبين بأنه طامع فيه، فانهتهى بتتويجه في (٢٤ شوال ١١٤٨هـ / ٨ آذار ١٧٣٦م) حكم الأسرة الصفوية تماماً^(٢)، وقامت مكانها الأسرة الأفشارية في حكم إيران، فاتخذ نادر خان لقب شاه بعد جلوسه على العرش في إيران^(٣)، لينظم شؤون دولته الناشئة، فعين ابنه رضا قلي ميرزا حاكماً على خراسان ويساعده طهماسب قلي خان الجلائري، وأخاه إبراهيم خان ظهير الدولة حاكماً على أذربيجان، كما عين الحكام على الولايات وأرسل السفراء إلى روسيا والدولة العثمانية لخبرهما بجلوسه على عرش إيران وألقي الشاه عباس الثالث في السجن وقتل في عام (١١٥٣ هـ / ١٧٤٠م) مع والده الشاه طهماسب الثاني وأخيه سليمان ميرزا^(٤).

وبذلك انتهت الدولة الصفوية فعلياً بسقوط عاصمتها أصفهان على اثر الاحتلال الأفغان سنة ١٧٢٢م، وما رافق ذلك من انهيار السلطة المركزية وتفكك مؤسسات الدولة وعلى الرغم من محاولات بعض أمراء الأسرة الصفوية، وفي مقدمتهم طهماسب الثاني، الذي حاول استعادة نفوذه بدعم من القادة العسكريين، فإن السلطة الحقيقية انتقلت إلى نادر شاه الافشاري الذي خلع آخر الشاهات الصفويين (عباس الثالث) الذي كان وصياً عليه، وأعلن قيام الدولة الأفشارية سنة ١٧٣٦م. وبذلك أسدل الستار على الحكم الصفوي في إيران.

(١) Percy Sykes., Op. Cit, Vol. II, p. 254.

(٢) احمد كاظم البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري...، ص ٩٢.

(٣) فرانسوا تويال، الشيعة في العالم، ترجمة: فرنسيس عون، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٥١.

(٤) Percy sykes, Op. Cit., Vol. II, p. 254.

الخاتمة

كانت قضية الخلافة وانتقال السلطة من أهم القضايا المؤثرة في مسيرة الدولة الصفوية منذ تأسيسها على يد الشاه إسماعيل الأول سنة ١٥٠١م حتى سقوطها فعلياً سنة ١٧٢٢م على يد الافغان، فقد شكلت آلية انتقال الحكم إحدى المرتكزات الأساسية التي قامت عليها الدولة، إذ ارتبط استقرار النظام السياسي بمدى نجاح الحكام في ضمان انتقال السلطة بصورة تضمن استمرار وحدة الدولة وتماسك مؤسساتها، بينما أدى اضطراب هذه الآلية في أوقات كثيرة إلى بروز أزمات سياسية ومنعطفات خطيرة انعكست على مختلف جوانب الحياة في المجتمع الإيراني وأن الدولة الصفوية بعدما ارتكزت ورسخت وجودها؛ ولما تولى الشاه إسماعيل الأول زمام الأمور سنّ عرفاً تقليدياً لولاية العهد، فاستندت عملية انتقال السلطة إلى جملة من الأعراف والتقاليد السياسية التي كانت تتغير تبعاً للظروف والأشخاص وموازن القوى داخل البلاط الصفوي، فعلى الرغم من أن الانتماء إلى الأسرة الصفوية كان الشرط الأساس لتولي العرش؛ فإن ذلك لم يكن كافياً وحده لضمان الوصول إلى الحكم، إذ كان نجاح أي أمير في اعتلاء العرش مرتبطاً بمدى ما يحظى به من دعم القوى العسكرية والإدارية والدينية النافذة في الدولة، لذلك كثيراً ما تحولت وفاة الشاه أو ضعف سلطته إلى فرصة استثمارية للتنافس والصراع بين الأمراء وأتباعهم، الأمر الذي أدى إلى نشوب أزمات سياسية كان لها تأثيراً مباشراً في استقرار الدولة.

ولم تقتصر أهمية عهد الشاه إسماعيل على كونها مرحلة تأسيس فحسب؛ بل كان واضحاً للأسس السياسية والمذهبية التي ضمنت بقاء الدولة الصفوية واستمرارها أكثر من قرنين وضمنت استمرارية الحكم داخل الأسرة الصفوية من خلال انتقال العرش إلى ابنه الشاه طهماسب الأول بعد وفاته سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٤م . وقد مثل هذا الانتقال أول اختبار حقيقي لآلية تداول العرش في الدولة الصفوية الناشئة، إذ اعتلى طهماسب العرش وهو في سن مبكرة، الأمر الذي أتاح لزعماء القزلباش التدخل في إدارة شؤون الدولة والتنافس على النفوذ والوصاية على الشاه الصغير إلى الحد الذي أطلق تسمية على الدولة الصفوية "بمملكة القزلباش" بالرغم من مرور الدولة بمنعطف خطير إلا إن نجاح عملية انتقال السلطة دون انهيارها أو تفكك مؤسساتها عكس متانة الأسس التي وضعها الشاه إسماعيل، وأسهم في ترسيخ مبدأ وراثة العرش داخل البيت الصفوي،

وهو المبدأ الذي أصبح لاحقاً أحد أهم مرتكزات النظام السياسي الصفوي ، كما أن انتقال العرش إلى ابنه طهماسب الأول شكّل بداية فعلية لتجربة تداول السلطة داخل الأسرة الصفوية، بكل ما رافقها من تحديات وصراعات أثرت في مسار الدولة خلال المراحل اللاحقة، ومع مرور الوقت استطاع طهماسب تعزيز سلطته وتقليص نفوذ القوى القبلية وترسيخ استقرار الدولة أكثر من خمسة عقود، إلا أنه أخفق في أواخر عهده في وضع ترتيبات واضحة للخلافة لمن يأتي بعده أو تحديد وريث متفق عليه للعرش، مما أدى إلى تجدد الصراعات بين الأمراء الصفويين والقرلباش بعد وفاته سنة ١٥٧٦م، وهو ما أظهر استمرار مشكلة تداول العرش بوصفها إحدى أبرز نقاط الضعف في النظام السياسي الصفوي، فتوالى على العرش عدد من الحكام خلال مدة قصيرة، منهم إسماعيل الثاني ومحمد خدابنده ، وقد كشفت هذه المرحلة أن القوة العسكرية للقرلباش كانت ما تزال عاملاً رئيساً في حسم مسألة الخلافة.

حظيت المؤسسة الدينية الشيعية بمكانة مرموقة في الدولة الصفوية، وكان لها دور مهم في إضفاء الشرعية على الحكام الجدد وتثبيت سلطتهم حين حرص الشاهات الصفويون على توظيف البعد الديني لدعم مركزهم السياسي، مستفيدين من المكانة الروحية التي تمتعت بها الأسرة الصفوية ومن العلاقة الوثيقة التي ربطتها بعلماء الدين. ومع ذلك فإن هذا الدور ظل في معظم الأحيان مكماً للعوامل السياسية والعسكرية، إذ لم يكن العامل الديني وحده كافياً لحسم مسألة الخلافة ما لم يقترن بتأييد القوى الفاعلة داخل الدولة. كما مثلت القبائل القزلباشية الركيزة العسكرية والسياسية الرئيسة للدولة الصفوية خلال مراحلها الأولى، بل وتشكلت الدولة الصفوية على اكتافها، وأن دورها لم يقتصر على حماية الدولة والدفاع عنها؛ بل امتد ليشمل التدخل المباشر في شؤون الخلافة وتحديد هوية الشاه الجديد، فقد كان زعماء القزلباش يمتلكون نفوذاً واسعاً مكّنهم من ترجيح كفة بعض الأمراء المرشحين للعرش على حساب غيرهم، الأمر الذي جعل السلطة الملكية في كثير من الأحيان رهينة للتوازنات القبلية والمصالح السياسية، وقد ترتب على ذلك نشوء صراعات متكررة بين القبائل القزلباشية نفسها، انعكست آثارها على استقرار الدولة وأضعفت قدرتها على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية ، لذلك سعى الشاهات الصفويون منذ عهد الشاه عباس الأول إلى الحد من نفوذ القزلباش وإعادة بناء هيكلية مؤسسات الدولة على أسس جديدة تقوم على تكريس السلطة المركزية وتقوية الجهاز الإداري والعسكري المرتبط مباشرة بالشاه، وقد نجحت هذه السياسة إلى حد كبير في تعزيز هيبة الدولة وترسيخ سلطة العرش خلال القرن السابع

عشر الميلادي، ولكن بالمقابل أدت الى تعقيد مسألة وراثة العرش الصفوي، فلم يتمكن من إيجاد نظام واضح ودائم للخلافة، بل ويعد السبب الاول بإسقاط الدولة الصفوية، لاسيما وان الكثير من المصادر اطلقت عليه لقب "الكبير"، استدركت بالقول، فوصفته "عباس السفاح" بسبب سياسته القائمة على إبعاد الأمراء المنافسين، سواء عن طريق سمل عيون عدد منهم، أو حبسهم في الحرم سرا، بل وحتى قتلهم، وعلى الرغم من نجاح سياسته في الحد من الصراعات على العرش خلال حياته؛ الا انها أضعفت كثيرا عملية إعداد ورثة أكفاء للحكم، الأمر الذي انعكس سلباً على انتقال السلطة بعد وفاته وأسهم في وصول حكام محدودي الخبرة إلى العرش، مما كشف عن استمرار مشكلة تداول العرش بوصفها إحدى نقاط الضعف الرئيسة في النظام السياسي الصفوي الأمر الذي جعل المشكلات المتعلقة بالعرش تستمر وتتجذر، وإن اتخذت أشكالاً مختلفة عن المراحل السابقة.

ومن نتائج سياسة عزل الأمراء الصفويين داخل القصور الملكية؛ نشوء عدد من الأمراء بعيداً عن شؤون الحكم وإدارة الدولة، لذا عندما أتيحت لهم فرصة اعتلاء العرش؛ لم يمتلكوا المؤهلات الكافية لقيادة البلاد في ظروف معقدة ومتغيرة، لاسيما في عهد الشاه صفي، إذ كشفت الدراسة ان ضعف عهده وارتباك الحكم بعد وصوله؛ كان نتيجة سياسة عباس الكبير حين أقصى الأمراء المؤهلين للعرش، الأمر الذي أسهم في انتقال السلطة إليه، عليه فقد أفرزت هذه السياسة حاكماً محدود الخبرة السياسية والإدارية ولتأمين عرشه؛ اتبع الشاه صفي سياسة دموية راح ضحيتها كبار رجال الدولة والقادة العسكريين وأفراد الأسرة الصفوية، مما أدى إلى إضعاف النخب التقليدية وصعود عناصر جديدة من الغلمان والخصيان والجواري إلى مراكز النفوذ، ما يعني صعود قوى جديدة مؤثرة في آلية انتقال العرش، وقد انعكست هذه التطورات سلباً على استقرار الدولة وكفاءة مؤسساتها العسكرية والإدارية، فتراجعت قدرتها على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، وخسرت أجزاء مهمة من أراضيها. وبذلك أظهرت تجربة حكم الشاه صفي أن غياب آلية واضحة ومستقرة لتأهيل ورثة العرش وإعدادهم للحكم جعل انتقال السلطة في الدولة الصفوية عاملاً مؤثراً في قوة الدولة أو ضعفها، وأسهم في بروز أزمات ومنعطفات سياسية وإدارية رافقت الدولة خلال هذه المرحلة.

كانت الأزمات التي ترافق عملية انتقال العرش تتفاقم كلما ضعفت شخصية الشاه أو تراجع نفوذ السلطة المركزية، ويلاحظ أنه خلال عهود الشاهات صفي و عباس الثاني، وسليمان الأول، وسلطان حسين، أصبح انتقال السلطة يخضع بصورة متزايدة لتأثير الخصيان والجواري ورجال القصر، نتيجة عزل الأمراء عن الحياة السياسية داخل الحريم الملكي، مما أدى إلى صعود حكام يفتقر بعضهم إلى الخبرة السياسية والعسكرية، ما عدا الشاه عباس الثاني الذي يعد من أفضل الشاهات الذين حكموا الدولة الصفوية بعد عباس الكبير، لمحاولته تعزيز مؤسسات دولته التي فقدت الكثير من مكانتها وهيبتها لاسيما المؤسسة العسكرية، إلا أن القدر لم يمهلها.

أصبحت الصراعات داخل البلاط خلال المراحل الأخيرة من عمر الدولة، أكثر حدة، وسط تزايد نفوذ الخصيان والحاشية والعناصر المتنافسة على مراكز صنع القرار السياسي، في الوقت الذي تراجعت فيه كفاءة المؤسسة العسكرية وازدادت المشكلات الاقتصادية والإدارية. ما أدى إلى إضعاف قدرة الدولة على مواجهة الأخطار الخارجية، لاسيما التهديدات التي جاءت من حدودها الشرقية المتمثلة بالخطر الأفغاني والغربية المتمثلة بالخطر العثماني بل وحتى الخطر الروسي. وفي ضوء تتبع أحداث القرن (الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي) يتضح أن أزمة انتقال العرش لم تكن سبباً منفرداً في سقوط الدولة الصفوية، لكنها كانت عاملاً أساسياً أسهم في تعميق مظاهر الضعف التي عانت منها الدولة في سنواتها الأخيرة، فقد أدى غياب الحكام الأقوياء، وتفاقم النزاعات داخل الأسرة الحاكمة، وتراجع فاعلية المؤسسات السياسية والعسكرية، إلى خلق بيئة ملائمة لتصاعد التحديات الداخلية والخارجية، وعندما واجهت الدولة الصفوية الهجوم الأفغاني بقيادة محمود الأفغاني لم تكن تمتلك المقومات الكافية للدفاع عن نفسها، فانتهى الأمر بسقوط العاصمة أصفهان وانهيار الدولة سنة ١٧٢٢م.

وفي ضوء ذلك يمكن القول إن تجربة الدولة الصفوية تقدم نموذجاً تاريخياً واضحاً لأهمية وجود آلية مستقرة ومنظمة لانتقال السلطة داخل الدول، فكلما كانت قواعد الخلافة ومركزاتها واضحة ومقبولة من مختلف القوى السياسية والاجتماعية؛ ازدادت فرص الاستقرار واستمرار الدولة، بينما يؤدي الغموض والصراع حول الشرعية إلى إضعاف المؤسسات وفتح المجال أمام التدخلات الداخلية والخارجية، وهذا ما يلاحظ خلال عهد الشاه طهماسب الثاني، إذ تعرض نظام الوراثة الصفوي لهزة

كبيرة، فشهدت البلاد صراعات بين طهماسب الثاني وأنصاره من جهة، والقوى المحلية والأفغان من جهة أخرى، ثم اعتلى عباس الثالث العرش شكلياً تحت وصاية نادر قلي بيك، لتصبح مسألة انتقال العرش خاضعة للقوة العسكرية أكثر من الشرعية الأسرية، حتى انتهى الحكم الصفوي نهائياً سنة ١٧٣٦م. هكذا فإن الكثير من الأزمات التي شهدتها إيران الصفوية كانت ترتبط بصورة مباشرة أو غير مباشرة بمشكلة انتقال العرش، الأمر الذي يجعل هذا الموضوع مفتاحاً أساسياً لفهم التاريخ السياسي للدولة الصفوية. كما أن البحث في آليات انتقال العرش لا يقتصر على دراسة انتقال الحكم بين الشاهات فحسب؛ بل يشمل تحليل طبيعة النظام السياسي وعلاقته بالمؤسسات العسكرية والدينية والإدارية والاجتماعية، ومن هذا المنطلق فإن دراسة تداول العرش في العصر الصفوي كشفت طبيعة التفاعلات الحاكمة للمجتمع الإيراني آنذاك، وتوضح كيفية تشكّل مراكز النفوذ داخل الدولة ومدى تأثيرها في صناعة القرار السياسي للدولة. عليه تتلخص أبرز العوامل المؤثرة في تداول العرش الصفوي، في الوراثة الأسرية، ونفوذ القزلباش، وصغر سن بعض الورثة، وتدخل الحريم والخصيان، وسياسات إقصاء الأمراء المنافسين، فضلاً عن التدخلات العسكرية والخارجية في أواخر العصر الصفوي، وهي عوامل جعلت انتقال السلطة يتراوح بين الاستقرار النسبي والصراع الدموي تبعاً للظروف السياسية لكل مرحلة.

في القرنين السادس عشر والسابع عشر^(٥)



(١) علي ابراهيم درويش ، المصدر السابق ، ص ٤٢٧ .

(٢)

شاهات الصفويين حتى سقوط الحكم الصفوي

الرقم	الاسم	فترة الحكم
١ -	إسماعيل الأول	٩٠٧ - ٩٣٠ / ١٥٠١ - ١٥٢٤
٢ -	طهماسب الأول	٩٣٠ - ٩٨٤ / ١٥٢٤ - ١٥٧٦
٣ -	إسماعيل الثاني	٩٨٤ - ٩٨٥ / ١٥٧٦ - ١٥٧٧
٤ -	محمد خدابنده	٩٨٥ - ٩٩٥ / ١٥٧٨ - ١٥٨٨
٥ -	عباس الأول	(٩٨٩) ٩٩٥ - ١٠٣٨ / (١٥٨١) ١٥٨٧ - ١٦٢٩
٦ -	صفى الأول	١٠٣٨ - ١٠٥٢ / ١٦٢٩ - ١٦٤٢
٧ -	عباس الثاني	١٠٥٢ - ١٠٧٧ / ١٦٤٢ - ١٦٦٦
٨ -	صفى الثاني (سليمان)	١٠٧٧ (١٠٧٨) - ١١٠٥ / ١٦٦٦ (١٦٦٨) - ١٦٩٤
٩ -	السلطان حسين	١١٠٥ - ١١٣٥ / ١٦٩٤ - ١٧٢٢
١٠ -	طهماسب الثاني	١١٣٥ - ١١٤٤ / ١٧٢٢ - ١٧٣٢
١١ -	عباس الثالث	١١٤٤ - ١١٤٨ / ١٧٣٢ - ١٧٣٦

(٢) علي ابراهيم درويش، المصدر السابق ، ص ٤٢٨.

قائمة المصادر

القرآن الكريم.

أولاً. كتب الرحلات:

١. آدام اولئاريوس، سفرنامه اولئاريوس، ترجمه: احمد بهپور، تهران، ۱۳۶۳ش/ ۱۹۸۴م.
٢. آدام اولئاريوس، سفرنامه اولئاريوس اصفهان خونين شاه صفي، ترجمه: مهندس حسين كرد بچه، جلد دوم، مطبعة بهمن، ۱۳۶۹هـش/ ۱۹۵۰م.
٣. زان باتيست تاورنيه، سفرنامه تاورنيه، ترجمه: أبو تراب نوري، به تصحيح حميد شيراني، تهران، ۱۳۳۶هـ/ ۱۹۱۹م.
٤. كلبرت كمپفر، سفرنامه كمپفر، ترجمه: كيكاووس جهانداري، چاپ دوم، خوارزمي است، تهران، ۱۳۶۰هـش/ ۱۹۴۱م.

ثانياً. الكتب الفارسية:

١. ابو الحسن قزويني، فوايد الصفويه تاريخ سلاطين وامراي صفوي پس از سقوط دولت صفويه، تصحيح مقدمه و حواشي: مريم مير احمدی، مؤسسة مطالعات و تحقيقات فرهنگي، تهران، ۱۴۰۹هـ/ ۱۹۸۸م.
٢. أبو القاسم طاهري، تاريخ سياسي واجتماعي ايران از مارك تيمورك تا مارك شاه عباس اول، تهران ۱۳۴۹ش/ ۱۹۳۱م.
٣. أبو بكر الطهراني، ديار بكرية، ج ۱، تهران، ۱۳۳۳ش/ ۱۹۵۵م، ص ۱۵۰.
٤. احمد خليل الله مقدم، تاريخ مسند ايران وجهان از عهد سومر تا عصر بهلوي، جاب لاله آميد، در جمالي بور، تهران، ۱۳۸۰/ ۱۹۶۰م.
٥. احمد فاضل، شاه عباس دوم صفوي وزمان او، مؤسسة فرهنگي هنري ضريح، بی‌چاپ، ۱۳۷۶ش/ ۱۹۵۷م.
٦. احمد ماهوان، تاريخ مشهد الرضا عليه السلام، چاپ دوم، دفتر جغرافيايي وانتشارات ماهوان، مشهد، ۱۳۸۸هـش/ ۱۹۶۸م.
٧. اسکندر بيک منشي، عالم آراي عباسي، جاب تهران ۱۳۱۶هـش/ ۱۹۳۷م.
٨. أمير محمود بن خواندمير، ايران در روزگار شاه إسماعيل وشاه طهماسب صفوي، به كوشش: غلامرضا طباطبائي، مجموعه انتشارات ادبي وتاريخي، تهران، ۱۳۷۰هـش/ ۱۹۵۰م.
٩. أمير محمود خواندمير، تاريخ شاه إسماعيل وشاه طهماسب، تصحيح: محمد علي جراحي، تهران، ۱۳۷۰ش/ ۱۹۹۲.
١٠. "تذكرة الملوك"، چاپ حروفي، بكوشش: محمد دبیر سياقي، تهران، ۱۳۳۲ش/ ۱۹۵۴م.
١١. "تذكرة الملوك"، چاپ عكسي با ترجمهء انگليسي توسط: ولاديمير مينورسكي، لندن، ۱۹۴۳م.

۱۲. جلال الدین المنجم، تاریخ عباسی یا روزنامه ملا جلال، به کوشش: سیف الله وحیدنیا، تهران، ۱۳۶۶ ش / ۱۹۸۷ م.
۱۳. حبیب الله شاملونی، تاریخ ایران از ماد تا بهلولی، تهران، ۱۳۷۴ ش / ۱۹۹۶ م.
۱۴. حسن بیرنا و عباس اقبال اشتهانی، تاریخ ایران از آغاز تا انقراض سلسله قاجاریه، جلد اول، چاپ، نهمین، تهران، ۱۴۲۲ هـ.ق / ۲۰۰۱ م.
۱۵. حسن حسینی فسائی، تاریخ فارس نامه ناصری، جلد اول، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، تهران، ۱۳۸۲ هـ / ۱۹۶۲ م.
۱۶. حسن حسینی فسائی، فارسنامه ناصری، تصحیح و تحشیه: از منصور رستگار فسائی، امیر کبیر، جلد ۲، تهران، ۱۳۸۲ هـ / ۲۰۰۳ م.
۱۷. حسن بک روملو، احسن التواریخ، ج ۱، ترجمه عبدالحسین نوائی، تهران، ۱۳۸۴ ش / ۲۰۰۶ م.
۱۸. حسن نبراقی، یکده تاریخ ایران از کوچ آریایی ها تا پایان سلسله پهلوی، چاپ دهم، نشر اختران، تهران، ۱۳۸۶ هـ.ش / ۱۹۶۶ م.
۱۹. حسین میر جعفری، تاریخ تحولات سیاسی واجتماعی واقتصادی و فرهنگی در ایران در دوره تیموریان وترکمانان، جاب اول، تهران، ۱۳۷۵ ش / ۱۹۹۷ م.
۲۰. حمید حاجیان پور، أوضاع سیاسی ایران در دوره شاه طهماسب صفوی
۲۱. درویش توکلی بن إسماعیل بن بزّاز أردبیلی (ت ۸۰۰ هـ / ۱۳۹۷-۸ م)، صفوة الصفا. در ترجمه حوال واقوال وکرامات شیخ صفی الدین اسحق اردبیلی، مقدمه وتصحیح: غلامرضا طباطبائی مجد، تبریز، ۱۳۷۳ ش / ۱۹۹۴ م.
۲۲. رحیم زاده صفوی، شرح جنکها وتاریخ زندگانی شاه إسماعیل علی صفوی، باهتمام: نور صفوی، تهران، ۱۳۳۴.
- ۱- رسول جعفریان، صفویة از ظهور تا زوال (سالهای ۹۰۵ تا ۱۱۳۵ هجری)، چاپخانه اعتماد، قم، ۱۳۷۸ هـ.ش / ۲۰۰۰ م.
۲۳. _____، صفویة در عرصه دین فرهنگ وسیاست، جلد اول، پژوهشگاه حوزه دداشتگاه، قم، ۱۳۷۹ هـ / ۲۰۰۱ م.
۲۴. _____، نفوذ دویست ساله خاندان محقق کرکی در دولت صفوی، کتابخانه تخصصی تاریخ اسلام معاصر، قم، (د.ت).
۲۵. رضا بازوکی، تاریخ ایران از مغول تا افشاریه، جاب اول، تهران، ۱۳۳۴ هـ ش / ۱۹۱۶ م.
۲۶. رضا قلی خان هدایت، تاریخ روضة الصفا ناصری، تصحیح جمشید کیان فر، جلد هشتم، انتشارات اساطیر، تهران، ۱۳۸۰ هـ / ۱۹۶۰ م.
۲۷. رودی متی، زوال صفویة وسقوط اصفهان، ترجمه: مانی صالحی علامه، کوهرا ن دیشه، بی چاپ، ۱۳۹۴ هـ ش / ۱۹۷۴ م.

۲۸. سام میرزای صفوی، تحفة سامی، به کوشش: وحید دستگردی، مطبعة ارمغان، تهران، ۱۳۱۴ هـ.ش/۱۸۹۶ م.
۲۹. سعید مولیانی، چاپگاه گرجیها در تاریخ و فرهنگ و تمدن ایران، انتشارات یکتا، اصفهان، ۱۳۷۹ / ۱۹۶۰ م.
۳۰. سید حسین سید مرتضی حسینی استرآبادی، تاریخ سلطانی از شیخ صفی تاه شاه صفی، به کوشش: إحسان اشراقی، تهران، ۱۳۶۴ ش/۱۹۸۶ م.
۳۱. سید عباس از موده، رجال سیاسی گیلان در دوره صفویه، انتشارات بلور، رشت، ۱۳۹۳ هـ/۱۹۷۴ م.
۳۲. شهباز آزاد مهر، تاریخ ایران از کورش تا خاتمی، تهران، ۱۳۸۲ ش/۲۰۰۴ م.
۳۳. عباس اقبال اشنیانی، تاریخ ایران پس از اسلام از صدر اسلام تا انقراض قاجاریه، تهران، ۱۳۷۸ / ۱۹۵۹ م.
۳۴. عباس پورایران، روابط ایران و عثمانی در عهد صفویان، مؤسسه چاپ و انتشارات دانشگاه فردوسی، ۱۳۸۵ هـ.ش/۱۹۶۵ م.
۳۵. عباس رمضانی، چنگ‌های تاریخ ایران در عصر صفویان، انتشارات کتاب تارا، تهران، ۱۳۹۱ هـ/۱۹۷۱ م.
۳۶. عباس قدیانی، فرهنگ فشرده تاریخ ایران از آغاز تا پایان قاجاریه، تهران، ۱۳۷۴ هـ/۱۹۵۴ م.
۳۷. عبد الحسین الحسینی الخاتون آبادی، وقایع السنین والأعوام (گزارشهای سالانه از ابتدای خلقت تا سال ۱۱۹۵ هجری)، انتشارات کتابفروشی اسلامی، تهران، ۱۳۹۳ هـ/۱۹۷۴ م.
۳۸. عبد الحسین نهجیری، آندر آن روزگاران درباره اوضاع سیاسی و تشکل های اداری و نظامی، جستو در حکومت صفوی وزندی وقاجاری، انتشارات نقش خورشید، ۱۳۸۴ هـ.ش/۱۹۶۴ م.
۳۹. عبد الحسین نوائی، اسناد و مکاتبات سیاسی ایران، ایران از سال ۱۱۰۵ تا ۱۱۳۵ هـ.ق/۱۷۲۳ م.
۴۰. عبد الحسین نوائی و عباسقلی غفاری فرد، تاریخ تحولات سیاسی، اجتماعی، اقتصادی و فرهنگی ایران در دوران صفویه، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، تهران، ۱۳۸۱ هـ.ش/۱۹۶۱ م.
۴۱. عبد الفتاح فومنی کیلانی، تاریخ کیلان (در وقایع سالهای ۹۲۳-۱۰۳۸ هجری قمری)، به تصحیح و تحشیه: منوچهر ستوده، بنیاد فرهنگ ایران، تهران، ۱۳۹۰ هـ/۱۹۷۱ م.
۴۲. عبد کاظم مجتبی زاده، الشاه سلطان حسین، دفتر نشر معارف، قم، ۱۳۸۸ هـ.ش/۲۰۱۰ م.
۴۳. عبد الله رازی، تاریخ کامل ایران. از تأسیس سلسله مادتا انقراض قاجاریه، تهران، ۱۳۶۳ ش/۱۹۸۵ م.

۴۴. ———، تاریخ مفصل ایران از تأسیس سلسله ماده تا عصر حاضر، چاپ دوم، تهران، ۱۳۳۵هـ/ ۱۹۱۷م.
۴۵. عبد المجید شجاع، زن سیاست و حرمسوا در عصر صفویه، مطبعة دفت، ۱۳۸۴هـ/ ۱۹۶۵م.
۴۶. عزت الله نوزري، تاريخ اجتماعي ايران، از غازتا مشروطت، تهران، ۱۳۸۰ش/ ۲۰۰۲م.
۴۷. عزيز الله بیات، تاريخ تطبیقی ایران با کشورهای جهان (از ماد تا انقراض سلسله بهلوی)، مؤسسه انتشارات امیر کبیر، تهران، ۱۳۸۲هـ.ش/ ۱۹۶۳م.
۴۸. علي غفوري، تاريخ جنگهای ایران از ماها تا به امروز، انتشارات اطلاعات، تهران، ۱۳۸۸هـ/ ۱۹۶۸م.
۴۹. غلام حسین مقتدر، نبر دهایی بزرگ نادر شاه، تهران، ۱۳۳۹هـ/ ۱۹۶۱م.
۵۰. غلام سرور، تاريخ شاه اسماعیل صفوی، ترجمه: محمد باقر آرام و عباسقلی غفاری فرد، تهران، ۱۳۷۴ش/ ۱۹۹۵م.
۵۱. غلامرضا جلالی، مشاهیر مدفون در حرم رضوی (رجال سیاسی، نظامی، اجتماعی)، جلد چهار، مؤسسه چاپ و انتشارات استان قدس رضوی، مشهد، ۱۳۸۷هـ.ش/ ۲۰۰۹م.
۵۲. فاروق انصاری، فشرده ی تاریخ افغانستان (آریا، خراسان)، مطبعة بلخ، کابل، ۱۳۸۶هـ/ ۲۰۰۸م.
۵۳. فخر الدین الموسوي، تاريخ علوي در عصر ال بویه و صفوي، چاپخانه اسوة، بی چاپ، ۱۳۸۶هـ.ش/ ۱۹۶۶م.
۵۴. فواد فاروقی، سرنوشت انسان در تاریخ ایران، عطائی، تهران، ۱۳۷۸هـ/ ۱۹۵۸م.
۵۵. کروسنکی، سقوط اصفهان، ترجمه: السيد جواد طباطبائي، مؤسسه نگاه معاصر، ۱۳۸۲ هـ.ش/ ۲۰۰۴م.
۵۶. گروه نویسندگان، سرگزشت شاه سلطان حسین، به کوشش: منیژه ربیعی، مطبعة رویدا، بی چاپ، ۱۳۸۳هـ.ش/ ۲۰۱۰م.
۵۷. لارنس لکهارت، انقراض سلسله صفویه، ترجمه: اسماعیل دولتشاهی، تهران، ۱۳۸۳هـ/ ۲۰۰۵م.
۵۸. محسن بهرام نتراد، سرگزشت القراقوینلو و آلاق قوینلو، تهران، ۱۳۸۴ش/ ۱۹۶۴م.
۵۹. محمد امین ریاحی، سفارتنامه های ایران (گزارش های مسافرات و مأموریت سفیران عثمانی ایران)، چاپخانه ۱۷ شهریور، تهران، ۱۳۶۸هـ.ش/ ۱۹۹۰م.
۶۰. محمد باقر بورامینی، صفویان نماد اقتدار ایران (عصر شاه عباس اول تا آخرین زمام دار)، دفتر دوم، چاپخانه اعتماد، قم، ۱۳۸۱ هـ/ ۱۹۶۲م.
۶۱. محمد حسین الحسینی التفرشی، تاریخ شاه صفی (تاریخ تحولات ایران در سالهای ۱۰۳۸- ۱۰۵۲هـ.ق)، تهران، ۱۳۸۸هـ.ق/ ۱۹۶۸م.

۶۲. محمد خلیل المرعشی الصفوی، مجمع التواریخ، مکتبه طهوری و سنائی، تهران، ۱۴۰۳ هـ/ ۱۹۸۲ م.
۶۳. محمد رضا قنادی، سرگزشت شاه صفی، چاپ دوم، مؤسسه فرهنگی اهل قلم، پی تا، ۱۳۸۲ هـ/ش/ ۱۹۶۴ م.
۶۴. محمد طاهر وحید قزوینی، عباسنامه. شرح زندگانی ۲۲ ساله شاه عباس ثانی ۱۰۵۲- (۱۰۷۳)، رارک، تهران، ۱۳۲۹ هـ/ ۱۹۱۲ م.
۶۵. محمد محسن المستوفی، زبدة التواریخ، بنیاد موقوفات دکتر محمود افشار، تهران، ۱۴۱۷ هـ/ ۱۹۹۶ م.
۶۶. محمد میرک بن مسعود الحسینی المنشی، ریاض الفردوس خانی، تهران، ۱۴۲۷ هـ/ ۲۰۰۶ م.
۶۷. محمد هاشم اصف رستم الحکماء، رستم التواریخ، تصحیح: محمد مشیری، انتشارات امیر کبیر، تهران، ۱۳۴۸ هـ/ ۱۹۲۹ م.
۶۸. محمود پاینده، قیام غریب شاه گیلانی مشهور به عادلشاه، بی چاپ، ۱۳۵۷ هـ/ ۱۹۳۹ م.
۶۹. مرتضی راوندی، تاریخ اجتماعی ایران حکومتها و سلسله های ایران از حمله اعراب، تا استقرار و مشروعیت، تهران، ۱۳۵۴ هـ/ش/ ۱۹۷۶ م.
۷۰. مریم میر احمدی، تاریخ سیاسی و اجتماعی فی ایران در عصر صفوی، سبهر، تهران، ۱۳۷۱ هـ/ش/ ۱۹۵۱ م.
۷۱. مریم نجاد اکبری مهربان، شاه عباس کبیر، جاب اول، تهران، ۱۳۸۷/ ۲۰۰۹ م.
۷۲. ملا جلال الدین منجم، تاریخ عباسی یاروزنامه ملا جلال، شامل وقایع دربارشاه عباس، به کوشش: سیف الله وحید نیا، انتشارات وحید، تهران، ۱۳۶۶ ش/ ۱۹۸۷ م.
۷۳. منصور صفت گل، فراز و فرود صفویان، بی چاپ، ۱۳۸۸ هـ/ش/ ۱۹۶۸ م.
۷۴. منوچهر بارسادوست، شاه اسماعیل دوم: شجاع تباه شده، شرکت سهامی انتشار، تهران، ۱۳۸۱ هـ/ ۲۰۰۳ م.
۷۵. ———، شاه عباس اول، جلد اول، جاب اول، تهران، ۱۳۸۸ ش/ ۲۰۰۹ م.
۷۶. منوچهر دانش پژوه، بررسی سفرنامه های دوره صفوی، فرهنگستان اصفهان، ۱۳۸۵ هـ/ ۱۹۶۶ م.
۷۷. منوچهر ستوده، بنیاد فرهنگ ایران، تهران، ۱۳۹۰ هـ/ ۱۹۷۱ م.
۷۸. مهدی گیوانی، پیشه وران ورتگی صنفی آنان در عهد صفوی، ترجمه: یزدان فرخی، مطبعة سبهر، تهران، ۱۳۹۲ هـ/ش/ ۱۹۷۲ م.
۷۹. میر غلام محمد غبار، جغرافیای تاریخی افغانستان، چاپ دوم، مطبعة میوند، قم، ۱۳۸۶ هـ/ ۱۹۶۶ م.
۸۰. میر محمد سعید مشیزی، تذکرة صفویه (کرمان)، مقدمه و تصحیح و تحشیه: باستانی پاریزی (محمد ابراهیم)، چاپخانه حیرری، تهران، ۱۳۶۹ هـ/ش/ ۱۹۵۰ م.

۸۱. میر محمد صدیق فرهنگ، افغانستان در پنج قرن اخیر، جلد ۱ و ۲، تهران، ۱۳۸۸ هـ/ ۱۹۶۸ م.
۸۲. میرزا بیگ حسن بن حسینی جناب‌دی، روضه الصفویه، به کوشش: غلامرضا طباطبایی مجد، مجموعه انتشارات ادبی و تاریخی، تهران، ۱۳۷۸ هـ.ش/ ۱۹۵۸ م.
۸۳. میرزا محمد معصوم، تاریخ سلاطین صفویه، سعی و اهتمام: امیر حسن عابدی، انتشارات بنیاد و فرهنگ ایران، تهران، ۱۳۵۱ هـ.ش/ ۱۹۳۳ م، چاپ شد.
۸۴. ناشناس مؤلف، تاریخ قزلباشان، به کوشش: میر هاشم محدث، تهران، ۱۴۰۳ هـ/ ۱۹۸۳ م.
۸۵. ناشناس مؤلف، عالم آرای شاه طهماسب، به کوشش: ایران افشار، انتشارات دنیای کتاب، تهران، ۱۳۷۰ هـ.ش/ ۱۹۵۱ م.
۸۶. ناشناس مؤلف، عالم آرای اسماعیل، به کوشش علی اصغر منتظری صاحب، تهران، ۱۳۴۹ ش/ ۱۹۷۱.
۸۷. ناصر الدین عبد الله بن عمر البیضانی، نظام التواریخ، انتشارات فرهنگ، تهران، ۱۳۱۳ ش/ ۱۹۳۴ م.
۸۸. نصر الله فلسفی، جنک جالدران، چاپخانه دانشکاه تهران، تهران، ۱۳۳۲ هـ.ش/ ۱۹۱۳ م.
۸۹. نصر الله فلسفی، زندگانی شاه عباس اول، جلد اول، انتشارات دانشکاه تهران، تهران، ۱۳۳۲ هـ.ش/ ۱۹۵۴ م.
۹۰. هانس رومر، شمس الحسن، ترجمه: کامبیز عزیزی، تهران، ۱۳۲۳ ش/ ۱۹۵۶ م.
۹۱. وارتان کریکوریان، ظهور افغانستان تاریخها رجالاتها، ترجمه: علی عالمی کرمانی، دار الصفوة، بیروت، ۱۹۹۳.
۹۲. ولتر هینتس، تشکیل دولت ملی در ایران، ترجمه: کیکاوس جهنداری، انتشارات خوارزمی، تهران، ۱۳۷۷ ش/ ۱۹۳۶ م.
۹۳. یحیی بن عبد اللطیف القزوی، لب التواریخ، تهران، ۱۳۱۴ ش/ ۱۹۳۶ م.
۹۴. یرواند ابراهیمیان، تاریخ ایران مدرن، ترجمه: محمد ابراهیم فتاحی، تهران، ۱۳۸۹ ش/ ۲۰۱۰ م.

ثالثا. البحوث المنشورة في المجلات الفارسية:

۱. أبو العلاء سودآور، توطئه عظمی وأبو المظفر شاه طهماسب صفوی، مجله ایران شناسی، دانشکاه اصفهان، سال نهم، شماره ۳۳، ۱۳۷۶ هـ.ش/ ۱۹۵۶ م.
۲. جهانبخش ثواقب، بررسی زمنیه ها و علل شکل گیری شورش داوود خان در قرباغ و پیپامد های آن (۱۴۲۰ هـ.ق)، پژوهش دانشگده ادبیات و علوم انسانی دانشگاه اصفهان دوره دوم، مجله علمی، شماره سی چهارم و سی و پنجم، پاییز و زمستان، ۱۳۸۲ هـ/ ۱۹۶۲ م.
۳. عبد الحسین نوائی، اسناد و مکاتبات سیاسی ایران از سال (۱۰۳۸ تا ۱۱۰۵ هـ.ق) بمراه بایاد داشتهای تفصیلی، انتشارات بنیاد و فرهنگ ایران، تهران، ۱۴۰۱ هـ/ ۱۹۸۰ م.

رابعاً . الاطاريح والرسائل الجامعية:

١. احمد كاظم محسن بندر البياتي، بلاد فارس في ظل الحكم الافشاري ١٧٣٦-١٧٤٧، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٧م.
٢. إياد عبد الرحمن شيحان جبر الركابي، التنظيمات الإدارية والمالية في الدولة الصفوي (١٥٠١-١٧٢٢)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٢.
٣. جاسم محمد حسن العدول، الدولة العثمانية ابان حكم السلطان سليم الاول ١٥١٢-١٥٢٠م، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة الموصل، ٢٠٠٤م.
٤. جعفر أصغر عباس محمد، مشكلة وراثته العرش في الدولة العثمانية (١٢٩٩-١٥٦٦م) دراسة في الجانبين الفكري والتطبيقي، اطروحة دكتوراه، جامعة تكريت، كلية التربية، ٢٠١٣.
٥. حسين محمد القهواتي، العراق بين الاحتلالين الاول والثاني (١٥٣٤م - ٩٤١هـ / ١٦٣٨م - ١٠٤٨هـ)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٧٥.
٦. حفظ الله ناصر عبدالله مصلح، تيمور لنك وشخصيته السياسية والعسكرية، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة دمشق، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
٧. رضا احمد سالم الشاوي، ايران في عهد الشاه صفي الصفوي ١٦٢٩-١٦٤٢، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٤.
٨. سلام خسرو جوامير، الشاه عباس الكبير وسياسة الاصلاحية الداخلية في إيران (١٥٧١-١٦٢٩)، اطروحة دكتوراه، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، ٢٠١٢م.
٩. شهد عبد الرزاق محمد، القزلباش ودورهم العسكري والسياسي في إيران ١٥٠٠م - ١٦٢٩م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٨م.
١٠. صابرين شلاكة رداد الجياشي، العلاقات المغولية الصفوية ١٥١٠-١٥٥٦، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٨.
١١. عبد الرحمن فرطوس حيدر، الايلخان هولاکو ودوره في نشأة وقيام الدولة الايلخانية. دراسة تحليلية لسيرته وعمله السياسي والعسكري (٦١٣-٦٦٣هـ / ١٢١٦-١٢٦٥م)، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
١٢. عبير احمد عبد الرحيم محمد، منصب شيخ الاسلام في الدولة العثمانية (١٤٢٥-١٩٢٤م)، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة النيلين، ٢٠١٨م.
١٣. عدنان هرير جودة الزبيدي، عمان وسياسية نادر شاه التوسعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣م.
١٤. عدي سامي فارس المالكي، المرأة الايرانية خلال العهد الصفوي (١٥٠١-١٧٢٢م)، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٢٣م.

١٥. _____، الشيخ علي خان زكنه واصلاحاته في ايران ١٦٦٩-١٦٨٩م، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠١٩.
١٦. عمار محمد كاظم فرج البزاز، العراق في عهدي حسن باشا واحمد باشا ١٧٠٤-١٧٤٧م، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠م.
١٧. عمر راجح محمود، الصراع العثماني الفارسي على ولاية بغداد ١٧٠٤-١٧٤٧م، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الانبار، ٢٠١١.
١٨. عمر عبد الستار السامرائي، العراق تحت الاحتلال الصفوي (٩١٤-٩٤١هـ) (١٠٣٣ - ١٠٤٨هـ)، رسالة ماجستير، كلية الدعوة واصول الدين، الجامعة الاسلامية، المدينة المنورة، ٢٠١٦.
١٩. فاتحة بوقلقولة وفاطمة ليشتي، دولة مغول الهند في عهد السلطان شاه جيهان (١٠٠٠ - ١٠٧٧هـ / ١٥٩٢-١٦٦٦م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة احمد دراية ادرا، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
٢٠. كريم حميد عباس الزبيدي، الفلاح الايراني في العصر الصفوي (١٥٠١-١٧٣٦م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٢١.
٢١. محمد احمد محمد الثقفي، زواج السلاطين العثمانيين من الاجنبيات واثرة في اضعاف الدولة، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م.
٢٢. محمد شكر محمود سعدالله، عبيد البلاط وأثرهم في الدولة العثمانية (١٥٢٠م-١٨٠٨م)، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة ديالى، ٢٠٢٢م.
٢٣. محمد هليل الجابري، إمارة المشعشين، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٧٣.
٢٤. مشعل مفرح ظاهر الشمري، روسيا القيصرية في عهد بطرس الاكبر ١٦٨٩-١٧٢٥م، اطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
٢٥. _____، سياسية ايران الخارجية في عهد الشاه عباس الاول (الكبير) ١٥٨٧-١٦٢٩م، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠٠٠.
٢٦. ممدوح رمضان احمد يوسف، الحياة السياسية والمذهبية للدولة الصفوية في عهد الشاه اسماعيل الصفوي ٩٠٦-٩٣٠هـ / ١٥٢٤-١٥٠٠م، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩.
٢٧. نهله نعيم عبد العالي ال بطي، إيران في عهد الشاه سلطان حسين ١٦٩٤-١٧٢٢، اطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠١٦م.
٢٨. وديان ياسين غريب الجبوري، المحقق الكركي ودوره الفكري والسياسي (٨٧٠-٩٤٠هـ / ١٤٦٥-١٥٣٣م)، رسالة ماجستير، كلية التربية (صفي الدين الحلي)، جامعة بابل، ٢٠١١.
٢٩. وسن عبد العظيم فاهم الايدامي، الأرمن والحياة الاجتماعية والاقتصادية في إيران خلال العهد الصفوي ١٧٢٢-١٥٠١، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٥.

٣٠. _____، مدينة اصفهان في العهد الصفوي دراسة في اوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ١٥٩٨-١٧٢٢م، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة القادسية، ٢٠١٩.

رابعاً. الكتب العربية والمعرّبة :

١. إبراهيم احمد العدوي، مصر الإسلامية درع العروبة ورباط الإسلام، هيئة الآثار المصرية، القاهرة، ١٩٩١.
٢. . ابراهيم بن صبغة الله بن اسعد الحيدري، عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد، بيروت.
٣. . إبراهيم زكي خورشيد وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج ١٥، ط ٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م.
٤. احمد بن يعقوب المازي، البلوش وبلادهم في دليل الخليج العربي، دار الأنتشار العربي، بيروت، ٢٠١٢.
٥. احمد بن يوسف القرمانى، إخبار الدول واثار الأول في التاريخ، تحقيق: احمد حطيط وفهمي سعد، ج ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢.
٦. احمد محمود الساداتي، تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها شبه القارة الهندية الباكستانية وبنجلادش- ايران – بلاد ماوراء النهر (بخارى الكبرى او التركستان – افغانستان- تركيا)، دار نهضة الشرق، القاهرة، دت.
٧. احمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهند وباكستانية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م.
٨. احمد محمود صبحي، نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٩. ادوارد براون، تاريخ الادب في ايران من بداية الحكم الصفوي حتى نهاية الحكم القاجاري ١٥٠٠-١٩٢٤، ج ٤، ترجمه الى العربية: محمد علاء الدين منصور، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٠. اسد رستم، مصطلح التاريخ، دار تراث، الجيزة، ٢٠١٥.
١١. أشرف طه ابو الذهب، المعجم الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٢. آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٩، ق ٢، دار الأضواء، بيروت، ١٩٥٣م.
١٣. امانى بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الانكشارية في اضعاف الدولة العثمانية، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧.
١٤. امين واصف بك، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: احمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩١٦.
١٥. ايناس سعدي عبد الله، تاريخ العراق الحديث ١٢٥٨-١٩١٨، بغداد، ٢٠١٤،

١٦. بديع جمعه واحمد الخولي، تاريخ الصفويين وحضارتهم، دار الرائد العربي، القاهرة، ١٩٧٦م.
١٧. بارتولد وبقرج، "أبو سعيد"، دائرة المعارف الإسلامية، م ١.
١٨. جعفر المهاجر، الهجرة العالمية إلى إيران في العصر الصفوي، دار الروضة، بيروت، ١٩٨٩.
١٩. جعفر خصباك، العراق في عهد المغول الايلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٨.
٢٠. جمال الدين الافغاني، تنمة البيان في تاريخ الأفغان، مصر، ١٩٠١م.
٢١. جمال الدين الشيال، تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠١.
٢٢. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٢م، ج ٤.
٢٣. حسن الجاف، الوجيز في تاريخ ايران، ج ٢، ج ٣، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠٣.
٢٤. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، مطبعة المعارف، ٢٠٠٠.
٢٥. حسن مجيد الدجيلي، إيران والعراق خلال خمسة قرون، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩٩م.
٢٦. حسين ابراهيم مصطفى الجبراني، الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الاسلامي في العصر المملوكي الاول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، دار غيداء، عمان، ٢٠١٦.
٢٧. حسين الشاكري، ربع قرن مع العلامة الأميني. شذرات من حياته الشريفة، مطبعة ستارة، قم، ١٩٩٦.
٢٨. دونالد ولبر، ايران ماضيها وحاضرها، القاهرة، ١٩٥٨م.
٢٩. رزق الله منقريوش الصوفي، تاريخ دول الاسلام، مج ٣، مطبعة الهلال، مصر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.
٣٠. رسول الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة: موسى كاظم نورس، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
٣١. رسول جعفریان، اطلس الشيعة، دراسة في الجغرافية الدينية للتشيع، ترجمه عن الفارسية وراجعته نصير الكعبي وسيف علي، المركز الاكاديمي للابحاث، ٢٠١٣.
٣٢. ———، الشيعة في ايران. دراسة تاريخية من البداية حتى القرن التاسع الهجري، تعريب: علي هاشم الاسدي، ط ٢، مشهد، ١٣٨٨ش/ ٢٠٠٩م.
٣٣. سامح سعيد عبود، الاقليات الدينية والعرقية والمذهبية في إيران، القاهرة، ٢٠١٤.
٣٤. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة: جعفر الخياط، ط ٤، بغداد ١٩٦٨.
٣٥. شاکر صابر الضابط، العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وإيران، نشر وطبع دار البصري، بغداد، ١٩٦٦.
٣٦. شرف خان البديليسي، شرفنامه، ترجمة: محمد علي عوني، ج ٢، ج ٣، ط ٢، دار الزمان، دمشق، ٢٠٠٦م.
٣٧. صلاح جواد شبر، ثيولوجيا التشيع السياسي بين الحق الإلهي والدولة، لبنان، ٢٠١٧.

٣٨. ضامن بن شدقم الحسيني المدني، تحفة الإزهار وزلال الأنهار في نسب الأئمة الأطهار، مج ٢، ٢، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، نشر كتابخانه تخصصي تاريخ إسلام وإيران، طهران، ١٩٩٩.
٣٩. طالب محبيس حسن الوائلي، الصفويون. من الطريقة الصوفية حتى تأسيس الدولة، ط٢، دار تموز، دمشق، ٢٠١٢.
٤٠. عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية. الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٤١. عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، ج ٥، بغداد، ١٩٣٩.
٤٢. عباس حسن الموسوي (كمال السيد)، نشوء وسقوط الدولة الصفوية دراسة تحليلية، ط٢، مطبعة وفاء، قم، ٢٠٠٧.
٤٣. عبد الحسين الأميني، شهداء الفضيلة، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣.
٤٤. عبد العزيز الجواهري، آثار الشيعة الإمامية، طهران، ١٣٤٨هـ/ ١٩٧٠م.
٤٥. عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة، ١٩٦٨.
٤٦. عبد المنعم حسنين، إيران في ظل الإسلام في العصور السنية والشيعة، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٨م.
٤٧. عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ٢، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠.
٤٨. علي ابراهيم درويش، السياسة والدين في مرحلة تأسيس الدولة الصفوية، بيروت، ٢٠١٣.
٤٩. علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، بغداد، ١٩٦٥.
٥٠. علي حسن علي المكصوصي، تطورات إيران الداخلية في ظل الاحتلال الأفغاني ١٧٢٢- ١٧٢٩، دار تموز، دمشق، ٢٠١٦.
٥١. _____، إيران في عهد الآق قوينلو ١٤٦٧- ١٥٠١، بغداد، ٢٠١٦.
٥٢. علي حسون، تاريخ أفغانستان، دار الزوية، (د.ت.).
٥٣. علي شريعتي، الأمة والإمامة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٥٤. علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، تحقيق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ٢٠٠١.
٥٥. علي محمد محمد الصلابي، من عقائد الشيعة الاثني عشرية، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.
٥٦. علي مير فرطوس، الحركة الحروفية. انتفاضة البسيخانيين النقطوية في إيران من تيمورلنك إلى الشاه عباس الصفوي، ترجمة: حسن الجاف وشكور مصطفى، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠١٢.
٥٧. فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرج، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م.
٥٨. فرانسوا تويال، الشيعة في العالم، ترجمة: فرنسيس عون، دار الفارابي، بيروت، ٢٠٠٧.

٥٩. فلاح شاكر اسود، الحدود العراقية الايرانية دراسة في المشاكل القائمة بين البلدين، بغداد، ١٩٧٠.
٦٠. كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج ٢، بيروت، ٢٠١١.
٦١. ———، الطريقة الصوفية ورواسبها في العراق المعاصر. دراسة مزجية لأصول الشبك والنحل الصوفية في شمال العراق، بغداد، ١٩٦٧ م.
٦٢. كامل مصطفى الشبيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ج ٢. النزعات الصوفية في التشيع من بعد عصر الأئمة حتى سقوط الدولة الصوفية، ط ٣، بيروت، ١٩٨٢.
٦٣. ألكسندر آدموف، ولاية البصرة ماضيها وحاضرها، ترجمة: هاشم التكريتي، بيروت، ٢٠٠٩.
٦٤. كولن تيرنر، التشيع والتحول في العصر الصوفي، ترجمة: حسين علي عبد الستار، تقديم: الشيخ حيدر حب الله، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨.
٦٥. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.
٦٦. محمد الأمين المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء الثاني، القاهرة، ١٨٦٧ م.
٦٧. محمد الحسون، حياة المحقق الكركي وأثره، ج ١، دار الاحتجاج، قم، ٢٠٠٢.
٦٨. محمد المعموري وآخرون، الصوفية التاريخ والرواسب، مركز المسبار للدراسات والبحوث، دبي، ٢٠١١.
٦٩. محمد باقر الحسيني المرعشي الداماد (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)، الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الامامية، قم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
٧٠. محمد خير حعدوقه، الشركس أصلهم تاريخهم عاداتهم تقالديهم هجرتهم إلى الأردن، عمان، ١٩٨٢.
٧١. محمد رضا الحكيمي، بداية الفرق نهاية الملوك، دار الفردوس، بيروت، ١٩٩٠.
٧٢. محمد سهيل طقوش، تاريخ الدولة الصوفية في إيران، دار النفائس، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٧٣. محمد عبد المنعم السيد الراقده، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي، الإسكندرية، ١٩٧٢.
٧٤. محمد علاء الدين منصور، تاريخ إيران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (١٢٠٥/٨٢٠هـ - ١٣٤٣-١٩٢٥م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩.
٧٥. محمد وصفي ابو مغلي، ايران دراسة عامة، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، شعبة الدراسات الفارسية، ١٩٨٥ م.
٧٦. محمود شاكر، غياب الخلافة (٦٥٩-٩٢٣هـ)، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣ م.
٧٧. مرتضى بن علي نظمي زادة (ت ١١٣٦هـ / ١٧٢٤م)، كلشن خلفاء، ترجمة: موسى كاظم نورس، النجف، ١٩٧١ م.

٧٨. مرتضى مطهري، الإمامة، ترجمة: جواد علي كسار، دار الحوار، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٧٩. معجم الفلاسفة . الفلاسفة- المناطقة- المتكلمون- اللاهوتيون- المتصوفون، إعداد: جورج طرابيشي، بيروت، ١٩٨٧م.
٨٠. منير البعلبكي، معجم اعلام المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢.
٨١. نجف لك زائي، اشكالية العلاقة بين السياسة الدينية والنظام الملكي، تعريب: رعد الحجاج، دار المعارف الحكيمة، بيروت، ٢٠١٤.
٨٢. وجيه كوثراني، الفقيه والسلطان، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، ط٤، بيروت، ٢٠١٥.
٨٣. وديع أبو زيدون، تاريخ الإمبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.
٨٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ج ٢، ج ٣، ج ٤، ج ٥، بيروت، ١٩٥٦.
٨٥. يحيى شامي، موسوعة المدن العربية والاسلامية، ج ١، بيروت، ١٩٩٣.
٨٦. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، ج ١، مؤسسة فيصل للتمويل، استنبول، ١٩٨٨.

خامسا. المصادر باللغة الإنكليزية:

1. A. V. Williams Jackson, Persia Past and Present, The Macmillan Company, London, 1906.
2. Arnold Wilson, The Persian Gulf, London 1959.
3. Clements R. Markham, A General Sketch of the History of Persia, London, 1874. P. 272.
4. David O. Morgan and Anthony Reid, The New Cambridge History Of Islam (The Eastern Islamic World Eleventh to Eighteenth Centuries), Vol. 3, Cambridge University Press, London, 2010.
5. E. Van Denzel, The Encyclopaedia Of Islam, Vol 4, The Patronage Of The International Union Of Academies, E. J. Brill, Leiden The Netherlands, 1997, New Edition.
6. Fadlullah B. Ruzbihan Khunji, Persia in A. D. (1478- 1490) Tarikh-I Alam-Ara-Yi Amini, Edited and translation: V. Minorsky, London, 1957.
7. George Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, London, 1892.

8. H. Algar, Some Observations on Religion in Safavid Persia, Iranian Studies (Magazine), Volume 7, No. 1/2, 1974.
9. H. G. Dwight, Persian Miniatures, Doubleday, Page & Company, New York, 1917.
10. J. Kelley Sowards, Makers of world history, st. Martin's Press, New York, Vol. II, 1995.
11. James Fraser, the history of Nadir Shah formerly called Thamas Kuli Khan, the present emperor of Persia, London, 1742.
12. Kathryn Babayan and another, Slaves of the Shah New Elites of Safavid Iran, I.B. Tauris & Co Ltd, London, 2004.
13. Kemal H. Karpat, (editor), The Ottoman State and its Place in World History, Leiden, 1974.
14. Laurence Lockhart (Cambridge), The Persian Army in the Safavi Period Der Islam Band 34, Berlin, 1959.
15. Laurence Lokhart, The Fall of Safavid dynasty and the Afghan, Occupation of Persia, 1958.
16. Leonard M. Helfgott, Ties That Bind A Social History Of Iranian Carpet, Smithsonian Institution Press, London, 1994.
17. Lucien – Louis Bellan, Chah Abbas I Safavid, Son Histoire, RueJacob, Paris, 1932.
18. Mary Shay, The Ottoman Empire from 1720 to 1734, Ur-bana, 1944.
19. Percy M. A. Sykes, History of Persia, Vol. II, London, 1915.
20. R. Roemer.; Iran Under the Safavid, Cambridge, London, 1987.
21. Reginald Stuart Pool, The Coins of the Shahs of Persia, London, 1887.
22. Roger M. Savory, Iran Under the Safavids, Cambridge University Press, 1980.
23. Roger Savory, The Studies on the history of Safavids Iran, London, 1987.
24. Sinem Arcak, Gifts in Motion. Ottoman-Safavid Cultural Exchange 1501-1618, Thesis Doctorate, The college of the Graduate school, the university of Minnesota, Minnesota, 2012.

25. Sinem Arcak, Gifts in Motion: Ottoman-Safavid Cultural Exchange 1501-1618, Thesis Doctorate, The college of the Graduate school, the university of Minnesota, Minnesota, 2012.
26. Sir John Malcolm, The History of Persia From the most early period to the present time, Vol1, I, Tehran, 1976.
27. Steven R. Ward A, Immortal Military History of Iran and its Armed Forces, Washington, 2009.

سادسا. الكتب باللغة التركية الحديثة:

1. Ibrahim Aykun, Erzurum konferansi (1843-1847) Ve Osmanli-Iran Hudut Antlaşması, sosyal bilimler enstitüsü tarih anabilim dalı, Atatürk Üniversitesi, Erzurum, 1995.
2. Jamil Quzanlu, Tarikh-i-Nizami-yi-Iran, Vol. I,

سابعا. البحوث المنشورة في المجلات العربية:

١. احمد كاظم محسن البياتي ومحمد جواد عبد الكاظم، الصراع الصفوي -الاوزبيكي ١٥٢٤-١٥٧٥، مجلة كلية التربية الاساسية، المجلد ٢٣، العدد ٩٩، الجامعة المستنصرية، ٢٠١٧.
- ٤- احمد كاظم محسن البياتي، بلاد فارس والاحتلال الافغاني ١٧٢٢-١٧٢٥، مجلة كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، العدد الواحد والخمسون، ٢٠٠٧.
- ٥- آمال حسين محمود، قزوين عاصمة الدولة الصفوية، (بحث)، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة سوهاج، العدد ٣٩، ٢٠١٣.
- ٦- ايمان عبد الرحمن الهياجنة، الصدر الاعظم ابراهيم باشا دراسة في دورة السياسي (٨٩٨-٩٤٢ هـ / ١٤٩٢ -١٥٣٥م)، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، المجلد ٤٢، العدد ٢، ٢٠١٥.
- ٧- ايمان عليوي سلومي، انهيار وسقوط الدولة الصفوية في إيران، مجلة الدراسات المستدامة، المجلد الثالث، العدد الرابع، كلية التربية الاساسية، الجامعة المستنصرية، ٢٠٢١.
- ٨- باسم حمزة عباس، سياسة إيران العسكرية والمذهبية والداخلية وأثرها على السياسة الخارجية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي ١٥٠١-١٥٢٤، مجلة دراسات إيرانية، جامعة البصرة، العدد ١٠-١١، ٢٠٠٩.
- ٩- حسن عثمان، تاريخ مصر في العهد العثماني (١٥١٧-١٧٩٨)، بحث ضمن كتاب: المجلد في التاريخ المصري، القاهرة، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢.

- ١٠- حيدر عبد المناف البياتي، المشهد الصوفي الفلسفي في العهد الصفوي، بحث في كتاب: (الصفوية التاريخ والصراع والرواسب)، دبي، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١١م.
- ١١- حيدر نزار السيد سلمان، الدولة الصفوية.. حقائق تاريخية، مجلة ينبع، مؤسسة الحكمة الثقافية الإسلامية، النجف، العدد ١٧، ٢٠٠٧م.
- ١٢- صبحي عبد المنعم محمد، أمير التركمان أوزون حسن (حسن الطويل) أعماله الداخلية والخارجية، المجلة العلمية لكلية الآداب - جامعة أسيوط، العدد ٣٢، أكتوبر ٢٠٠٩.
- ١٣- عاصم حاكم عباس الجبوري ووسن عبد العظيم فاهم الايدامي، الهجرة الأرمنية الجماعية إلى إيران في عهد الشاه عباس الأول، مجلة اوروك، المجلد ٨، العدد ٣، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، ٢٠١٥.
- ١٤- عباس محمود هميم الزبيدي، النقوش على النقود الذهبية والفضية في ايران خلال العصر الصفوي، جامعة واسط، كلية التربية، المجلد ١٧، العدد ١، ٢٠٢٥م.
- ١٥- عدي سامي فارس المالكي، أثر المعتقدات الغيبية والتنجيم على القرار السياسي في العهد الصفوي (١٥٠١-١٧٢٢)، مجلة دراسات تاريخية، المجلد ٢٢، العدد ١، كلية التربية للبنات، جامعة البصرة، ٢٠٢٦.
- ١٦- علي الغنام، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) الشاه عباس الثاني ١٦٤٢-١٦٦٦، مجلة الخليج العربي، المجلد العشرون، العدد ١، ١٩٨٨.
- ١٧- _____، احلال النفوذ الاجنبي بالخليج العربي (دور الاسرة الصفوية) سليمان الاول (صفي الثاني) ١٦٦٦-١٦٩٤، مجلة الخليج العربي، المجلد العشرون، العدد ٢، البصرة، ١٩٨٨.
- ١٨- محمد سالم بكر باعمر، الصراع بين الاسلام والوثنية في إيلخانية مغول ايران على عهدي تكوادر خان وارخون خان (٦٨١-٦٩٠هـ / ١٢٨٢-١٢٩١م)، مجلة جامعة الملك عبد العزيز، الرياض، الآداب والعلوم الانسانية، مجلد ١٥، ٢٠٠٧.
- ١٩- نهلة نعيم عبد العالي، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مدينة تبريز في العهد الصفوي ١٥٠١-١٧٢٢م، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الانسانية، مجلد ٤٤ العدد ٣، ٢٠١٩.
- ٢٠- وجيه كوثراني، العرب وإيران بين الذاكرة والتاريخ، بحث في كتاب: العرب وإيران. مراجعة في التاريخ والسياسة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٢.

Abstract

"The Succession to the Throne in Iran During the Safavid Era (1501–1736 AD)"

This thesis highlights the central problem of the mechanisms of power transition and their impact on the state's trajectory, throughout its rise and decline. The study of modern Iranian history has garnered significant attention from researchers due to Iran's strategic geographical location and its civilizational status, particularly following the establishment of the Safavid state in 1501 AD. The Safavids unified the country and endowed it with a distinct sectarian identity by adopting Twelver Shism as the official state religion. This triggered profound political and social transformations, as well as clear interlacings that reflected on the structure of neighboring societies, foremost among which was the Iraqi society. Employing the historical method, this study traces the roots of religious pluralism and political and social reform within a multi-ethnic society to answer fundamental questions regarding the pillars of political and religious legitimacy. It examines the influence of the balance of power and alliances in determining the identity of the new Shah, while identifying the points of strength and weakness within the mechanism of succession over two centuries. The historical experience of the Safavid state has demonstrated that the issue of succession and the transition of power was one of the most vital and influential matters in its history. The stability of the political system was inextricably linked to the degree of success in ensuring a smooth transition of the throne that preserved institutional unity, whereas the disruption of this mechanism led to grave political crises. Although belonging to the Safavid household was the primary prerequisite for ascending the throne, it alone was insufficient without securing the endorsement of the dominant military, administrative, and religious forces within the state. Consequently, the demise or weakening of a Shah's authority often transformed the court into an intense battleground of conflict between rival princes and their factions. The transition of the throne from the founder, Shah Ismail I, to his son, Shah Tahmasp I, in 1524 AD, constituted the first real test for this mechanism. Despite Tahmasp's young age—which allowed the leaders of the Turkic tribes, the "Qizilbash," to intervene in state affairs and impose their regency to the extent that the Safavid realm was termed the "Qizilbash Kingdom"—the success of this transition without the collapse of the state

reflected the durability of the ideological and political foundations laid by the founder. However, toward the end of his long reign, Tahmasp failed to establish clear arrangements for succession. This reignited conflicts after his death and demonstrated the influence of the Qizilbash as a primary factor in determining the identity of subsequent rulers, such as Ismail II and Muhammad Khodabandeh, while the role of the Shiite religious institution remained complementary to military and political factors in conferring legitimacy. With the rise of Shah Abbas the Great, the state underwent a radical transformation toward consolidating centralized authority, rebuilding state institutions, and curtailing the influence of the Qizilbash through the creation of the "Ghulams" (military slaves) institution, the development of the army, and the prosperity of the country. Nevertheless, his new policy of marginalizing rival princes, imprisoning them within the royal harem (*Harem-sara*), and blinding or executing them, undermined the state's vitality and bred generations of weak rulers with limited political and military experience, such as Shah Safi I. As a result of isolating the princes, new influential forces emerged, represented by eunuchs, concubines, and court courtiers, who came to control political decision-making and direct the succession process during the reigns of later Shahs, such as Shah Suleiman and Shah Sultan Husayn. This led to a decline in the efficiency of the military institution and the exacerbation of economic and administrative crises.

The succession crisis was not an isolated cause for the collapse of the state, but rather a fundamental factor that deepened its manifestations of weakness. It opened the door to internal challenges and regional rebellions, alongside external ambitions from neighboring powers such as the Ottoman Empire, Tsarist Russia, and the Uzbeks, culminating in the Afghan invasion led by Mahmud Afghan and the fall of the capital, Isfahan, in 1722 AD. In the wake of this de facto collapse, the succession to the throne devolved into a mere formality subject to military force throughout the reigns of Tahmasp II and Abbas III under the regency of Nader Qoli Beg, until Safavid rule came to an absolute end in 1736 AD. In its final analysis, this historical experience confirms that clarity in the rules of succession and legitimacy is the fundamental key to the stability of states, and that their ambiguity inevitably leads to fragmentation and collapse.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Wasit University

Faculty of Education for Human Sciences

Department of History



**The Succession to the Throne in Iran During the Safavid Era
(1501-1736)**

A thesis submitted by

Sajjad Zaidan Khlef

To the board of Faculty of Education for Human Sciences-Wasit University.

*As a part of the requirement for a Master Degree in modern and
Contemporary History*

Supervised by

Pro. Talib M. Hasan Al-Waily

1449

2026